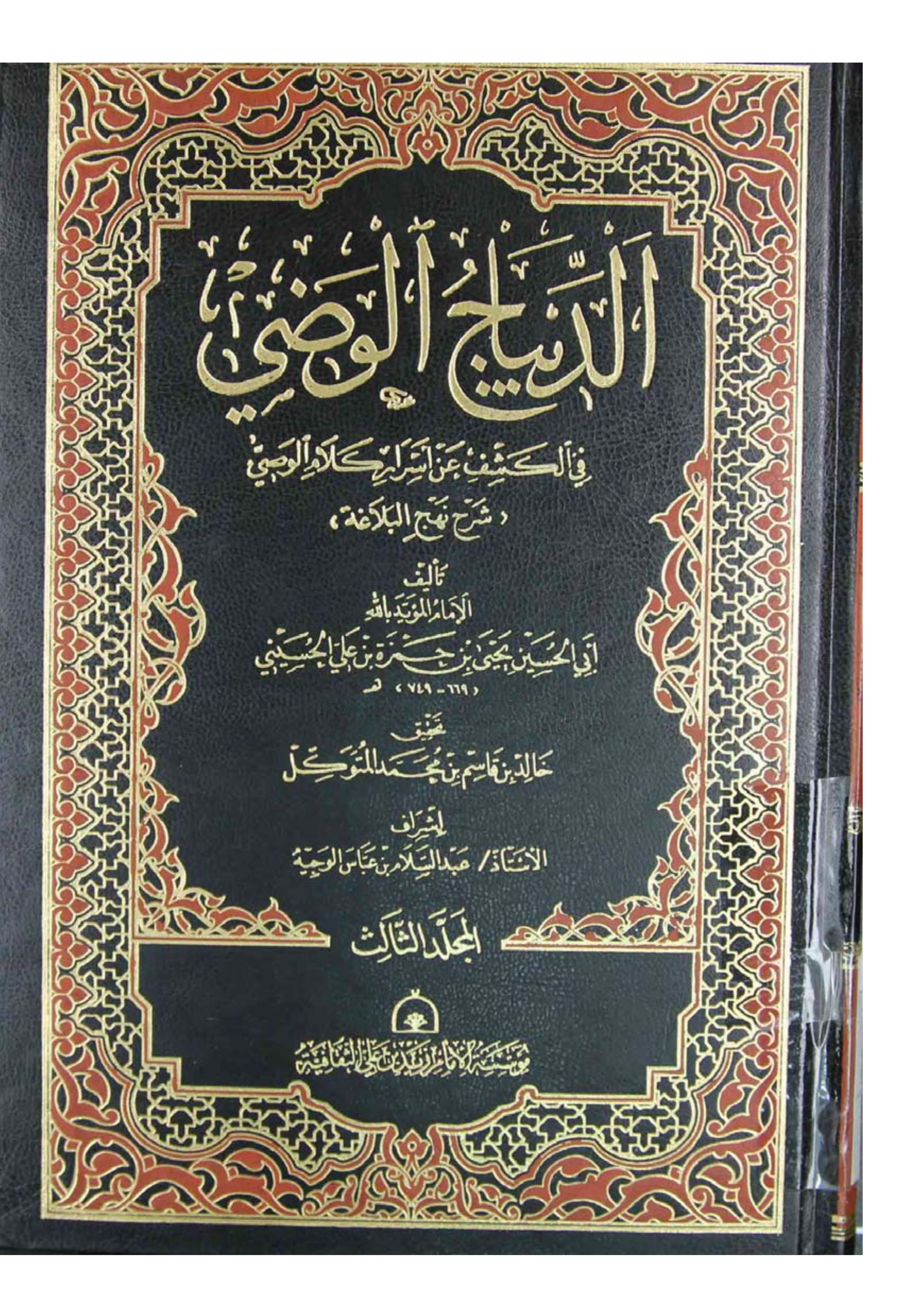

الديباج الوضي
في الكشف عن أسرار كلام الوصي
«شرح نهج البلاغة»
تأليف
الإمام المؤيد بالله
أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني
(٦٦٩ - ٧٤٩) هـ
تحقيق
خالد بن قاسم بن محمد المتوكل
إشراف
الأستاذ/ عبد السلام بن عباس الوجيه
المجلد الثالث
مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية





deltapress@terra.net.lb



deltapress@terra.net.lb


الديباج الوضي

الدِّيْبَاجُ الوَضِيّ

فِي الكَشْفِ عَنْ أَسْرَارِ كَلَامِ الوَصِيّ

« شَرْح نَهْج البَلَاغَة »

تأليف

الإمَامُ المؤيّدُ بالله

أبي الحُسَين يَحْيَى بن حَمْزَة بن عَلِي الحُسَيْني

(٦٦٩ - ٧٤٩) هـ

تحقيق

خَالِد بن قَاسِم بن مُحَمَّد المُتَوَكِّل

إشراف

الأستاذ/ عَبد السَّلام بن عَبّاس الوَجِيه



المجلد الثالث


مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

تم الصف والإخراج بمركز النهاري للطباعة – صنعاء – الدائري الغربي جوار الجامعة الجديدة

(ت: ٧١١٦٠٧٣٤)

إخراج: خالد محمد عمر الزيلعي وعبد الحفيظ حسن النهاري

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٣ م

(٢٢٤)


مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صنعاء – الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email :info@izbacf.org



(١١٥) ومن كلام له عليه السلام

قاله للخوارج بعد خروجه إلى معسكرهم، وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال لهم:

(**أكلكم شهد معنا صفين؟**)

فقالوا[1] له: منّا من شهد، ومنّا من لم يشهد.

فقال لهم: (**فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد معناصفين فرقة، ومن لم يشهد فرقة حتى أكلّم كلاً بكلامه**) يعني الذي يخصه ويكون قاطعاً لحجته.

ونادى الناس، فقال:

(**أمسكوا عن الكلام، وأنصتوا لقولي**): أنصت إذا لم ينطق ولا يتكلم، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا**﴾[الأعراف:٢٠٤]، (لقولي) من أجل سماع قولي.

(**وأقبلوا**): من قولهم: أقبل عليَّ بالحديث، وأقبل عليه بالاستماع، قال الله تعالى: ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**﴾[الصافات:٢٧].

---

(١) في (ب): قالوا.

(**بأفئدتكم إليّ**): بتفريغها عن كل ما يشغل، ليكون ذلك أقرب إلى السماع، وأسرع للتفطن للكلام.

(**فمن نشدناه شهادة**): نشده إذا قال له: نشدتك بالله، أي سألتك كأنك ذكّرته الله فنشد أي تذكّر.

(**فليقل بعلمه فيها**): ولا يكتم شيئاً[1] يعلمه، ولايقول شيئاً هو كاذب فيه.

ثم كلمهم بكلام طويل، ووبخهم توبيخاً كثيراً، ثم قال مبكتاً لهم ومقرعاً في مخالفتهم وعصيانهم لرأيه:

(**ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف**): وجعلوها على أسنة الرماح.

(**حيلة**): من جهة عمرو بن العاص.

(**وغيلة**): غاله إذا ختله.

(**ومكراً**): منهم بإظهار ذلك، وغرضهم خلافه.

(**وخديعة**): والمخادعة: هي أن تري صاحبك شيئاً وغرضك خلافه، والمكر والخديعة متقاربان، ثم قلتم مع هذا.

(**إخواننا**): أي هؤلاء إخواننا في الدين.

(**وأهل دعوتنا**): أي والذين نجتمع نحن وهم على دعوة الإسلام، والانحياز إلى كلمة التوحيد.

(١) في (ب): ولا يكتم ما يعلمه.

(**استقالوا**[1]): طلبوا منا الإقالة والرجوع عن بغيهم وعنادهم.

(**واستروحوا إلى كتاب الله**): استروحت إلى كذا، إذا كنت مائلاً إليه.

(**فالرأي القبول منهم**): ما بذلوه من جهة أنفسهم.

(**والتنفيس عنهم؟**): ما هم عليه من الضنك بالقتال والمحاربة، فهذا كله حكاية منه لكلامهم.

(**فقلت لكم: هذا أمر**): أي ما فعلوه من ذلك.

(**ظاهره إيمان**): لما فيه من الإظهار لانقيادهم للحق، والتحكم[2] لأهله.

(**وباطنه عدوان**): لاشتماله على المكر والخديعة.

(**وأوله رحمة**): إما رحمة لهم عن القتل بالسيف، وإما رحمة لهم من أجل ما بذلوه من الرجوع إلى الحق.

(**وآخره ندامة**): عن إفلات الفرصة بعد إسعافها[3] في قتلهم لما تبين حال مكرهم وخدعهم في ذلك.

(**فأقيموا على شأنكم**): في الحرب وقتالهم.

(**والزموا طريقتكم**): في جهادهم، وقطع دابرهم.

(**وعضوا على الجهاد بنواجذكم**): جعل هذا كناية عن إحداث الصبر على القتال، والتجلد له، وقد قررنا تفسير الناجذ في كلام غيرهذا متقدم.

(١) في (أ): واستقالوا، وفي النهج: استقالونا.
(٢) في (ب): والتحكيم.
(٣) المساعفة: المؤاتاة والمساعدة.

(**ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق**): النعق هو: الصوت الذي لايفهم، وإنما يكون للبهائم، يقال: نعق بغنمه إذا صاح لها.

(**إن أجيب ضل**[1]): مجيبه عن الصواب[2] بإجابته لنعيقه، ومجانبته للحق، وانحيازه إلى الباطل.

(**وإن ترك ذل**[3]): بترك الإجابة له، لأنه يكون إذ ذاك قليل العدد فلا يكون لنعيقه وقع بحال.

(**فلقد كنّا مع رسول الله[صلى الله عليه وآله**[4]]): على الجهاد، وقتال أعداء الدين من أهل الشرك وسائر الكفار.

(**وإن القتل ليدور بين الآباء، والأبناء، والإخوان، والقرابات**): أي أن الواحد منّا ربما اضطره القتال إلى[5] ملاقاة أخيه، أو عمه، أو خاله، أو غير ذلك من سائر الأقارب والأرحام.

(**فلا**[6] **نزداد على كل مصيبة وشدة**): مما يصيبنا من ذلك ومن غيره من الشدائد.

---

(١) في النهج: أضل.

(٢) في (أ): الصوت.

(٣) بعده في النهج: وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتكم أعطيتموها، والله لئن أبيتها ما وجبت عليَّ فريضتها، ولا حملني الله ذنبها، ووالله إن جئتها إني للمحق الذي يتبع، وإن الكتاب لمعي، ما فارقني مذ صحبته.

(٤) زيادة في النهج.

(٥) في (أ): إلا.

(٦) في النهج: فما.

(**إلا إيماناً**): تصديقاً بالله وبرسوله.

(**ومضياً على الحق**): في الجهاد على الدين، وعلى التوحيد لله تعالى، وإخلاص العبادة له دون غيره.

(**وتسليماً للأمر**): ما قضاه الله تعالى، وقدَّره فينا من القتل وغيره.

(**وصبراً على مضض الجراح**): ألمه وتعبه.

سؤال؛ أي شيء يريد بهذا الكلام، وما وجه اتصاله بما قبله، حتى أورده على إثره؟

وجوابه؛ هو أنه لما حكى فتنتهم برفع المصاحف، ومخالفتهم لرأيه في قتالهم، ورحمتهم لهم عن القتل عقَّب ذلك بذكر أحوالهم مع الرسول تعريضاً بهم، وإبطالاً لما زعموه من الرحمة، ويذكر أن الواحد منهم في زمن الرسول كان يقتل أباه وابنه، لا رحمة[1] منهم هناك لمن ذكرناه، ويذكرصبرهم على الجهاد، ويؤسيهم بما كان ممن هو أفضل من الصبر والبلوى على أعظم[2] ما هم فيه وأكثر، فليس حالكم اليوم مشبه بحال من سلف.

(**ولكنّا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام**): وإنما سماهم إخوة مع كونهم فسَّاقاً بالبغي توسعاً ومجازاً، كما سمَّى الله قوم صالح، وقوم شعيب إخوة له، مع كونهم كفاراً، كما قال: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا**﴾[الأعراف:٧٣] ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**﴾[الأعراف:٨٥].

---

(١) في (ب): ولا رحمة.

(٢) في (أ): عظم.

(على ما دخلوا فيه من الزيغ والاعوجاج): فالزيغ عن الدين، والاعوجاج عن مسلك الحق.

(والشبهة): في أمر التحكيم.

(والتأويل): يريد خطأهم فيه إنما كان من أجل التأويل.

(فإذا طمعنا في خصلة يلمُّ الله بها شعثنا): أي ما تفرق منّا، يقال: لمّ الله شعثه إذا أصلح أمره.

(ونتدانى بها): أي يقرب بعضنا من بعض بالألفة والمحبة.

(إلى البقية): فنبقي عليهم، ويبقوا علينا، وأراد التصاون[1] عن القتل وإهدار الدماء.

(فيما بيننا): في الأمر الذي نتجاذبه، ويكون سبباً للاختلاف.

(رغبنا فيها وأمسكنا عمّا سواها!): من المحاربة والقتل وسفك الدماء.

واعلم: أنه في آخر الأمر قد رضي بالتحكيم دون ما كان منه في أوله؛ وذلك لأنه لما كان من الفشل والاختلاف، والتنازع العظيم، والشجار الطويل، فيما بين العسكر عند رفع المصاحف من أهل الشام فعند ذلك لم يخلُ الحالُ من أحد وجهين:

إما ترك التحكيم، والإصرار على المقاتلة، والانصراف من غير تحكيم، فهذا يعظم ضرره في الدين لما يبدو في ظاهره من مخالفة كتاب الله وهم يدعون إليه.

(١) في (أ): التصاول على إهدار الدماء.

وإما التحكيم وهوأهون ضرراً لما يرجى فيه من عود الأمر إلى الصلاح، فمن أجل هذا رضي أميرالمؤمنين بالتحكيم، وكلامه ها هنا يشير إلى مصلحته وصوابه، لما أشار إليه من كونه لاماً للشَّعَثِ، وفيه تسكين الدهماء وحقن الدماء، وتقرير لقواعد الألفة والمداناة كما صرَّح به ها هنا، فمن أجل ذلك رضي به من الوجه الذي ذكرنا[1].

(١) في (ب): ذكرناه.

(١١٦) ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في وقت الحرب

(وأي امرئ منكم أحسَّ من نفسه): علم من حاله، وتحقق من أمره:

(رباطة جأش): شدة[١] قلب يقال: فلان رابط الجأش وربيط الجأش إذا كان شجاعاً شديداً قلبه، وجيش القلب هو: جزعه واضطرابه عند الفزع، ومنه قولهم: جاش الوادي إذا زخر، وكأن الشجاع يربط قلبه[٢] ويمنعه عن الفشل والإزعاج[٣] به.

(عند اللقاء): وهو الحرب، قال حسان:

ونشـــــربُها فتتركنـــــا ملوكـــــاً
وأســــداً لا يُنَهْنِهُنَـــــا اللقـــــاءُ

(ورأى من أحد من إخوانه): أهل دينه.

(فشلاً): جبناً وخوراً.

(فليذبب[٤] عن أخيه): أي يدفع عنه الشر.

(١) في (ب): بشدة.
(٢) في (ب): يربط على قلبه، وفي نسخة: ربط على قلبه ومنعه (هامش في (ب)).
(٣) في نسخة أخرى: والانزعاج.
(٤) في (ب): وشرح النهج: فليذب.

(بفضل نجدته): شجاعته وقوته.

(التي فضّل بها عليه): فضّله الله بأن جعلها فيه، وفي الحديث: «إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل الحية».

(كما يذبُّ عن نفسه): فكما وجب دفع الضرر عن نفسه عقلاً وشرعاً، فهكذا يجب دفع الضرر عن سائر المسلمين شرعاً على جهة الكفاية والسعة، وليجعل ذلك شكراً لنعمة الله تعالى عليه كما فضّله بما جعل فيه من النجدة والبسالة.

(فلو شاء الله لجعله مثله): فكان مستغنياً عنه، ولكن الله بلطف حكمته عرَّضه للتكليف بالذبِّ عنه.

(إن الموت طالب حثيث): مسرع في طلبه للأحياء في استلاب أرواحهم.

(لايفوته المقيم): يذهب عنه لأجل إقامته.

(ولا يعجزه الهارب): لأجل هربه.

(إن أكرم الموت القتل): يشير إلى أمرين:

أما أولاً: فإنما كان كريماً لما رفع الله من مراتب الشهداء، وعظّم من حالهم وأكرمهم بالقتل في سبيله، وخصهم بمصاحبة الأنبياء، حيث قال تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾[الزمر:٦٩].

وأما ثانياً: فلما في القتل من السهولة وخفة الحال في خروج النفس؛ وذلك[١] لأن الأرواح طائشة والنفوس فشلة عند الحرب، فلايحس المقتول بخروج نفسه كما يحسها إذا كان على فراشه.

(١) في (ب): في ذلك.

(والذي نفس ابن أبي طالب بيده؛ لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش[في غير طاعة الله[1]]): لما في ذلك من شدة السرعة بإزهاق الروح وخروجها.

سؤال؛ فإذا كان خروج النفس بالقتل أسهل، فما بال هذا الفضل للشهداء، والثواب على قدر المشقة بالتكليف؟

وجوابه؛ هو أن من يموت على فراشه، فإنه إنما يأتيه الموت كرهاً وهو لا يريده، وهؤلاء الشهداء قد تحققوا الموت عياناً، ثم اقتحموا موارده، وأسرعوا إليه إسراعاً، يمشون مشياً سجحاً، وسعياً قد وطنوا نفوسهم عليه، ووضعوا بين أعينهم مصارع جنوبهم؛ فلأجل ذلك علت درجتهم، ولأمر ما يُسوّد من يسود.

(وكأني أنظر إليكم): استئناف خطاب لأصحابه في حضهم على القتال.

(تكشون كشيش الضباب): الكشيش للأفاعي والضباب وسائر الحرشات[2] إنما هو صوت جلودها، وليس ذلك من أفواهها، والضب: حيوان يسكن الخبوت وحيث يكون إعواز الماء وفقده، وأراد بذلك الجبن والتأخر عن القتال جزعاً وفشلاً.

(لاتأخذون حقاً): إما حقاً لله تعالى وهو إعزاز دينه، وإما حقاً قد أخذ لكم فلا تنتصرون على استرجاعه.

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) في (ب): الحشرات.

(ولا تمنعون ضيماً): إما ظلم من ظلمكم فلاتنتصرون منه، وإما ظلم أحد من الضعفاء فلا تقدرون على الدفع عنه.

(قد خلّيتم والطريق): الواو ها هنا[1] واو مع، والطريق منصوب بالفعل الأول بوساطتها، كما تقول: خلِّ[2] زيداً ورأيه أي مع رأيه، وأراد أنه لا حائل بينكم وبين سكوكها[3].

(فالنجاة للمقيم): فالسلامة حاصلة لمن أقام عليها ولم يتنكب عنها.

(والهلكة للمتلوِّم): التلوم هو: الانتظار والمكث، أي والهلاك لمن تأخر ومكث عن سكوكها[4]، وليفكرالناظر، في قوله: (قد خلّيتم والطريق.....) إلى آخر كلامه مع قصره وتقارب أطرافه، فجرى مجرى الأمثال[5]، ولقد[6] أوجز فأعجز، واستولى مع بلاغته ورشيق فصاحته على معاني يقصر عنها الحد، ويذهب عنها الحصر[7] والعد، وهذا النوع من أنواع البديع يسمى المبالغة، وهو بلوغ الشاعر أوالمتكلم أقصى المراد، وغاية الإمكان في كلامه، ونظيره من القرآن قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الأنعام:١٠٢]،

---

(١) في (ب): الواو هنا.

(٢) في (أ): زحل، وهو تحريف.

(٣) في (ب): سلوكها.

(٤) في (ب): سلوكها.

(٥) في (أ): الامثال.

(٦) في (ب): فلقد.

(٧) قوله: الحصر، سقط من (أ).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[سبأ:٣]، وكقول عمرو بن الأهتم[1]:

ونكـــرمُ جارَنـــا مـــا دام فينـــا

ونتبعُـــهُ الكرامـــةَ حيـــثُ كانـــا

ثم عرّفهم مصالح الحرب[2]، بقوله:

(قدّموا[3] الدارع): اللابس للدرع إذا كان معه ما يتقي به من السهام والرماح، فهو أحق بالتقدم للقتال.

(وأخروا الحاسر): الذي لا مغفر[4] له ولا درع، فهو أحق بالتأخر من حيث كان يقاتل، ولا يصيبه شيء لوقاية الدارع له عن ذلك.

(وعضوا على الأضراس): [و]العض عليها [هو][5]: إيقاع بعضها على بعض.

(فإنه أنبى): نبا ينبو إذا كان مرتفعاً.

---

(١) هو عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري، المتوفى سنة ٥٧هـ أبو ربعي، أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام، من أهل نجد، ووفد على النبي ﷺ فأسلم، ولقي إكراماً وحفاوة، ولما تكلم بين يدي النبي ﷺ أعجبه كلامه فقال: ((إن من البيان لسحراً)) وهو صاحب البيت المشهور:

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

(الأعلام ٥/٧٨).

(٢) في شرح النهج: ومن كلام له (عليه السلام) في حث أصحابه على القتال.

(٣) في شرح النهج: فقدموا.

(٤) المغفر: زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. (مختار الصحاح ص٤٧٦-٤٧٧).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(للسيوف عن الهام): عن الرؤوس، وإنما قال ذلك؛ لأنه إذا اشتد الضرب بالسيف كان أقرب إلى ارتفاع السيوف عن الهامات، كيلا تعض عليها وتلزمها.

(والتووا في أطراف الرماح): فيه وجهان:

أما أولاً: فأراد انعطفوا فيها، وميّلوا[1] قدودكم عليها.

وأما ثانياً: فلعله أراد الطعن بها مقبلاً ومدبراً.

(فإنه أمور للأسنة): الضمير للالتواء، والمور: المجيء والذهاب، وأراد أنه أمضى لشباها وأعظم لدخولها ومجاوزة نصالها.

(وغضوا الأبصار): احفظوها[2] عن تطاولها.

(فإنها[3] أربط للجأش): ربط الجأش هو: الشدة، عن أن يذهب بالفشل[4] والإزعاج.

(وأسكن للقلوب): عن الفشل الذي يكون سبباً للفرار.

(وأميتوا الأصوات): أذهبوها عنكم.

(فإنه أصدد[5] للفشل): الضمير للموت، وإنما كان الأمر كما قال لأن مع السكون تحصل المكيدة في الحرب بفكر وتأمل، ومع كثرة الأصوات يذهب أكثر ذلك ويعظم الخجل.

---

(١) في (ب): وأميلوا.

(٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب: اخفضوها.

(٣) في النهج: فإنه.

(٤) في (أ): الفشل.

(٥) في النهج: أطرد.

(ورايتكم): الراية هي: العَلَمُ، ولقد كان له (عليه السلام) رايات كثيرة في صفين، مع كل أمير من أمرائه راية على انفراده.

(فلا تميلوها): من جانب إلى جانب، فإنه أمارة للاضطراب وقلة الثبات ومع ذلك يوشك الانكسار.

(ولا تخلوها): تسلموها وتذهبوا عنها فتكون منفردة، فيطمع فيكم العدو.

(ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم): كثيري[1] الشجاعة المعروفين بها.

(والمانعين للذّمار[2] منكم): والذين يمنعون ذمارهم، والذمار: ما وراء الرجل من حريمه وماله مما يحق عليه أن يحميه بنفسه، ليكون ذلك أقرب إلى استقامة الأحوال.

(فإن الصابرين على نزول الحقائق): أراد فإن الذين من عادتهم الاصطبار عند حصول الشدائد، ووقوعها من الأمور.

(هم الذين يحفون راياتهم[3]): أي يكونون حولها.

(ويكتنفون حفافيها[4]): كنفه واكتنفه إذا استولى عليه، والحفافان[5]: الجانبان من عن يمينها وشمالها.

---

(١) في (ب): كثير.

(٢) في النهج: الذمار.

(٣) في النهج: براياتهم.

(٤) في (أ): حفاوتها.

(٥) في (أ) و(ب): والحفاوان، وما أثبته من نسخة أخرى.

(ووراءها وقدامها[1]): أي ومن خلفها وأمامها، لا يتركون منها جانباً إلا أحاطوا به وكانوا فيه.

(لا يتأخرون عنها): وتكون متقدمة عليهم.

(فيسلموها): فيكون ذلك إسلاماً لها إلى الأعداء فيأخذونها.

(ولا يتقدمون عليها): وتكون متأخرة عنهم.

(فيفردوها): فتكون منفردة عن المقاتلة والأبطال، فيطمع بها العدو بالأخذ والاستيلاء، وقوله: (فيسلموها، ويفردوها) منصوبان جواباً للنفي قبله كقولك: ما قمت فأقوم.

(أجزأ امرؤ قِرْنَه): القِرن بالكسر هو: الكفؤ في الشجاعة، وأجزأ أي كفى، وهوخبر في معنى الأمر، وأراد ليجزي كل أحد من كان كفواً له في شجاعته.

(وآسى أخاه بنفسه): المواساة: المعاونة في الأمر، أي وليواسِ أحدكم أخاه بنفسه، وليعاونه في القتال.

(ولم يكل قرنه إلى أخيه): وكلت أمري إلى فلان إذا كنت معتمداً عليه، أراد وليكن مقاوماً لقرنه وشاغلاً له، ولا يعتمد على أخيه في دفع قرن نفسه ويضعف عنه، **(فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه)**: لأنه إذا لم يفعل ذلك وضعف عن قتال قرنه اجتمع على أخيه قرنان قرن نفسه وقرن أخيه، الذي عجز عن مقاومته فيصير لامحالة مغلوباً لاجتماعهما عليه.

---

(١) في النهج: وأمامها.

سؤال؛ الواجب في الجهاد أن الواحد يقاوم اثنين من الكفار والفساق، كما قال تعالى: ﴿**فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾[الأنفال:٦٦] فكيف قال: أجزأ امرؤ قرنه؟

وجوابه؛ ليس غرضه بيان المقدار الواجب فيلزم ما قلته، وإنما ذكر[1] المناصفة والمواساة في الحرب والمعاونة، وذلك إنما يحصل بما ذكره دون غيره.

(**وايم الله**): جمع يمين وهي تستعمل في القسم كثيراً، وارتفاعها على الابتداء، وخبره محذوف أي قسمي.

(**لئن فررتم من سيف العاجلة**): أي من قتل الدنيا بأيدي البغاة لأجل[2] فراركم منه ونكوصكم على أعقابكم من أجلهم.

(**لا تسلموا من سيف الآخرة**): عقوبة الآخرة، وإنما جعل عقوبة الآخرة بالسيف توسعاً ومقابلة لما كان في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾[البقرة:١٩٤] فسمى الجزاء عدواناً لما كان مقابلاً له، وهو حسن لأنه يكون انتصافاً، والجزاء من لا تسلموا لأنه جواب الشرط، وكان الأفصح إثبات النون؛ لأن اللام في قوله: لئن فررتم، هي[3] الموطئة للقسم والممهدة لأمره، وصارفة للجواب إليه، كما قال تعالى: ﴿**لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ**﴾[الحشر:١٢] فانظر إلى[4] هذه الأشياء الثلاثة جعل

(١) في (ب): ذكرنا.
(٢) قوله: لأجل سقط من (أ).
(٣) في (أ): فهي.
(٤) في (ب): في.

الجواب للقسم دون الشرط، فهذا هو الأفصح وخلافه جائز، كما قاله أمير المؤمنين في كلامه.

(**أنتم لهاميم العرب**): أجواد[1] الناس وأفاضلهم وساداتهم.

(**والسنام الأعظم**): السنام من كل شيء أعلاه وأرفعه.

(**إن في الفرار موجدة الله**): وجد فلان على صاحبه في قلبه موجدة ووجداناً، إذا غضب عليه قال:

كِلانا ردَّ صاحبَهُ بغَيْظٍ
على حَنَقٍ ووجدانٍ شَدِيدِ[2]

وأراد ها هنا غضب الله تعالى وسخطه الشديدان، وفي الحديث أنه (عليه السلام) كان يقول إذا تأخرعنه بعض أصحابه: «فلان يَجِدُ في[3] قلبه مَوْجِدة علينا، قوموا بنا إليه»[4].

(**والذل اللازم**): لصاحبه في الدنيا بالعار وفي الآخرة بالنار.

(**والعار الباقي**): عليه وعلى عقبه، والعار: السُّبة والعيب، والمعاير: المعايب.

(١) في (أ): أجود.
(٢) في (ب): شديدة، وهو تحريف، والبيت في لسان العرب ٨٨٠/٣ ونسبه لصخر الغي، وروايته فيه:

كلانا رد صاحبه بيأس وتأنيب ووجدان شديد

(٣) قوله: في سقط من (ب).
(٤) الحديث بلفظ: «لعل فلاناً وجد علينا في شيء أو رأى منا تقصيراً اذهبوا بنا إليه» رواه العلامة الشهيد الحسين بن ناصر المهلا في مطمح الآمال ص ٤٥.

(وإن الفار لغير مزيد في عمره): يريد أن الآجال مقدرة، فمن يفرُّ[1] وقد حضر أجله لا ينفعه فراره.

(ولا محجوز بينه وبين يومه): ولا ممنوع من يومه الذي قدره[2] الله له وقضاه عليه.

(مَن رائحٌ إلى الله): سمى جهاد هؤلاء البغاة رواحاً إلى الله تعالى أي إلى جنته ورضوانه.

(كالظمآن يرد الماء!؟): وجه التشبيه حاصل لأمرين:

أما أولاً: فلمكان ما يحصل من انشراح الصدر، والطمأنينة بالجهاد، وبرد اليقين كما يحصل لمن يشرب[3] الماء على ظمأ وعطش.

وأما ثانياً: فلأجل ما يحصل للمجاهد من الراحة بالفوز بالجنة، كما يحصل لشارب الماء على ظمأ[4] من الراحة، وهذا من التشبيهات الرائقة، وكيف ما كان التشبيه أغرب فالبلاغة به أتم وأعجب.

ومن بديع التشبيه قوله:

والشمسُ مُعْرِضَةٌ تَمورُ كأنَّها ... تُرْسٌ يُقلِّبُهُ كميٌّ رامحُ

(١) في (ب): نفر.
(٢) في (أ): قدر.
(٣) في (ب): الشارب الماء.
(٤) في (ب): الظمأ.

وقول آخر:

إذا ما الثريَّا في السماء كأنَّها ... جمانٌ وَهَى من سلكه فتبددا

(الجنة تحت أطراف العوالي): استعارة بديعة، والعوالي هي: الرماح، وأراد أن الجهاد موصل إلى الجنة، ومؤدٍّ إليها، فأدَّى هذا المعنى بهذه العبارة الحسنة، فلو قال: الجنة تجب لمن جاهد بالرماح، فقد عدل عن الاستعارة، وعزل البلاغة عن سلطانها، وعفى رسمها، وأزال معظم شأنها، وقد جاء مثل هذا عن الرسول صلى الله عليه وآله حيث قال: «الجنة تحت ظلال السيوف» و«الجنة تحت أقدام الأمهات» يشير به إلى ما ذكرناه من الاستعارة.

(اليوم تُبلى الأخبار): أي يمتحن أهل الأخبار، والأخبار: جمع خُبر بضم الفاء وهي الاسم من الاختبار[1]، يقال: لأخبرنَّ خبرك أي لأعلمنَّ علمك، ويقال أيضاً: صدق الْخُبْرُ الْخَبَرَ أي أصدق[2] الكلام الفعل.

([والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم][3] اللَّهمَّ، فإن ردوا الحق): الطاعة لله تعالى وامتثال أمري، وترك البغي عليَّ.

(فافضض جماعتهم): فرِّقهم، ومنه فضُّ القرطاس، وافتضاض البكر لأنه تفرق عذرتها، وكان (عليه السلام) كثيراً ما يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء

(١) في (ب): الإخبار.
(٢) في (ب): صدق.
(٣) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج.

بالانتصاف منهم، واللجأ إليه في هدايتهم، وهكذا يفعل المحق ومن كان على بصيرة من أمره وهداية من ربه، بخلاف حال معاوية فإنه مصرٌّ على بغيه لا يخطر بباله شيء من ذلك، وهيهات أين الذهب عن الرغام! وشتان ما بين الخف وذروة السنام، ! ومتى رأينا معاوية مواظباً على خصال الدين، ! ومريداً لجمع شأن[1]كلمة المسلمين.!

(**وشتت**[2] **كلمتهم**): فلا يجتمعون على رأي يكون فيه جمع لشملهم، أو تشتت[3] كلمتهم فيحصل[4] الفشل بكثرة التنازع.

(**وأبسلهم بخطاياهم**): الإبسال هو: الإسلام للهلكة، قال تعالى: ﴿**أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا**﴾[الأنعام: ٧٠].

قال الأحوص[5]:

وإبْسَالي بَنيَّ بغيرِ جُرمٍ لغوناهُ ولا بِدَمٍ مُرَاقِ[6]

---

(١) في (ب): شتات.

(٢) في نسخة أخرى وفي شرح النهج: وشتت، كما أثبته، وفي (أ) و(ب): وتشتت.

(٣) في (ب): أو تشتيت.

(٤) في (أ) و(ب): ويحصل، وما أثبته من نسخة أخرى.

(٥) هو عوف بن الأحوص بن جعفر العامري من بني كلاب بن عامر بن صعصعة، يكنى أبا يزيد، شاعر جاهلي (الأعلام ٩٤/٥).

(٦) في (أ): ولابد من مذاق وهو خطأ، والبيت في لسان العرب ٢١٥/١ ونسبه لعوف بن الأحوص بن جعفر وروايته فيه:

وإبسالي بني بغير جرم بعوناه ولا بدم قراض

قال: وفي الصحاح: بدم مراق، قال الجوهري: وكان حمل عن غني لبني قشير دم ابني السجيفة فقالوا: لا نرضى بك فرهنهم بنيه طلباً للصلح. انتهى.

أي وأسلمهم للنار بما اجترحوه من الذنوب والخطايا.

(**إنهم لن يزولوا عن مواقفهم**): إما عن أماكنهم في الحرب بغياً وعناداً، وإما عمَّا قد غلبوا عليه من البلاد وتمكنوا فيه، بأمر من الأمور التي يرجى إزالتهم بها.

(**دون طعن دراك**): إلا بطعن متدارك يتبع بعضه بعضاً، أو ذي دراك أي تتابع.

(**يخرج منه النسيم**): وهو روح الحياة الجاري في الحلق، لسعة الطعنة وانفتاحها[1]، ويروى النسم، وهو[2] جمع نسمة وهي النفس.

(**وضرب يفلق الهام**): جمع هامة وهي: تدويرالرأس.

(**ويطيح السواعد والأقدام**[3]): أي يسقطها من شدة وقعه.

(**حتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر**): المنسر بالنون هو: القطعة من الخيل، وحتى ها هنا متعلقة بشيء محذوف، تقديره فلا يزال فعلكم بهم هذا الفعل من الطعن والضرب، حتى يرموا بالمناسر بالخيول تتبعها الخيول.

(**ويرجموا بالكتائب**): وهي: جماعة الخيل.

(**تقفوها الحلائب**): قفاه إذا تبعه أي تتبعها الجيوش.

(**حتى يُجرّ ببلادهم الخميس**): يمتد في بلادهم الجيش.

---

(١) في (ب): وانتفاخها.

(٢) في (ب): وهي.

(٣) في شرح النهج: ويطيح العظام ويندر السواعد والأقدام.

(يتلوه الخميس): أي يتبعه جيش آخر، وحتى هذه متعلقة بمحذوف تقديره أي لايزالون يفعلون بهم هذه الأفعال من الرمي بالمناسر، والرجم بالكتائب حتى تجر الجيوش[١] في بلادهم استصغاراً، واستحقاراً بهم.

(وحتى تدعق الخيول في نواحر أرضهم): الدعق: الرمي بحوافر الخيل، والنواحر هي: المتقابلات من الأراضي، يقال: منازل بني فلان تتناحر[٢] أي تتقابل، والنواحر بالحاء المهملة.

(وبأعنان[٣] مساربهم): المسارب بالسين المهملة: المراعي، وبالشين بثلاث من أعلاها: العلالي، والأعنان جمع عنن وهو ما ظهر منها وكله صالح هاهنا، وسماعنا بالسين المهملة.

(ومسارحهم): التي يسرِّحون إليها أنعامهم.

---

(١) في (ب): الجيش.

(٢) في النسخ: تناحر، وأثبته من تفسير الشريف الرضي بالنهج.

(٣) في (ب): وبأعيان.

(١١٧) ومن كلام له [عليه السلام][١] يذكرفيه أمرالتحكيم[٢] وحاله

وقد تكرر ذكره في كلامه، وما ذاك إلا لأجل ما وقع فيه من الشبهة على أهل العراق من أصحابه، واتفق بسببه من الخدع والمكر من أهل الشام.

(إنَّا لم نحكِّم الرجال): خطاب لمن عاب عليه التحكيم، وأشد الناس غلواً فيه أقوام يقال لهم: أصحاب البرانس، حتى قال بعضهم: قد كفرت وكفرنا، وفارقوه من أجل ذلك، فقال معتذراً: (إنَّا لم نحكِّم الرجال) يشير إلى أن انخداع أبي موسى الأشعري، ومكر عمرو بن العاص به لايضرنا في الدين.

(وإنما حكَّمنا القرآن): حيث قالوا: بيننا وبينكم كتاب الله.

(وهذا القرآن): الذي حكَّمناه نحن وهم.

(إنما هو خط مسطور بين الدفتين): حروف وكلمات.

(لا ينطق بلسان): فيعبِّرعن نفسه، ولا يفتقر إلى غيره من الخلق كما ينطق من كان فصيحاً.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) عن أمر التحكيم وحاله انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/٢٠٦-٢٦٠.

(ولابد له من تَرْجُمان): مفسِّر ومعبِّر، وتَرجمان فيه لغتان فتح الفاء وضمها للاتباع، قال الراجز:

وهـــنَّ تلفظـــن بـــه ألفاظـــاً

كالتُرْجُمـــان لُقّـــيَ الأنباطـــا

ويقال: ترجم حديثه، إذا فسَّره بلسان آخر وهو عربي.

(وإنما ينطق عنه الرجال): العلماء به، المظهرون لأحكامه.

سؤال؛ كيف قال في أول كلامه: (إنّا[1] لم نحكّم الرجال)، ثم قال بعد ذلك: (وإنما ينطق عنه الرجال) وهذا تحكيم الرجال، فقد ناقض كلامه؟

وجوابه؛ هو أن غرضه أنّا لم نحكّم الرجال الذي يحكمون من جهة أنفسهم، وإنما حكمنا الرجال الذين حكموا بما أنزل الله في كتابه، فالحكم في الحقيقة إنما هو بكتاب الله خلا أنهم نطقوا به، وعلى هذا يرتفع التناقض من كلامه.

(ولما دعانا القوم): بحمل المصاحف على رءوس الرماح يهتفون بتحكيم القرآن، ويقولون: هلموا:

(إلى أن يحكم[2] بيننا القران): بأن نجعله حاكماً ونحتكم لما[3] ورد فيه عن الله تعالى فأجبناهم إلى ما قالوا[4].

(١) في (أ): وإنا.

(٢) في شرح النهج: نحكّم.

(٣) في (ب): بما.

(٤) في (أ): ما قالوه.

(ولم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله): فيكون اللوم علينا بالتولي عن حكم الله، ونكون كمن نبذه وراء ظهره وأعرض عن حكمه وأمره، وقد ندب الله إلى قبوله وأوجبه بقوله[1]:

(﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾)[النساء:٥٩]: مما شجر بينكم من أمر الدين.

(﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾)[النساء:٥٩]: يفصلان أمره ويظهران الحكم فيه بما يكون فيه صلاح لأمركم وإرشاد لكم.

(فردّه إلى الله أن نحكم[2] بكتابه): لأن كلما كان في الكتاب فهو حكم الله علينا وأمره فينا.

(وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته): لأن كلما كان في السنة فهو حكم الرسول علينا، وهو في الحقيقة صادر عن أمر الله، لأنه (عليه السلام) لا ينطق عن الهوى، خلا أن الله تعالى علم أن المصلحة في الأحكام الجارية علينا، والمشروعة في حقنا، بعضها يكون متعلقه الكتابُ، وبعضها يكون متعلقه السنة.

(فإذا حُكِمَ بالصدق في كتاب الله): ولم يتجاوز عنه إلى غيره، ولا غيِّرت أحكامه.

(فنحن أحق الناس به): باتباعه واقتفاء آثاره والعمل بها.

(١) في النهج: وقد قال الله سبحانه: ﴿فإن تنازعتم...﴾إلخ.

(٢) في (ب): يحكم.

(وإن حُكِمَ بسنة رسول الله [صلى الله عليه وآله][1]): ولم يكن هناك لها مخالفة ولا خديعة ولا مكر.

(فنحن أولاهم بها[2]): بالعمل بها، والاحتكام لأحكامها، فإذا كان الأمر هكذا فلأي وجه نقمتم[3] عليَّ التحكيم والحال هذه، ومن تحقق كلامي هذا عذرني وصوَّب رأيي، مما[4] أتيته من أمر التحكيم، فقد بطل ما قلتموه من إنكاره من أصله.

(وأما قولكم:لِمَ[5] جعلتَ بينكم وبينهم أجلاً؟): وذلك لأنهم أنكروا عليه الأجل، فقال مبطلاً لشبهتهم[6] هذه بقوله:

(فإنما فعلت ذلك): الإشارة[7] إلى جعل الأجل في[8] التحكيم ليكون فيها تأني وتنفس.

(ليتبين الجاهل): ما خفي عليه من الأمر.

(ويتثبت العالم): فيما يعلمه من مصلحة[9] ذلك.

---

(١) زيادة في النهج.

(٢) في النهج: فنحن أحق الناس وأولاهم بها.

(٣) في (أ): نقتم، وهو تحريف.

(٤) في (ب): فيما

(٥) في (أ): لو، وهو تحريف، والصواب: لِمَ، ونص لعبارة في النهج: وأما قولكم: لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التحكيم.

(٦) في (أ): لشبههم.

(٧) في (ب): فإنما فعلت ذلك لأنهما...إلخ.

(٨) في (أ): الأجل والتحكيم.

(٩) في نسخة أخرى: مصالح.

(ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة): التي وقع الكف فيها عن القتال منا ومنهم، والهدنة: الصلح؛ لأنه انعقد الحديث على ذلك أعني ترك القتال بهذه المدة المضروبة للتحكيم.

(أمر هذه الأمة): بالفيء والرجوع إلى الحق، وأرجو أن يجعل الله في ذلك بركة كما كان من الأمر في صلح الحديبية، فإنه لم يكن أعظم بركة على المسلمين منه لما كان فيه من النصر والظفر.

(ولا تؤخذ بأكظامها): مخارج أنفسها، وهو كناية عن ضيق النفس والانزعاج، أي وتكون في فسحة من أمرها.

(فتعجل عن تبين الحق): فتزل عنه بالإعجال.

(وتنقاد لأول الغي): تسابق الضلال والزلل عن الحق، والانقياد لأول الضلال إنما يكون سببه العجلة وترك التأني في الأمور كلها، فلهذا انقدحت المصلحة في ضرب الأجل في التحكيم، فقد بطل ماقلتموه من إنكار ذلك عليَّ وعيبه، فانظر إلى لطف هذه المخاطبة من جهته لهم، وإلى رفق هذه الملاطفة في مكالمتهم، كل ذلك يفعله تقريراً للحجة عليهم وإبطال ما عرض من الشبهة لهم.

(إنَّ أفضل الناس عند الله): أعلاهم عنده درجة، وأقربهم منه منزلة.

(من كان العمل بالحق أحب إليه): يريده ويهواه.

(وإن نقصه): في كل أحواله وأدخل عليه نقصاً.

(وكربه[1]): غمَّه غمّاً شديداً.

(من الباطل): أي هو أحب إليه[2] من الباطل.

(وإن جر إليه فائدة): أوصلها إليه من[3] مال أوغيره.

(وزاده): زيادة ظاهرة.

سؤال؛ ما وجه تعلق هذا الكلام بما قبله؟

وجوابه؛ هو أنه لما مهَّد عذره إليهم في أصل التحكيم وفي ضرب المدة فيه، وأجاب عن شبهتهم في ذلك، وحسم شغبهم بما قاله، أراد أن يقررعندهم موقع الحق فإنه يجب اتباعه وإن تعلقت به المكاره، وإن الباطل يجب اجتنابه وإن كان فيه أعظم المنافع، تحذيراً لهم عن مخالفته، حيث اعتزلوا معسكره وحثا[4] لهم على وجوب اتباعه وامتثال أوامره[5].

(فأين يتاه بكم!): من أين وقعت الحيرة لكم في أمركم، مع ظهورالأمر فيما قلته[6] وإقامة الحجة عليه[7].

(ومن أين أُتيتم!): في مخالفتي وترك متابعتي[8]، فهذا تمهيد عذره عند من أنكر عليه هذا التحكيم من أصحاب البرانس.

(١) في النهج: وكربُه.
(٢) قوله: إليه، سقط من (ب).
(٣) في (ب): في.
(٤)في (أ): واحثا.
(٥) في (ب): أمره.
(٦) في (ب): قبله.
(٧) قوله: عليه زيادة في (ب).
(٨) في (ب): مبايعتي.

(فاستعدوا): يخاطب أصحابه غير هؤلاء.

(المسير[1] إلى قوم): يشير إلى قلَّتهم[2] وحقارة أمرهم.

(حيارى عن الحق): قد لبس الشيطان عليهم أمرهم، فلايدرون أي طريق يسلكون[3] فهم عمي.

(لايبصرونه): فيتبعوه.

(وموزعين بالجور): أوزعته بالشيء إذا أغريته به، قال النابغة:

فهاب ضمران منه حيثُ يُوْزِعُه
طعنُ المعارك عند الْمُحْجَرِ[4] النَّجِد

وأراد أنهم مغرون[5] بالجور.

(لا يعدلون عنه[6]): لكثرة ولوعهم به، وغلبته عليهم.

(جفاة عن الكتاب): مرتفعة قلوبهم عن إتقان أحكامه، وحفظ علومه، أخذاً له من قولهم: جفا السرج على ظهرالفرس إذا كان مرتفعاً عنه.

(١) في نسخة أخرى وفي النهج: للمسير.
(٢) في (أ): فتلهم وهو تحريف.
(٣) في (ب): يسلكونه.
(٤) في (أ): المحجل، وفي نسخة: المحجب هامش في (ب). وبيت النابغة في لسان العرب ٩١٩/٣، والمحجر: جبل ببلاد غطفان، والمحجر أيضاً موضع به وقعة بين دوس وكنانة، والنجد: ما أشرف من الأرض. (وانظر القاموس المحيط صـ ٤١٠، ٤٧٥).
(٥) في (ب): يغرون.
(٦) في النهج: به، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(نُكُبٌ عن الطريق): جمع أنكب، وهو: الذي يعدل عن الطريق، وأراد بذلك مخالفتهم للدين.

(ما أنتم بوثيقة يعلق بها): الوثيقة: ما يمسك به من حبل أوغيره، ويقال: فلان أخذ بالوثيقة من أمره أي بالثقة، أي ما أنتم أهل لأن يعتمد عليكم، ولا أن تكونوا متمسكاً لمن يستمسك بكم في أموره.

(ولا زوافر[1] يعتصم إليها): زافرة الرجل: أنصاره وعشيرته، وإنما عدى الاعتصام بإلى لما كان على معنى الالتجاء، وقياسه التعدية بالباء، كما قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾[آل عمران:١٠٣] ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١٠١] وكثيراً ما يقع التعويل على المعاني، قال الشاعر:

إذا تغنَّى الحمامُ الوَرْقُ هَيَّجَني
ولو يعزين[2] عنها أمَّ عمَّار

فلما كان هيجني في معنى ذكَّرني نصب به أم عمار.

(لبئس حُشاش نار الحرب أنتم): الحش: الإيقاد، يقال: حششت النار أحشها حشاً إذا أوقدتها، ويقال: نعم محش الكتيبة أنت، وفي الحديث: «ويلمِّه محش حرب لو كان معه رجال» في قصة أبي بصير لما أسلمه إلى قريش، ورده إليهم[3]، واللام في لبئس هي المحققة لما بعدها، وسماعنا فيه

---

(١) في شرح النهج: ولا زوافر عز.

(٢) في نسخة ولسان العرب: تعزيت، والبيت في لسان العرب ٣/٨٥٣ بدون نسبة إلى قائله.

(٣) انظر قصة أبي بصير وحديث الرسول ﷺ الذي ذكره المؤلف هنا في السنن الكبرى للبيهقي ٢٢٧/٩، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٢٣- ٣٢٤، تحقيق مصطفى السقا، وآخرين، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م.

بضم الحاء، وأراد بئسما ما تسعَّر به نيران الحرب أنتم، استعارة لجبنهم وخورهم.

(أفٍّ لكم!): اسم من أسماء الأفعال يفيد التسخر[1] من الشيء، وفيه لغات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[الأنبياء:٦٧] موضوع للخبر أي أتسخر[2] من ذلك، يقال[3]: أفُ بالفتح والكسر والضم فهذه ثلاث، ويلحقه التنوين بالحركات الثلاث فهذه ست، وأفَّة وتُفَّة، وأفًّا بالألف، وتُفًّا.

(لقد لقيت منكم برحاً[4]): أي شدة، ويقال: لقيت منه برحاً بارحاً[5] أي شدة عظيمة.

(نُوَّماً[6] أناديكم): بمنزلة من يكون نائماً فأوقظه عن نومه[7].

(ونُوَّماً[8] أناجيكم): بمنزلة من لا لُبَّ له فأفهِّمه، وأراد أنه غير مقصِّر في علاجهم بالقرب والبعد، والسر والجهر، والليل والنهار.

---

(١) كذا في النسختين، ولعل الصواب: التضجر.

(٢) كذا في النسختين، ولعل الصواب: أتضجر.

(٣) في (أ): فقال.

(٤) في النسختين: ترحاً، وفي النهج وشرح النهج: برحاً، كما أثبته وهو الصواب، والترح بالتاء المعجمة من أعلى هو الحزن.

(٥) في النسختين: ترحاً تارحاً، والصواب كما أثبته.

(٦) في (ب): يوماً، وكذا في شرح النهج.

(٧) في (ب): نومته.

(٨) في (ب): ويوماً.

(فلا أحرار صدق[1] عند النداء): فتجيبون النداء وترتاحون عنده، كما يفعله الأحرار أهل الأنفة والحمية[2].

(ولا إخوان ثقة[3] عند اللقاء![4]**)**: أي ولايوثق بهم عند الحرب، وملاقاة الأبطال، وأراد بهذا الكلام إما أصحاب البرانس من الخوارج، وإما أهل الشام من أصحاب معاوية، فكل واحد من هذين الفريقين قد وضع السيف فيه.

ثم التفت إلى تقريع الخوارج وتوبيخهم على فعلهم[5] بقوله:

(فإن أبيتم إلا أن تزعموا[6] أني أخطأت وضللت): اعلم أنهم لما افتتنوا بسبب الحكم ونكصوا على أعقابهم، أبلغ أمير المؤمنين الإعذار إليهم ولاطفهم في الخطاب نهاية الملاطفة، وأمر إليهم ابن عباس بالنصيحة، والارعواء عما هم فيه، وكالمهم مرة بعد مرة لئلا يهريق دماءهم إلابعد الإبلاغ فقال ها هنا: فإن كرهتم متابعتي والانقياد لأمري، وقلتم: إني قد أخطأت الحق في التحكيم، وضللت عن الطريق الواضحة فجرم ذلك عليّ وأنا المأخوذ به.

---

(١) صدق، زيادة في النهج.

(٢) في (ب): كما يفعله الأحرار وأهل الأنفة والحمية.

(٣) في (أ): أنفة.

(٤) في النهج وشرح النهج: النّجاء، وهو الإفضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر. انتهى من شرح الشيخ محمد عبده ص٢٩٧.

(٥) في النهج: ومن كلام له (عليه السلام) للخوارج أيضاً.

(٦) في (أ): فإن أبيتم الآن تزعمون.

(فلِمَ تضللون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي): ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[الأنعام:١٦٤].

(وتأخذونهم بخطئي): ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الأنعام:١٦٤].

(وتكفرونهم بذنوبي): حيث قالوا: قد كفرت وكفرنا.

(وسيوفكم على عواتقكم): تعترضون الناس بالسيف، ولا تكفون عن ذلك.

(تضعونها في البراة والسقم): أراد في ذي البراة وذي السقم، ولكنه بالغ في كلامه حتى جعله نفس ذلك الشيء، كماقالوا: رجل لوم ورجل رضى، جرياً على عادتهم في أساليب البلاغة وفنونها.

(وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب): حيث قتلوا الأطفال فضلاًعن البالغين، وأباحوا دار الإسلام.

(وقد علمتم أن رسول الله [صلى الله عليه وآله][1] رجم الزاني المحصن[2] ثم صلى عليه ثم ورثه أهله[3]): أراد أن يعلمهم أن الإكفار[4]، إنما يكون بدلالة قائمة وحجة واضحة، وأن مجرد الخطأ لو قدّرنا وقوعه لايكون إكفاراً[5] كما توهموه، فإن من جملة جهالاتهم

---

(١) زيادة من (ب) ومن النهج.

(٢) قوله: المحصن سقط من (أ).

(٣) بعده في النهج: وقتل القاتل وورث ميراثه أهله.

(٤) في (ب): الكفر.

(٥) في (ب): كفراً.

اعتقادهم أن كل معصية كفر، والمعاصي[1] على أوجه ثلاثة: كفرية كالشرك بالله وعبادة الأوثان، وفسقية كالزنا، ومعاصي لا يعلم حالها في كونها كفراً ولا فسقاً، وكل واحد من هذه له أحكام مخصوصة تخالف الآخر، فهذا ماعزٌ رجمه رسول الله لما زنى وكان محصناً، وصلّى عليه وورثه أهله، ولو كان كافراً كما زعمتم لما كان ذلك[2]، كما فعل ذلك[3] في سائر الكفار في ترك الصلاة، وعدم الميراث، فكيف تزعمون أن كل معصية تكون كفراً.

(وقطع يد السارق): في قصة المجن لما نزلت آية السرقة[4].

(وجلدالزاني غير المحصن): لما نزلت آية الجلد[5].

(ثم قسم عليهما من الفيء): نصيبهما لما كانا من جملة المجاهدين[6].

---

(١) في (ب): فالمعاصي.

(٢) هو ماعز بن مالك الأسلمي، انظر قصته في أمالي الإمام أحمد بن عيسى ٢/٢٠٠، وأنوار التمام ٥/٦٩-٧١.

(٣) قوله: ذلك، سقط من (أ).

(٤) آية السرقة هي قول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ وفي قصة المجن قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في الأحكام ٢/٢٤٨ ما لفظه: وكذلك روي لنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قطع في مجن كانت قيمته عشرة دراهم. انتهى.
قلت: والمجن هو الدرع. وانظر قصة المجن في أنوار التمام في تتمة الاعتصام ٥/١٠٤، والكشاف ١/٥٩٥.

(٥) آية الجلد هي قول الله تبارك وتعالى في سورة النور: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾

(٦) في (ب): المجاهدة.

(ونكحا المسلمات): يريد أن التناكح كان مشروعاً بين مرتكبي الكبائر، وبين سائر المسلمين.

(فأخذهم رسول الله [صلى الله عليه وآله][1] بذنوبهم): من غير زيادة على ذلك.

(وأقام حق الله عليهم): وهو إقامة هذه الحدود المشروعة عليهم.

(ولم يمنعهم سهمهم من فيء الإسلام): وهومالم يوجف عليه بخيل ولاركاب فهو فيء، ونصيبهم حاصل فيه كما كان ذلك لغيرهم من المسلمين.

(ولم يخرج أسماءهم من بين أهله): يعني أنه لايقال لهم: كفار، ولا يقال: إنهم مشركون، ولا تجري عليهم سائر الألقاب الدالة على الكفر، فهذه الأمور كلها دالة على بطلان مقالتكم، في أن من ارتكب معصية من هذه المعاصي سواء علم كونها فسقاً أولم يعلم أنه يكون كافراً، و يحكم عليه بأحكام الكفار، وتطلق عليه أسماؤهم كما زعموه.

(ثم أنتم شرار[2] الناس): أدخل الناس في الشر، وأعظمهم تلبساً به.

(ومن رمى به الشيطان مراميه): إما صرتم مراميه التي يرمي بها فيصيب لا يخطئ[3]، وإماصرتم أغراضه التي يسدد إليها سهامه،

---

(١) زيادة في النهج.

(٢) في (ب): أشرار.

(٣) في (ب): ولا يخطئ.

وأراد المبالغة في استحواذ الشيطان عليهم، واستيلائه على أفئدتهم بالإغواء.

(وضرب به تيهه): أي وأنتم الذين تاه بكم، وضرب بقلوبكم كل جهة ولعب بها كل ملعب في الحيرة والزلل.

(وسيهلك فيّ): في أمري وشأني.

(صنفان): فريقان من الناس، وفي الحديث: «يهلك فيك ياعلي اثنان: محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ»[1].

(محبٌّ مفرط): أدَّاه إفراط محبته إلى اعتقاده[2] الربوبية، كما حكي عن بعض الغلاة كما كان ذلك في حق عيسى بن مريم[3].

(يذهب به الحبُّ إلى غير الحق): من اعتقاد الإلهية.

(ومبغض مفرط): أدَّاه إفراط بغضه إلى الكفربالله ونسبته إليه.

---

(١) وأخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تأريخ دمشق٢/٢٤٠ رقم (٧٥٦) بسنده عن زادان قال: قال علي رضي الله عنه: (يهلك فيَّ رجلان: محب غالي، ومبغض قالي). وله فيه شواهد تحت الأرقام (٧٥٥) إلى (٧٦٠) وانظر مناقب الحافظ محمد بن سليمان الكوفي ٢/٢٨٣ رقم (٧٤٧) وص ٤٧١ رقم (٩٦٦) والروضة الندية صـ ١٠٤ وما بعدها.

(٢) في (ب): اعتقاد.

(٣) أخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ دمشق ٢/٢٣٤ برقم (٧٤٧) بسنده عن ربيعة بن ناخذ عن علي بن أبي طالب قال: دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «إن فيك من عيسى مثلا: أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به» وهو فيه أيضاً برقم (٧٤٨-٧٥٤)، وهو في الروضة الندية ص ١٠٤ وعزاه إلى المحب الطبري والجامع الكبير للسيوطي، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٨/١١٩، والأمالي الخميسية للمرشد بالله ١/١٣٧.

(يذهب به البغض إلى غير الحق): مثل هؤلاء فإنهم أفرطوا في بغضي حتى نسبوني إلى الكفر بالله جهلاً وضلالاً.

(وخير الناس فيّ حالاً): وأعدل الناس في أمري:

(النمط الأوسط): النمط: جماعة الناس الذين أمرهم واحد، وفي الحديث: «خير هذه الأمة النمط الأوسط، يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي»[1].

(فالزموه): أي خذوا حكمه وكونوا عليه، و[هو][2] إعطائي ما أستحقه من غير زيادة، فيكون ذلك غلواً، ولا نقصان منه فيكون تقصيراً في حقي.

(والزموا السواد الأعظم): أراد العدد الكثير، وهو: ما أجمعت عليه الأمة، واتفقت عليه الآراء من جهتهم، فإن ذلك يكون فيه السلامة.

(فإن يد الله على[3] الجماعة): رحمته ولطفه واقع عليهم بالهداية والإعانة في أمرهم كله.

(وإياكم والفرقة): تحذير لهم عن التفرق في أمرالدين وافتراق الكلمة فيه[4]، وإيا منصوب بفعل مضمر، والفرقة عطف عليه، وتقديره احذروا نفوسكم واحذروا الفرقة.

---

(١) أورده ابن منظور في لسان العرب ٣/٧٢٣ من كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكذلك أورد طرفاً منه ابن الأثير في النهاية ٥/١١٩، وهو بلفظ: «خير أصحابي النمط الأوسط الذي يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي» أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب من حديث للإمام علي (عليه السلام) ٢/٢٨٣، ٤٧١ برقم (٧٤٧) و(٩٦٦).

(٢) سقط من (ب).

(٣) في النهج: مع.

(٤) قوله: فيه زيادة في (ب).

(فإن الشاذ من الناس للشيطان): الخارج عن أمرهم ورأيهم بعد اتفاقهم عليه، يستولي[1] عليه الشيطان ويكون من حزبه.

(كما أن الشاذة من الغنم للذئب): يستولي عليها بالأكل لانفرادها.

(ألا): حرف للتنبيه.

(من دعا إلى هذا الشعار): بكسر الفاء هو: العلامة، وأراد شعارهؤلاء الخوارج الذين اعتقدوا إباحة[2] الدار وحل قتل الخلق.

(فاقتلوه): فذلك يكون حدّه وعقوبته على ما فعله.

(ولو كان تحت عمامتي هذه): يشير بذلك إلى نفسه، كما تقول لمن تذمه: أبعد الله حشو تلك الثياب.

(وإنما حُكِّم الحكمان): لا لغرض من الأغراض.

(إلا[3] ليحييا ما أحيا القرآن): من الأحكام والسنن.

(ويميتا ما أماته[4] القرآن): من البدع والضلالات.

(وإحياؤه الاجتماع عليه): منّا ومن مخالفنا.

(وإماتته الافتراق عنه): فلا نأتيه ولا يأتوه اتباعاً لأمر الله وامتثالاً لحكمه.

---

(١) في (ب): مستولي.
(٢) قوله: إباحة سقط من (أ).
(٣) إلا، سقط من النهج.
(٤) في النهج: أمات.

(فإن جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم): على ما قالوه وذهبوا إليه.

(وإن جرّهم القرآن إلينا اتبعونا): إلى[1] ما قلناه وذهبنا إليه، وإنما قدَّم أمير المؤمنين ذكر اتباعه لهم على اتباعهم له جرياً على عادته في الملاطفة، واستمراراً على طريقته في المناصفة، مع أن اتباعه أحق، وتقديم ذكره أولى، ولله درُّه ما أسمح[2] خلائقه وأوطئ أكنافه[3].

(فلم آت لا أباً لكم بُجراً): البُجر بضم الفاء هو: الشر، ويقال: الداهية أيضاً يقال: لا أب لك ولا أباً لك ولا أمر لك أيضاً، وأراد ذمهم ها هنا كأنه قال: لاراحم لكم ولا مشفق لكم كشفقة الأب.

(ولا ختلتكم عن أمركم): الختل: الخدع، أي لم أخدعكم عن أمر يكون لكم فيه صلاح.

(ولا لبسته عليكم): إما مخففاً من لبس الأمر إذا خلطه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام:٩] وإما مشدداً مبالغة في ذلك، ومصدرالأول لبساً، ومصدر الثاني تلبيساً، ولا فعلت أمراً ينقمه[4] الله تعالى علي.

(وإنما اجتمع رأي ملَئِكم): خياركم والرؤساء منكم وأهل الرأي:

(على اختيار رجلين): حكَّمناهما في أمرنا هذا: عمرو، وأبو[5] موسى

---

(١) في (ب): على.
(٢) في (ب): ما أسجح.
(٣) أوطئ أي ألين وأسهل، وأكنافه أي جوانبه.
(٤) في (ب): يمقت.
(٥) في (أ): وأبا.

(أخذنا عليهما): من قولهم: أخذت عليه ألا يخونني[1]، وأراد أنا أخذنا العهود[2] والمواثيق وأمرناهما:

(أن لا يتعديا القرآن): يجاوزان[3] أحكامه، ويعدلان عنه.

(فتاها عنه): أخذا في غير طريقه، وسلكا غير سبيله.

(وتركا الحق): وراء ظهورهما.

(وهما يبصرانه): أي أن عدولهما عنه ما كان عن[4] تعمية ولا لبس جرى عليهما، وإنما كان زيغاً عن الحق، وصدّاً عن السبيل عمداً وقصداً، لا عذر لهما فيه.

(وكان الجور هواهما): عدولهما عن الحق وانصرافهما عنه.

(فمضيا عليه[5]): من غير تلوّم ولا مراقبة لله تعالى، ولا خوفاً من وعيده[6]، وكأنهما لم يسمعا قوله تعالى: **﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**[المائدة:٤٤] وإلى قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «ملعون من خان مسلماً أو غرّه» فكيف حال إمام المسلمين، وأمير المؤمنين، ومن يليه من أهل الحق!

---

(١) في (أ): يخزيني.

(٢) في (ب): العهد.

(٣) في (ب): يتجاوزان.

(٤) قوله: عن، سقط من (أ).

(٥) في (ب): عنه.

(وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة): أراد أنّا قد قلنا لهما: قد حكمناكما فلا تحكما إلا بحكم الله تعالى.

(بالعدل): وهو الإنصاف.

(والصمد للحق): والقصد إليه واتباعه.

(سوء رأيهما، وجور حكمهما): جار عن الطريق إذا عدل عنها، أي أن سوء الرأي وجور الحكم من جهتهما مسبوقان[1] بما ذكرنا من الاستثناء، فلا حكم لهما في ذلك ولايلتفت إليهما مع الاستثناء، فخدعهما بعد ذلك ومكرهما إنما هو على أنفسهما ووباله عليهما ولايلحقنا فيه[2] شيء: **﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**[فصلت:٤٦].

---

(٦) في (ب): غيره.

(١) في النسخ: مسبوقين، وهو تحريف، والصواب كما أثبته لأنه خبر أن.

(٢) في (ب): منه.

(١١٨) ولما عوتب على التسوية في العطاء[١] قال:

(**أتأمرونني**[٢] **أن أطلب النصر بالجور**): قالوا: يا أمير المؤمنين، إن درجات الناس متفاضلة فلا تساوي الناس في العطاء، ولا تجعل من والاك كمن عاداك، ولا من نصرك بمنزلة من خذلك، فقال لهم ذلك، وأراد أني لا أطلب النصر بالمفاضلة كما زعمتم، فيكون ذلك حيفاً مني على من فاضلت عليه، وظلماً له وعدولاً في الحق في التسوية.

(**فيمن وليت عليه**!): من كانت لي عليه ولاية من المسلمين وأهل الديانة.

(**والله ما**[٣] **أطور به**): لا أقربه ولا أفعله.

(**ما سمر سمير**): ما هذه زمانية، مثلها في قولك: انتظرني[٤] ما جلس القاضي أي مدة جلوسه، وقوله: (سمرسمير) فيه وجهان:

أما أولاً: فيريد به السامر، وهو الذي يتحدث بالليل.

(١) في شرح النهج: ومن كلام له (عليه السلام) لما عوتب على التسوية في العطاء وتصييره الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولي السابقات والشرف.

(٢) في شرح النهج: أتأمروني.

(٣) في النهج: لا.

(٤) في (ب): انظرني.

وأما ثانياً: فيريد به الدهر أي لاأفعله الدهر كله، وابنا سمير هما: الليل والنهار.

(**وما أمّ نجم في السماء نجماً**!)[١]: أي تقدم، ومنه الإمام لأنه يتقدم على غيره.

(**ألا وإن إعطاء المال في غير حقه**): الذي فرضه الله تعالى وقدَّره.

(**تبذير وإسراف**): وقد ورد النهي عنهما، كماقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾[الإسراء:٢٦] [وقال تعالى][٢]: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾[الأنعام:١٤١] لأنهما كلاهما إنفاق من غيرقصد وزيادة على الحق.

(**وهو يرفع صاحبه في الدنيا**): الضمير للإعطاء، والرفع في الدنيا هو: ما يظهر له في ألسنة الناس من المدح والثناء.

(**ويضعه في الآخرة**): لما فيه من ارتكاب النهي فينقص[٣] أجره بذلك.

(**ويكرمه عند**[٤] **الناس**): بتعظيمهم له وتبجيلهم إياه.

(**ويهينه عند الله**): ينقص أجره، ولايكون له حق عنده.

(**ولم يضع**[٥] **امرؤ ماله في غيرحقه**): بإنفاقه في المعاصي، والإسراف فيه والتبذير.

(١) بعده في النهج: ولو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله.

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (ب): فينتقص.

(٤) في النهج: في.

(٥) في (أ): ولا يضع.

(وعند غير أهله): من أهل الفسوق، وأقران السوء، وأخدان[1] الفساد.

(إلا حرمه الله شكرهم): إما بإلقاء العداوة في قلوبهم له فلايشكرونه، وإما بصرف شكرهم إلى غيره.

(وكان لغيره ودهم): أي وكانت محبتهم مصروفة إلى غيره.

(فإن زلت به النعل يوماً): أصابته نكبة من نكبات الدهر وسقطة من سقطاته، فجعل زلل النعل كناية عن ذلك لما كان زلل النعل يتلوه السقوط لا محالة.

(فاحتاج إلى معونتهم): بالمواساة وجبران حاله.

(فشر خدين): أي فهو شر صديق، والمخادنة: المصادقة، لتأخره عن نصرته.

(وألأم خليل): اللؤم: الشح، أراد وألأم صاحب.

سؤال؛ كيف يتأتى ما ذكره أمير المؤمنين من حرمان الشكر وصرف المودة؟

وجوابه؛ هو أنه إذا أنفقه لغير الله وكان إنفاقاً في السرف والمعصية، فربما سهل الله العداوة بينهم وخذلهم حتى حصلت البغضاء، فكان سبباً لبطلان ذلك وانقطاعه[2]، وكثير ما يشاهد ما ذكره في أحوال جمع من الخلق يوجد ذلك في حقهم.

---

(١) في (ب): وأحداث.

(٢) في (أ): بانقطاعه، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(١١٩) ومن كلام له عليه السلام يخبر به عن الملاحم بالبصرة

الملاحم: جمع ملحمة، وهي: عبارة عن مواقع الحرب الشديدة، ولهذا قال حيي بن أخطب لما قتل الرسول بني قريظة عن آخرهم: بلاء وملحمة كتبت علي بني إسرائيل[1].

(يا أحنف): يخاطب الأحنف بن قيس[2]، وكان من أصحابه، ويضرب به المثل في الحلم.

(كأني به): الضمير لصاحب الزنج[3]، وحكي أنه كان رجلاً من قرية

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢٤١/٢ (ط٢) ١٣٧٥هـ -١٩٥٥ تحقيق مصطفى السقا وآخرون.

(٢) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، المتوفى سنة ٧٢هـ سيد تميم وحليمها، قيل: أدرك النبي ﷺ ولم يره، وروي أن النبي ﷺ دعا له، روى عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وأبي ذر، والعباس، وعمر، وعثمان، وطائفة، وعنه الحسن البصري، وحميد بن هلال العبدي، وآخرون، شهد مع الإمام علي (ع) صفين ثم عاتبه معاوية فيما بعد فأغلظ له الجواب (انظر معجم رجال الاعتبار ص ٣٨) ت (٦٥).

(٣) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٢٦/٨-١٢٧ ما لفظه: فأما صاحب الزنج هذا فإنه ظهر في فرات البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين: رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ في البصرة، وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيين، وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس، وأنه علي بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه أسدية من أسد بن خزيمة، جدها محمد بن حكيم الأسدي، من أهل الكوفة، أحد الخارجين -

من قرى الري، يقال لها: ورزنين وكان يزعم أنه من أولاد أمير المؤمنين، شخص إلى البحرين، ودعا قوماً إلى طاعته فاتبعه جماعة، ووقعت بسببه عصبية[1] قتل فيها جماعة، ثم انتقل إلى البادية، وادَّعى عليهم النبوة، فقال يوماً لأصحابه: إني أمرت أن أقصد البصرة فخرج إليها من حيث كان وتبعه أقوام من أهلها، وكان أهل البصرة يشترون الزنوج كثيراً ويستعملونهم في حوائجهم وزراعاتهم، وكان يدسُّ إليهم من يخدعهم ويمنّيهم الأماني الكاذبة، حتى اجتمع إليه خلق عظيم وبشر كثير من غلمان الزنج فوعدهم أن يملّكهم الأموال، ويبسط[2] أيديهم فيما تهواه أنفسهم وتريده خواطرهم من أموال الناس، وحرمهم وحلف لهم الأيمان المغلظة، أن يفي لهم بما وعد وألا يغدرهم ولا يخذلهم، وكان كل غلام يتصل به فإنه يأخذ مولاه ويحبسه، فلما تمَّ له اجتماع الغلمان دعا مواليهم، فقال لهم: إني أردت أن أضرب أعناقكم لإساءتكم إلى هؤلاء الغلمان، استضعفتموهم وحمَّلتموهم ما لا يطيقون[3]، وقد كلمني

مع زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) على هشام بن عبد الملك، فلما قتل زيد، هرب فلحق بالري، وجاء إلى القرية التي يقال لها: ورزنين، فأقام بها مدة، وبهذه القرية ولد علي بن محمد صاحب الزنج وبها منشؤه، وكان أبو أبيه المسمى عبد الرحيم رجلاً من عبد القيس، كان مولده بالطالقان، فقدم العراق، واشترى جارية سندية، فأولدها محمداً أباه، إلى أن قال في ص١٢٨-١٢٩: وقد ذكر المسعودي في كتابه المسمى (مروج الذهب) أن أفعال علي بن محمد صاحب الزنج تدل على أنه لم يكن طالبياً، وتصدّق ما رمي به من دعوته في النسب؛ لأن ظاهر حاله كان ذهابه إلى مذهب الأزارقة في قتل النساء والأطفال والشيخ الفاني والمريض، وقد روي أنه خطب مرة فقال في أول خطبته: (لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر لا حكم إلا لله) وكان يرى الذنوب كلها شركاً.

(١) في (ب): قضية.

(٢) في (ب): ويسلط.

(٣) في (أ): ما يطيقون.

أصحابي فيكم فرأيت إطلاقكم، فقالوا: إن هؤلاء الغلمان آبقون[1] منَّا وهم يهربون منَّا ومنك فلا يبقون علينا ولا عليك، فخذ منَّا مالاً وأطلقهم علينا فأمرغلمانه وأحضروا[2] عصا، ثم بطح كل غلام مولاه وضربه خمسمائة ضربة، وحلفهم بطلاق نسائهم ألا يعلموا أحداً بموضعه ولا بعدد أصحابه ثم أطلقهم.

(وقد سار بالجيش): ثم جعل يجمع الناس حتى اجتمعوا إليه، من كل صنف خلق عظيم خاصة من الزنج.

(الذي لا يكون له غبار): يعلوهم لخفة مشيهم على الأرض.

(ولا لجب): أصوات عظيمة لصموتهم.

(ولا قعقعة لُجم): أراد أنه لاخيل معهم، وقعقعة اللجم هو: حركتها وحركة الأسلحة أيضاً، وفي المثل: فلان ممن لايقعقع له بالشنان[3].

(ولا حمحمة خيل): الحمحمة: أصوات الخيل إذا طلبت العلف، وعند الحرب أيضاً.

(يثيرون الأرض بأقدامهم): يحفرونها بشدة الوطئ منهم.

(كأنها أقدام النعام): في جدتها وسرعة سيرها، ثم إنه سار بعد ذلك لحرب[4] البصرة فأخربها، واستولى على البلاد، وبنى الحصون والقلاع،

(١) أبق العبد يأبق بكسر الباء وضمّها أي: هرب.

(٢) في (ب): وأحضروهم.

(٣) أي لا يخدع ولا يروع، انظر المعجم الوسيط ٧٥٠/٢ والقاموس المحيط ص ٩٧٣

(٤) في (ب): لخراب.

ونهب الأموال، وسبى النسوان والذراري، وابتلي الناس منه بأشد البلاء وأعظمه، وله قصص طويلة، وحاش لله وكلا أن يكون من هذه حاله في الفسق وتسويس[1] الدين من العترة الزكية، الذين جعل الله فيهم النبوة، ووضع فيهم الإمامة، وجعلهم أئمة للهدى[2]، وسادة لأهل التقوى، ثم امتد أمره إلى أيام المعتمد بن المتوكل فبعث أخاه أبا أحمد الموفق في جيش عظيم إلى ولايته، فجعل ينقض أطرافه ويأخذ قلاعه، وخرَّب بلاده وحرَّق دياره، ويعطي كل من خالف عليه وخذله الأموال النفيسة حتى قتله، وكان ذلك في المحرم سنة سبعين ومائتين من الهجرة[3].

(**ويل لسكككم العامرة**): السكك جمع سكة وهي: الأزقة والشوارع.

(**والدور المزخرفة**): المنقوشة.

(**التي بها**[4] **أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم**[5] **الفيلة**): شبه شُرَفاتها[6] وبروجها في الدقة والطول والرشاقة بأجنحة النسور عند طيرانها، وخراطيم الفيلة.

(**من أولئك**): أي من خرابهم لها وهدمهم لهذه الدور، وتغيير هذه الزخارف.

---

(١) في (ب): وتشويش.

(٢) في (أ): الهدى.

(٣) عن أخبار صاحب الزنج انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢٦/٨-٢١٤ تجدها فيه بالتفصيل.

(٤) في النهج، وفي نسخة أخرى: لها.

(٥) قوله: كخراطيم، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(٦) شُرْفة القصر واحدة الشُّرَف كغرفة وغُرَف، والشرف العلو والمكان العالي وجبل مشرف أي عالٍ. (مختار الصحاح ص٣٣٥).

(**الذين لا يندب قتيلهم**[1]): لضراوتهم بالحرب وشجاعتهم وكثرة الشطارة[2] فيهم.

(**ولايفقد غائبهم**): لقسوة قلوبهم فلا يذكرون لهم غائباً ويقدرونه كأنه لم يكن.

(**أنا كابُّ الدنيا لوجهها**): كبَّه على وجهه إذا صرعه فأكبَّ على وجهه.

(**وقادرها بقدرها**): من الحقارة والانقطاع والتنغيص في لذاتها، والتغير في نعيمها، وقدره لها إعراضه عنها فلا يلتفت إليها بحال.

(**وناظرها بعينها!**): أي بالعين التي يصلح النظر بها إليه من الإزدراء والحقارة، وإنما أضاف العين والقدر إليها تنبيهاً على ماذكرنا؛ لأن لها قدراً تختص به عنده وعيناً ينظر بها إليها فلهذا أضافهما إليها[3].

سؤال؛ ما وجه اتصال قوله: أنا كابُّ الدنيا بما قبله حتى أورده على أثره، وليس بينهما ملاءمة[4] ولاتقارب؟

وجوابه من وجهين؛

أما أولاً: فلأنه لما ذكر صاحب الزنج وما حدث بسببه من تغير[5] الدنيا، وتقلبها بأهلها وأن ذلك كله من محنها وبلواها، عقَّب ذكرمنزلة الدنيا عنده وقدرها في حقه.

---

(١) في (أ): قتلهم.

(٢) الشطارة: الخبث، والشاطر: الذي أعيا أهله خبثاً.

(٣) في (أ): إضافتهما إليهما.

(٤) في (ب): ملازمة.

(٥) في (ب): تغيير.

وأما ثانياً: فيمكن أن يكون هذا من الاستطرادات البديعة في كلامه وهو أحسن، وهو أن يذكر كلاماً على إثر كلام ليس بين الأول والآخر قرب[1] ولا مداناة وهذا منه، وهو نوع من أنواع البديع قد نبهنا عليه في مواضع من كلامه.

ومن بديع ما ورد في الاستطرادات[2] قول السموأل[3]:

ونحن أناسٌ لا نرى القتل سُبَّة
إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
تقرِّب حبَّ الموتَ آجالُنا لنا
وتَكرهه آجالُهم فتطولُ

فالبيت الثاني كالدخيل على الأول، وأعجب منه قول آخر:

خليليَّ من كعب أعينا أخاكما
على دهره إن الكريمَ مُعِيْنُ
ولا تبخلا بخل ابن قَزْعَة إنه
مخافة أن تُرجَى يديه حزينُ

(١) في (ب): دنا.

(٢) في (ب): الاستطراد.

(٣) هو السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، المتوفى نحو سنة ٦٥ق.هـ شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر في شمالي المدينة، أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

وهي من أجود الشعر، وله ديوان شعر مطبوع صغير (انظر الأعلام ١٤٠/٣).

فذكر في الأول الإعانة، وذكر في الثاني البخل، وليس بينهما تعلق ولا مداناة.

ثم أردف ذلك بوصف حال الأتراك وأمرهم:

الترك: جيل من العجم.

(كأني أراهم قوماً): جماعة.

(كأن وجوههم المَجَانُ المُطرقة): الْمَجَانُّ جمع مِجَنّ وهو: الترس، والمطرق: المجعول بعضه على بعض كالنعل المطرقة طباقاً، شبَّه وجوههم بها لسعتها وكبرها، وقد ورد ذلك في كلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

(يلبسون السَّرق): جمع سَرَقة مثل سَعَفَة وسَعَف وهي: ثياب الحرير.

(والديباج): وهو: نوع من أنواع الحرير أيضاً، والديباج والسرق فارسيان معربان.

(ويعتقبون الخيل العتاق): يحتبسونها للركوب والقتال، من قولهم: اعتقبت الرجل إذا حبسته، وفرس عتيق إذا كان ناعم الخلق كثير السبق.

(ويكون هناك استحرار قتل): حر القتل واستحر[2]، إذا اشتدَّ وكثر.

(١) انظر النهاية لابن الأثير ١٢٢/٣، والحديث بلفظ: ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة)) أخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢٦٤/٢ بسنده عن أبي هريرة، وهو فيه أيضاً بإسناده عن بحر بن تغلب من حديث بلفظ: ((إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا أقواماً كأن وجوههم المجان المطرقة)).

(٢) في (أ): واستحره.

(حتى يمشي المجروح على القتيل): لكثرة القتلى.

(ويكون المفلت): الناجي من القتل والأسر.

(أقل من المأسور): كل ذلك مبالغة في شدة الأمر وعظمه، وكل ما ذكره إما قد كان بعده، وإما سيكون بعد ذلك، ولعله يشير إلى الدجال، كما قد مضى ذكره في موضع غير هذا.

واعلم: أنما ذكره ها هنا من أخبار صاحب الزنج، ثم حال الأتراك إنما هو بإخبار الرسول إياه بذلك، وتعريفه به[1] من جهته، ويدل على ذلك بأنه لما ذكر ما ذكره من هذه الأمور قال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك (عليه السلام) وقال للرجل وكان كلبياً:

(يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب): أراد أن علم الغيب لايكون له سبب سحر ولا غيره من سائر الأسباب.

(وإنما هو تعلّم من ذي علم): أي أني[2] تَعَلَّمْتَهُ ممن أَعْلَم[3] به من جهة أخبار السماء وهو رسول الله.

(وإنما علم الغيب): العلم الذي لا ينبغي لأحد أن يطلع عليه إلا الله تعالى.

(علم الساعة، وما عده[4] الله تعالى بقوله[5]: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

(١) في (ب): له.
(٢) قوله: إني، سقط من (ب).
(٣) في (ب): ممن هو أعلم به ...إلخ.
(٤) في النهج: وما عدده.
(٥) قوله: بقوله، سقط من (أ).

وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:٣٤]، **فيعلم سبحانه ما في الأرحام)**: أي[1] ما استقر فيها وما خلق[2] فيها وقدر.

(من[3] ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، أو سخي[4] أو بخيل): فذكر وأنثى من صفات الخلقة، وقبيح وجميل من صفات الصورة والتركبة، وسخي وبخيل من صفات الطبائع[5] والخلايق.

(وشقي وسعيد[6]): من صفات الأفعال[7].

(ومن يكون للنار حطباً): من الكفار والفساق، وسائر أهل الضلالات والبدع والأهواء.

(وفي[8] الجنان للنبيين مرافقاً): وهم[9] الأولياء والصالحون وسائر الأبرار.

(فهذا علم الغيب الذي لايعلمه أحد[10] إلا الله): لما في ذلك

(١) قوله: أي زيادة في (ب).
(٢) في (ب): وما ظنّ.
(٣) قوله: من زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(٤) في النهج: وسخي.
(٥) في (ب): الطباع.
(٦) في النهج: أو سعيد.
(٧) في (أ): الاعمال، هكذا، وهو غامض.
(٨) في (ب): أو في.
(٩) في (أ) و(ب): وهو، وما أثبته من نسخة أخرى.
(١٠) قوله: أحد، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

من المصلحة التي استأثرالله تعالى بعلمها من علم الآجال والأرزاق وغير ذلك، فإن في سترها عن الخلق مصالح وأسرار، وحكمة عظيمة قد أحاط الله بها.

(وما سوى ذلك): من سائرالمعلومات.

(فعلّمه الله نبيه [صلى الله عليه وآله][1]): لما فيه من المصلحة[2] الغائب عنّا علمها.

(فعلمنيه): بأن ألقاه إليّ وأخبرني به.

(ودعا لي بأن يعيه صدري): فلا أنساه.

(وتضطم عليه جوانحي): الجوانح هي: عظام الصدر، الواحدة منها[3] جانحة، وتضطم أي تشتمل عليه.

واعلم: أن ما ذكره (عليه السلام) من علوم الغيوب، كما نجوِّز أن يكون ذلك من جهة الرسول (عليه السلام) كما قال، وكنّا نجوِّز أن يكون ذلك كرامة له من الله تعالى أكرمه بها، وعلم أن له في ذلك مصلحة استأثر بعلمها، خاصة إذا قلنا: يجوز إظهار الكرامات على الأولياء والصالحين كما هو مذهبنا، فأما سائر أصحابنا وأكثرالمعتزلة فقد منعوا من إظهار الكرامات، وقد قررنا ما نختاره في الكتب العقلية.

---

(١) زيادة في النهج.
(٢) في (أ): المصلحية.
(٣) قوله: منها سقط من (أ).

(١٢٠) ومن كلام له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين

(عباد الله، إنكم وما تأملون من هذه الدنيا): من هذه لابتداء الغاية، والواو في قوله: (وما تأملون) إما للعطف على الضمير فتكون [ما] موصولة، أي والذي تأملون، أو تكون واو مع أي مع الذي ترجونه من عاجلها وعيشها المنقطع.

(أثوياء): جمع ثوي؛ وهو الضيف، أويكون اشتقاقه من ثوى بالمكان إذا أقام فيه، وأراد أنكم فيها بمنزلة الضيف و[1]مقيمون إقامة حقيقة.

(مؤجلون): لكم آجال مقدرة لايزاد عليها ولا ينقص منها.

(ومدينون): إما من أدانه إذا أقرضه، وإما من دانه إذا أذله واستعبده، وإما من دانه بمعنى جزاه، وكلها صالحة ها هنا.

(مقتضون): أي يقتضى منكم ما أسلفتموه، وهذا يؤيد تفسير مدينون من دانه إذا أقرضه، ولهذا أورده على أثره.

(أجل منقوص): غيرمتطاول.

(وعمل محفوظ): مكتوب في الصحف على أيدي الملائكة .

---

(١) في (ب): أو.

(فرب دائب مضيع): دأب في عمله إذا أجد[1] فيه وأتعب نفسه، أي ربما جد في ذلك وهو في الحقيقة مضيع لإبطاله[2] لعمله بالمعصية، أو لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى، فلهذا كان بمنزلة من ضيَّع العمل بل هو أخسر صفقةمنه؛ لكونه قد أتعب نفسه ولم ينفعه الله بعمله.

(ورب[3] كادح خاسر): الكدح: السعي بالكد، أي أنه ربما كدح وخسرفي عمله؛ لأنه لما يأتِ به مطابقاً لرضوان الله ووجهه.

(وقد[4] أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً): يخاطب به أصحابه، وإذا كان الحال ما قاله في ذلك اليوم والخير كثير، والشريعة غضَّة طرية، ورسول الله [صلى الله عليه][5] لم يبل قميصه، فكيف حالنا في هذه الأزمان، فإنّا با لله عائذون!

(ولا الشر فيه[6] إلا إقبالاً): بالفتن في الأديان وسائرالضلالات.

(والشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً): لما يكون هناك من الإعراض عن الله والرغبة في الدنيا، وعند ذلك يحصل الطمع، و[7]يعظم رجاؤه في الانقياد له.

---

(١) في (ب): أخذ.
(٢) في (ب): لإبطانه.
(٣) في (ب): رب، بغير واو.
(٤) في (ب): قد، بغير واو.
(٥) زيادة في (ب).
(٦) فيه، زيادة في النهج.
(٧) الواو زيادة من نسخة أخرى.

(فهذا أوان): وقت، والأوان: عبارة عن الزمان الذي يقع فيه كلام المتكلم، وجمعه آونة كزمان وأزمنة.

(قويت عدته): الضمير للشيطان، وأراد بالقوة المكر والخديعة بالخلق وكثرة الإغواء لهم[1]، وهو استعارة لقوة الأمر في ذلك، والعائد محذوف تقديره فيه؛ لأن الجملة صفة لأوان، فلا بد[2] فيها من ضميره[3].

(وعمّت مكيدته): كاده يكيده كيداً ومكيدة إذا مكر به وخدعه.

(وأمكنت فريسته): أي استمكنت وصارت ممكنة لمن يفترسها، وأراد أنهم ليسوا ممتنعين منه متى شاء فرسهم، فبلغ هو الغاية في زللهم وإغوائهم، ومصداق ذلك وأمارته ما أقوله لك:

(اضرب بطرفك): أجل طرفك[4] وفكرفي نفسك.

(حيث شئت): من الأماكن والجهات.

(من الناس): من لابتداء الغاية.

(فهل تنظر[5] إلا فقيراً مكابداً[6] فقراً): يعاني فقره، ويعالج أمره، وحاله في ذلك بالاحتيال على دهره والدخول في كل شبهة، لا يدع باباً إلا ولجه[7]، ولاشبهة له فيها مطمع إلا ارتكبها.

---

(١) في (ب): بهم.
(٢) في (ب): ولا.
(٣) في (ب): ضمير.
(٤) في (ب): نظرك.
(٥) في نسخة أخرى وفي النهج: تبصر.
(٦) في النهج: يكابد.
(٧) في (أ): ولج.

(أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً): أخرجه غناه إلى البطر والأشر، وتعدي حدود الله وارتكاب محرماته، بدل جزاء نعمة الله من الشكر لها والاعتراف بحقها؛ كفراً بالله وخروجاً عن أمره ونهيه.

(أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً): البخل: منع الحق الواجب، والبخيل من فعل ذلك، وأراد أنه توصَّل بالبخل لحق[1] الله ومنع واجباته عن الأداء، وجعله وفراً في ماله وزيادة فيه، ومانع الزكاة يسمى بخيلاً، كما ورد ذلك في شأن ثعلبة بن حاطب، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[التوبة:٧٦] فسماه الله بخيلاً لما منع حقه الواجب عليه في ماله، والقصة فيه معروفة[2].

---

(١) في (ب): بحق.

(٢) ذكرها العلامة الزمخشري رحمه الله في الكشاف ٢٧٨/٢ فقال: روي أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال ﷺ: ((يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه)) فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسئل عنه رسول الله ﷺ فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه واد، قال: ((يا ويح ثعلبة)) فبعث رسول الله ﷺ مصدّقين لأخذ الصدقات، فاستقبلهما الناس بصدقاتهم، ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ الذي فيه الفرائض، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، وقال: ارجعا حتى أرى رأيي، فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ أن يكلماه: ((يا ويح ثعلبة)) مرتين. فنزلت أي الآية الكريمة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ قال: فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال: ((إن الله منعني أن أقبل منك)) فجعل التراب على رأسه فقال: ((هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني)).

(أو متمرداً): خارجاً عن الحد على جهة العتو والاستكبار.

(كأن بأذنه عن سمع[1] المواعظ وقراً): يشبه في بُعْدِهِ عن سماع المواعظ والانتفاع بها من في أذنه صمم وثقل، فهو لا يعرِّج ولاينفعه سماعها.

(أين خياركم وصلحاؤكم): في الدين وأهل الصلاح منكم الذين اختاروا لأنفسهم الآجلة، وصلحت أعمالهم وسرائرهم.

(وأين أحراركم): أهل الأحساب[2] والنفاسة.

(وسمحاؤكم): الذين جادوا بأنفسهم وأموالهم ابتغاء وجه الله تعالى وتقرباً إلى رضوانه.

(وأين المتورعون في مكاسبهم): الآخذين بالحزم في أبواب الكسب، وفي الحديث عن الرسول: ((الجهاد عشرة أجزاء، فتسعة منها في طلب الحلال، وجزء[3] منها في طلب العدو)) وكان من سلف يتركون أبواباً من المكاسب المباحة كي لايقعوا في المحظور من ذلك، وفي الحديث: ((من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه))[4]، وهذا نحو الأموال الربوية، والدخول في الصناعات المكروهة، وتناول الأموال المشكوك فيها، وغيرذلك مما يكون تركه تورعاً، وأخذه دخول في الشبهة وتلبس[5] بها.

---

(١) في نسخة: سماع، (هامش في (ب)).

(٢) في (ب): الإحسان.

(٣) في (ب): وجزءاً.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٧٢٣/٢، وأخرج نحوه الترمذي في سننه ٥١١/٣، والبيهقي ٣٣٤/٥، وهو من حديث رواه في الكشاف ٢٦٠/١.

(٥) في (أ): وتلبساً.

(**والمتنزهون في مذاهبهم**): عن الاعتقادات الردية والخواطر السيئة، والمتنزهون في مذاهبهم أي تصرفاتهم في كل وجه من ذلك.

(**أليس قدظعنوا**): خرجوا، وأراد بذلك من سلف من قرن الصحابة فإنهم كانوا على هذه الصفة، وأبلغ منها في التحرز في الأموال والمكاسب، وكانوا يتركون سبعين باباً من الحلال لئلا يقعوا في الحرام.

(**عن هذه الدنيا الدنية**): سميت الدنيا دنيا لدنوها وقربها بالإضافة إلى الآخرة، والدنية صفة للدنيا إما غير مهموز بمعنى القريبة، كأنه قال عن هذه القربى القريبة، وإما مهموز بمعنى الدون أي الخسيسة المحقرة.

(**والعاجلة**): وإنما سميت عاجلة؛ لأنها تعجلت لصاحبها وقربت إليه، قال الله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ**﴾[الإسراء:١٨].

(**المنغصة**[1]!): المكرهة إلى أهلها؛ لأنها لاتزال ترميهم بنوائبها ومصائبها، وتُنَغِّص عليهم لذاتهم وتقطعهم عن بلوغ أمنياتهم، فهي منغصة لا محالة.

سؤال؛ كيف قال ها هنا: إنها منغصة[2] ووصفها بذلك، والله تعالى يقول: ﴿**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**﴾[القيامة:٢٠-٢١]، ونراها محبوبة في أعين الخلق ولهذا آثروها على الآخرة، فكيف قال: إنها منغصة[3]؟

(١) في (ب) ونسخة أخرى: المبغضة.

(٢) في (ب): مبغضة.

(٣) في (ب): مبغضة.

وجوابه؛ أنها[1] لاتمتنع أن تكون محبوبة من وجه، مكروهة من وجه آخر، فمحبتها من أجل تعجلها ونضارتها وحسن زهرتها، وكراهتها من أجل انقطاعها، وما يعرض من الفجائع والتكديرات، وإذا كان الأمر كما قلناه حصلت الموافقة بين كلام الله تعالى وكلام أمير المؤمنين كما قررناه.

(**وهل خُلِّفتم إلا في حثالة**): في ناس حثالة من الخلق، وهم أردؤهم، والحثالة: الرديء من كل شيء.

(**لا تلتقي بذمهم الشفتان**): أي لاينطق أحد بذمهم ولا يفوه بذلك ولا يتكلم به.

(**استصغاراً لقدرهم**): أي أن أقدارهم نازلة فليسوا أهلاً لأن تقع العناية بذمهم

(**وذهاباً عن ذكرهم**): وتأففاً واستنكافاً عن أن يذكروا بذكر، وقوله: (لا تلتقي بذمهم الشفتان) من فصيح الكلام وغريبه، الذي لم ينسج أحد على منواله، [ولا سمحت][2] قريحة على حده ومثاله، وقد قال بعض علماء البيان، وأهل الفصاحة واللسان، أنه قد وجد لأمير المؤمنين ثلاث كلمات جرت مجرى الأمثال ووجد معناها حاصلاً في كتاب الله تعالى:

الأولى: قوله (عليه السلام): (من جهل شيئاً عابه) ومثله من كتاب الله تعالى قوله: ﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**﴾[الأحقاف:١١]، وقوله: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾[يونس:٣٩].

(١) في (ب): أنه.

(٢) سقط من (ب) وفي (أ): ولا شمخت، وما أثبته من نسخة أخرى.

والثانية: قوله (عليه السلام): (المرء مخبؤ تحت لسانه)، وقريب من معناه قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ[1] فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[محمد:٣٠].

الثالثة: قوله (عليه السلام): (ابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما، واحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما) ومثله قوله تعالى[2]: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾[الممتحنة:٧]، فانظر مابين هذه من المعاني من التقارب والتداني، ثم غير خاف عليك أنها وإن تقاربت فبينها وبين ألفاظ القرآن في الرقة واللطافة والجزالة والبلاغة بون[3] لا يخفى، وبُعْدٌ لا يتقارب ولا يتدانى، وفضل القرآن عليها كفضل القمر على سائر الكواكب.

(فإنَّا لله): مملوكون ونحن عبيد مربوبون.

(وإنَّا إليه راجعون): بالإعادة بعد الإفناء من أجل المحاسبة على الأعمال والجزاء.

(ظهر الفساد): فشا في الأرض وكثر.

(فلا منكر مغيِّر): أي لا منكر له بقلبه، مغيِّر له بيده.

(ولا زاجر): عن فعله يكفّ عنه.

(مزدجر): ذو ازدجار وانكفاف عن فعله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[القمر:٤].

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٢) في (ب): ومثله في كتاب الله تعالى.
(٣) أي بعد.

(أفبهذا): إشارة إلى ظهور الفساد وعموم المنكر.

(تريدون[1] أن تجاوروا الله): تزعمون أن يكون لهم الحصول في الجنة حائزين للرحمة.

(في دار قدسه): التقديس: التطهير[2]، كما يقال: حضيرة القدس، وقوله: ﴿رُوحِ الْقُدُسِ﴾[البقرة:٨٧]، ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾[المائدة:٢١] المطهرة، وأراد في دار الطهارة[3] عن الأقذار والتنغيصات.

(وتكونوا[4] أعز أوليائه عنده): الأولياء جمع ولي، ومعنى ولي الله أي الله أولى به، يريد كرامته وإثابته ونصرته وإعانته، والعزة: الكرامة أي تكونون بها أكرم أوليائه.

(هيهات): اسم من أسماء الأفعال موضوع[5] للخبر أي بَعُد ذلك وفيها لغات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[المؤمنون:٣٦] أي بَعُد ذلك، فيقال: هيهات بالحركات الثلاث وبالتنوين مع الحركات فهذه ست، وإيهاك وإيهان وغير ذلك.

(لا يخدع الله عن جنته): الخدع: المكر، وهو أن تريه[6] المناصحة وغرضك غدره، وأراد أنه لايطمع فيها من ليس عاملاً لها فيكون ذلك خديعة لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢].

(١) في (ب): ترون.
(٢) في (ب): التقدس: التطهر.
(٣) في (أ): وأراد في الطهارة.
(٤) في (أ): وتكونون.
(٥) في (أ): موضع.
(٦) في (أ): تريد، وهو تحريف.

(ولا تنال مرضاته): المرضاة: هي الرضى أي أنها لا تنال بشيء من الأشياء.

(إلا بطاعته): التي تجب له والتي هو أهل لها دون غيره ممن يكون مطاعاً.

(لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له): لأن أمرهم بالمعروف بعد فعلهم له، فإذا تركوه كان ذلك عكساً لأمره وقد ذمهم الله تعالى بقوله: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾**[البقرة:٤٤] وأراد اليهود.

(والناهين عن المنكر العاملين به): لأن نهيهم إنما يكون بعد تركه والتناهي عنه، وإذا نهوا عنه وفعلوه كان ذلك أدخل[1] في الملامة وأبلغ في القبح، واللعن هو: الطرد عن الرحمة والإبعاد عنها، وقد صار بالشرع لا يستحقه إلا من كان فاسقاً خارجاً عن ولاية الله تعالى إلى عدوانه[2]، مستحق للعقاب من الله تعالى.

سؤال؛ أليس قد قال المتكلمون: إنه لا يمتنع أن يجب الأمر بالمعروف على الواحد منّا وإن كان تاركاً له، ويجب عليه النهي عن المنكر وإن كان فاعلاً له، وفي كلام أمير المؤمنين ما يأباه؟

وجوابه؛ هو أن ما قاله المتكلمون غيرممتنع؛ فإن وجوب الأمربالمعروف مخالف لوجوب المعروف في نفسه، ووجوب النهي عن المنكر مخالف

(١) في (أ): داخلاً.

(٢) في (ب): عداوته.

لوجوب الانتهاء عنه، ألا ترى أنه لايمتنع أن يجب عليه أمر غيره بالصلاة وإن كان تاركاًلها، وأن[1] يجب عليه النهي عن القتل وإن كان فاعلاً له، وليس في كلامه ما يدفع[2] هذا، ولكنه ذمَّ الآمرين بالمعروف مع تركهم له، وذمَّ الناهين عن المنكر مع فعلهم له، وليس ذلك دافعاً لما قاله أهل الكلام لتغاير الوجهين.

(١) في (ب): وأنه.

(٢) في (أ): ما يرفع.

(١٢١) ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمة الله عليه لما أخرج إلى الربذة

اعلم أن من جملة المطاعن التي طعن بها على عثمان في خلافته، وهو طرده لأبي ذر رحمه الله تعالى إلى الربذة، وكانت له قدم سابقة في الدين، ومحبة من الرسول، وإيوائه للحكم بن العاص[(١)] وقد طرده رسول الله قبل[(٢)] موته.

(١) الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أبو مروان، طريد رسول الله ﷺ، والحكم هو عم الخليفة عثمان بن عفان، كان من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم، وتوفي في أيام عثمان قبل قتله بشهور، واختلف في السبب لنفي رسول الله ﷺ للحكم، فقيل: إنه كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى أكابر الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين، ويفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عنه. وقيل: كان يتجسس على رسول الله ﷺ وهو عند نسائه ويسترق السمع، ويصغي إلى ما يجري هناك مما لا يجوز الاطلاع عليه، ثم يحدِّث به المنافقين على طريق الاستهزاء، وقيل: كان يحكيه في بعض مشيه وبعض حركاته، فقد قيل: إن النبي ﷺ كان إذا مشى يتكفأ، وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه، وكان شانئاً له مبغضاً حاسداً، فالتفت رسول الله ﷺ يوماً فرآه يمشي خلفه يحكيه في مشيه فقال له: «كذلك فلتكن يا حكم» فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ، فذكر ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقال لعبد الرحمن بن الحكم يهجوه:

إن اللعين أبوك فارم عظامه ... إن ترم ترم مخلجاً مجنونا

يمشي خميص البطن من عمَل ... ويظل من عمل الخبيث بطينا

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/١٤٩-١٥٠).

(٢) في (أ): قبيل.

فأما أبو ذر فقد اُعتْذر له في ذلك بأن خروجه إليها كان برضاه، وفي كلام أمير المؤمنين ها هنا ما يدل على خلاف ذلك.

وأما ردُّ الحكم بن العاص فقد اعتذر عثمان عن ذلك، بأنه قد كان استأذن في ردِّه من رسول الله[(١)].

(١) ذكر المؤلف (عليه السلام) بأن ما اعتذرِ به الخليفة عثمان بن عفان في إخراج الصحابي الجليل أبي ذر إلى الربذة بأنه كان برضاه، فعقب المؤلف على ذلك بقوله: وفي كلام أمير المؤمنين هاهنا ما يدل على خلاف ذلك.
وأما ما اعتذر به عثمان في رده لطريد رسول الله الحكم بن أبي العاص، بأنه كان قد استئذن فيه رسول الله ﷺ، فقد ذكر ذلك قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد رحمه الله في المغني، واعترضه الشريف المرتضى رحمه الله بقوله: أما دعواه أن عثمان ادعى أن رسول الله ﷺ أذن في رد الحكم فشيء لم يسمع إلا من قاضي القضاة، ولا يدرى من أين نقله، ولا في أي كتاب وجده، والذي رواه الناس كلهم خلاف ذلك، روى الواقدي من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح أخرجه النبي ﷺ إلى الطائف وقال: «لا تساكني في بلد أبداً» فجاءه عثمان فكلمه فأبى، ثم كان من أبي بكر مثل ذلك، ثم كان من عمر مثل ذلك، فلما قام عثمان أدخله وأكرمه ووصله، فمشى في ذلك علي والزبير وطلحة وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر حتى دخلوا على عثمان، فقالوا له: إنك قد أدخلت هؤلاء القوم -يعنون الحكم ومن معه-، وقد كان النبي ﷺ أخرجهم، وإنا نذكرك الله والإسلام ومعادك، فإن لك معاداً ومنقلباً، وقد أبت ذلك الولاة قبلك، ولم يطمع أحد أن يكلمهما فيهم، وهذا شيء نخاف الله فيه عليك، فقال عثمان: إن قرابتهم مني ما تعلمون، وقد كان رسول الله ﷺ حيث كلمته أطمعني في أن يأذن لهم، وإنما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم، ولم يضركم مكانهم شيئاً، وفي الناس من هو شر منهم، فقال علي (عليه السلام): لا أجد شراً منه ولا منهم، ثم قال: هل تعلم عمر يقول: والله ليحملن بني أبي مُعيط على رقاب الناس، والله إن فعل ليقتلنه، فقال عثمان: ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه، وينال من المقدرة ما نلت إلا قد كان سيدخله، وفي الناس من هو شر منه، قال: فغضب علي (عليه السلام)، وقال: والله لتأتينا بشر من هذا إن سلمت، وسترى يا عثمان غبَّ ما تفعل، ثم خرجوا من عنده.
وهذا كما ترى خلاف ما ادعاه صاحب (المغني) -أي قاضي القضاة- لأن الرجل لما احتفل ادعى أن رسول الله ﷺ كان أطمعه في رده، ثم صرح بأن رعايته فيه القرابة هي الموجبة لرده ومخالفة الرسول (عليه السلام). وقد روي من طرق مختلفة أن عثمان لما كلم أبا بكر وعمر في رد الحكم أغلظا له وزبراه، وقال له عمر: يخرجه رسول الله ﷺ وتأمرني أن أدخله، =

(يا أبا ذر): هذه كنيته، واسمه: جندب بن جنادة الغفاري، وغفار: قبيلة من كنانة.

(إنك غضبت لله): أي من أجله، وكان شديد الشكيمة[1] في ذات الله، والتصلب في دينه.

ويحكى أن معاوية كتب إلى عثمان يشكوه، فكتب إليه عثمان أن صر إلى الخدمة[2]، فلما وصل إليه قال له: من أخرجك إلى الشام؟ فاعتذر إليه، فقال له: أي البلاد أحب إليك بعد الشام؟ فقال: الربذة، فقال له: صر إليها[3]، فكان لا يأخذه في الله لومة لائم، وكان يقول: لم يبق أصحاب النبي على ما عهدتهم.

(فارجُ من غضبت له): بالفوز منه والرضوان من جهته.

(إن القوم): يشير بذلك إلى عثمان وأصحابه.

والله لو أدخلته ما آمن أن يقول قائل: غيرُ عهد رسول الله ﷺ، والله لأن أشقَّ باثنتين كما تشق الأيلُمة -أي خوص المقل- أحب إليَّ من أن أخالف لرسول الله أمراً، وإياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم. انتهى ما نقلته من اعتراض الشريف المرتضى رحمه الله على ذلك الطعن المشار إليه، وفيه المزيد من التوضيح تركته ميلا إلى الاختصار، ومن أراد التوسع فلينظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/٢٩-٣٣.

(١) يقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفاً أبيًا. (مختار الصحاح ص٣٤٥).

(٢) كذا في النسختين ولعل الصواب: المدينة.

(٣) المغني ٢٠/٢/٥٤، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٨/٢٥٥-٢٥٦ ما لفظه: اعلم أن الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنقل، أن عثمان نفى أبا ذر أولاً إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. انتهى. ثم ذكر أصل الواقعة والسبب فيها وساق الأخبار والروايات الدالة على إخراج أبي ذر رضي الله عنه بالكره منه، انظرها فيه من ص ٢٥٦-٢٦٢.

(خافوك على دنياهم): لما كان يظهر منه من الخشونة، والغلظة في أحواله لهم.

(وخفتهم على دينك): لما يظهر له في طرائقهم مما ينكره ولا يكاد يقبله

(فاترك في أيديهم ما خافوك عليه): من الدنيا؛ لأنهم ربما كانوا يخشون تغييره في أمر الدولة لما يظهر في نفسه من الحيرة.

(واهرب منهم بما خفتهم عليه): من أمر الدين؛ لأنه كان إذا رأى ما لايعجبه من طريقة أحد من الصحابة أنكر عليه ذلك، واشتد إنكاره عليه، وأغلظ له في أمره ونهيه.

(فما أحوجهم إلى ما منعتهم): أراد أن الذي منعتهم منه هو من أمورالدين، والذي يجب اتباعه ولايجوزلهم المخالفة له.

(وأغناك عمّا منعوك!): من الدنيا؛ لأنهم ما أرادوا إلا إبعاده؛ ليتسق لهم أمرهم من غير معارض ولا ممانع.

(وستعلم[1] من الرابح غداً): الفائز بالثواب من عند الله غداً يعني يوم القيامة.

(والأكثر حسداً): الحسد لا يكون في مؤمن، وأراد بالحسد ها هنا الغبطة لأنها محمودة، والحسد مذموم، أي أنه يكثر من يغبطه على ما حاز من أمر الدين، وعلى علو مرتبته عند الله يوم القيامة بالديانة والصحبة للرسول.

---

(١) في (ب): وسيعلم.

(ولو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد؛ ثم اتقى [الله[1]] لجعل الله له منهما مخرجاً): هذا بعينه حديث مرفوع إلى الرسول ﷺ استعمله في كلامه ها هنا، ومصداق هذا الحديث قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾**[الطلاق:٢] الرتق: السد، وهو مصدر من رتق يرتق رتقاً، ولهذا تركت تثنيته لما كان مصدراً، وترك تأنيثه أيضاً لذلك.

(لا يؤنسك إلا الحق): أي لا تأنس إلا بالحق فتعمل به؛ لأن من أنس بالشيء خالطه ولم ينفر عنه طبعه.

(ولا يوحشك إلا الباطل): أي لا تستوحش إلا منه فتترك العمل به؛ لأن كل من استوحش من شيء نفر عنه ولم يخالطه.

(فلو قبلت[2] دنياهم): أخذت ما أعطوك منها، وسهلت الأمر عليهم في أحوال الدين.

(لأحبوك): أرادوك وقرَّبوك، وأدنوك منهم.

(ولو قرضت منها شيئاً): أخذت على جهة القرض، والعزم على الرد من غير خيانة.

(لأمنوك): على إعطاء ما شئت من ذلك[3].

---

(١) زيادة في النهج وفي (ب).

(٢) في (أ): أقبلت.

(٣) قوله: من ذلك، سقط من (ب).

وحكي عنه أنه قال: اختلفت أنا ومعاوية في آية الكنز[1]، فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك، فكتب إليَّ عثمان: أن اقدم عليَّ فقدمت عليه[2]، فانثال الناس عليَّ كأنهم لم يعرفوني، فقال: انزل حيث شئت، فنزلت الربذة[3]، فكان متصلباً[4] في الدين كما ترى، فمن أجل هذا نفرت طباعهم عنه، فأوحشوه من أجل ذلك.

---

(١) في (أ): الكفر، وهو تحريف، وفي (ب) كما أثبته، وآية الكنز هي قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾

(٢) قوله: عليه، سقط من (ب).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٥٣/٣ عن قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد، وانظر الجواب على ذلك فيه، وانظر المغني ٥٥/٢/٢٠.

(٤) في (ب): مصتلباً.

(١٢٢) ومن كلام له عليه السلام عتاباً لأصحابه

(**أيها**[١] **النفوس المختلفة**): في طباعها وطرائقها وأحوالها.

(**والقلوب المتشتتة**): في خواطرها وأنظارها وآرائها.

(**الشاهدة أبدانهم**): التي تشاهد الأشياء وتعلمها وتميز بينها.

(**الغائبة عنهم قلوبهم**[٢]): لعدم انتفاعهم بها، ووعيها لما ينفعها من المواعظ والحكم، وقوله: (الشاهدة والغائبة) من الطباق المحمود في أنواع البديع من علوم البيان، وهو ذكر الضدين جميعاً.

ومن جيد ماقيل في المطابقة ما قاله بعض البلغاء: رب شبعان من النعم، غرثان من الكرم، فإن لم يرزق غنى[٣]، لم يحرم تقوى، والمؤمن على خير من ربه، وفلاح من رشده، ترحّب به الأرض، وتستبشر به السماء، ولن يساء إليه في بطنها، وقد أحسن على ظهرها.

فقوله: شبعان وغرثان، وذكر الإساءة والإحسان، من الطباق التي تحمد آثاره، ويعلو في فلك البلاغة مجده وفخاره.

(١) في نسخة و في شرح النهج: أيتها.
(٢) في نسخة و في شرح النهج: عقولهم.
(٣) في (أ): غنا.

(**أظأركم على الحق**): بظاء بنقطة من أعلاها، أعطفكم عليه من قولهم: ظأرت الناقة أي عطفتها على [غير][١] ولدها، وفي المثل: الطعن يظأره[٢] على الصلح أي يعطفه، وروايته بالطاء بنقطة من أسفلها لحن لا وجه له.

(**وأنتم تنفرون عنه**): تباعدون عنه، من نفر عن الشيء إذا كرهه، وَبَعُدَ عن فعله.

(**نفور المعزى**[٣] **من وعوعة الأسد!**): صوته، والوعوعة: صوت الذئب أيضاً، لأن المعزى أشد ما يكون نفارها عند[٤] سماعها لصوته.

(**هيهات أن أطلع بكم سرار العدل**): أي بَعُدَ ذلك، والسرار هو: اختفاء القمر ليلة أو ليلتين في آخره، واستعاره ها هنا، أي أنه يبعد أني أظهر بكم ما خفي من العدل.

(**أو**[٥] **أقيم اعوجاج الحق**): أي لستم أهلاً لذلك؛ بأن يكون الحق معوجاً فأقيمه بكم.

سؤال؛ الحق مستقيم، فكيف قال ها هنا: اعوجاج الحق، وهو لا يكون معوجاً؟

(١) سقط من (ب).
(٢) هكذا في النسخ، وفي أساس البلاغة ولسان العرب: يظأر بدون الهاء.
(٣) في (ب): المعز.
(٤) في (أ): عن.
(٥) في (ب): وأقيم.

وجوابه: هو أن الأمر كما قلته من استحالة اعوجاج الحق، وإنما المقصود هو اتباع ما يخالف الحق من الباطل، فلهذا كان الحق معوجاً على معنى أنه لم يتبع وترك بالباطل واتباعه.

(اللَّهُمَّ، إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا): أراد الاستشهاد بعلم الله تعالى؛ لأنه أصدق ما يكون وأثبته، أي أنه لم يقع ما وقع منّا من المحاربة، وطول المشاجرة بيننا وبين مخالفينا، وكثرة القتلى، وسائر الأحداث التي حدثت.

(منافسة في سلطان): رغبة في دولة أو اكتساب ولاية أوتقرير أُبّهة.

(أوالتماس شيء من فضول الحطام): أو طلب شيء من فضلات الدنيا ولذاتها ونعيمها الزائل، وإنما سماها حطاماً؛ لزوالها ونفادها، أخذاً من الشيء الذاهب المنحطم.

(ولكن لنردَّ المعالم من دينك): إلى نصابها[1]، وتستقرفي قراراتها التي وضعتها لها، والمعالم: جمع معلم، وهي قواعد الدين المعلومة، وأركانه المتحققة.

(ونظهر الإصلاح في بلادك): بإحياء السنن، وإقامة الواجبات كلها، وإظهار المعروف، وكف المنكرات.

(فيأمن المظلوم من عبادك): عن أن يكون أحد ظالماً له، ويأمن في سِربه[2] عن الأخذ والاستلاب ممن يكون قاهراً له.

---

(١) في (ب): نصالها.

(٢) السِّرب، بالكسر النفس، يقال: فلان آمن في سربه أي في نفسه. (مختار الصحاح ص٢٩٣).

(وتقام المعطَّلة من حدودك): تعطَّل الشيء إذا خلا وفرغ، قال الله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾[الحج:٤٥] لهلاك أهلها وانقطاعهم، ومعنى تعطيل الحدود خلوها عن أحكامها الواجبة عليها، يقال: تعطَّل الرجل إذا كان لا شغل له.

(اللَّهُمَّ، إني أول من أناب): إليك بالإنابة والخشوع.

(وسمع): داعيك[1] إلى الحق.

(وأجاب): لم يلبث عن الإجابة ولا توقف عنها.

(لم يسبقني إلا رسول الله [ﷺ][2] بالصلاة): يشير بذلك إلى أنه (عليه السلام) أول من اعترف بالوحدانية، وصدَّق بالرسول؛ لأن الرسول (عليه السلام) بعث يوم الاثنين، وأسلم أمير المؤمنين يوم الثلاثاء[3]، فلهذا كان أول من شرح الله صدره للهداية، لم يشرك بالله طرفة عين، ولا وجَّه عبادته لغير الله.

(وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي[4] على الفروج): مستولياً على الفروج الحرائر والإماء، والعُدَد وسائر أحكامها.

(والدماء): في القتل بالحرب والقصاص والحدود.

---

(١) في (أ): أداعيك.

(٢) زيادة في النهج.

(٣) سبق تخريج حديث أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أول من أسلم، واليوم الذي أسلم فيه كما ذكره المؤلف (عليه السلام) هنا.

(٤) الوالي، زيادة في النهج.

(والمغانم): وهو ما كان بالقتال، وإيجاف[1] الخيل والركاب، والفيء وهو: ما كان من غيرقتال، ولا إيجاف الخيل ولا ركاب.

(والأحكام): الشرعية كالقضاء والآداب، والتعزيرات، وفصل الخصومات.

(وإقامة[2] المسلمين): القيام بأمورهم كلها من غزو الكفار، وتجييش الجيوش، وحفظ البيضة، فهذه الأمور كلها لا يتولاها:

(البخيل فتكون في أموالهم نهمته): لأنه إذا كان بخيلاً فلا تكون النهمة له إلا فيها؛ لأن أكثر نهمة البخيل إنما هو في الضِّنة بالأموال وادخارها.

(ولا الجاهل): أي ولا يتولاها الجاهل.

(فيضلهم بجهله): عن الطريق، ولأنه لا يأتي جاهل بخير، وما أحوج الإمام إلى البصيرة النافذة، والقدم الراسخة في العلوم.

(ولا الجافي): غليظ الطبع كثير الفظاظة.

(فيقطعهم بجفائه): لأن مع الجفاء تحصل المقاطعة لا محالة، وتكون الوحشة والانزواء.

(ولا الخايف للدول): ولا من تكون معه هيبة الملوك.

(فيتخذ قوماً): وهم الذين يخاف من جهتهم السطوة.

(دون قوم): وهم الذين لايخاف من جهتهم نكاية، وفي ذلك حصول الحيف والميل من جهته.

---

(١) في (ب): وإلحاق.
(٢) في شرح النهج: وإمامة.

(ولا المرتشي بالحكم[1]): وهو الذي يأخذ الرشوة في الحكم، سواء كان حاكماً بالحق أو بالباطل.

(فيذهب بالحقوق[2]): يفسدها ويبطلها؛ لأنه إذا كان مرتشياً أذهب الحقوق وأبطلها.

(ويقف بها دون المقاطع): مقطع الشيء: غايته التي ينتهي إليها، وأراد أنه يكون منقطعاً دون الغاية التي هي له، ومن كمال أمره.

(ولا المعطِّل للسنة): إما الجاهل بها؛ لأنه عطل نفسه عن[3] العلم بها، وإما التارك للعمل بها مع كونه عالماً بها، فكل ذلك يكون تعطيلاً.

(فيهلك الأمة): لأنه إذا كان جاهلاً بالسنة؛ فإنه يحمل الأمة على البدع والضلالات؛ فيكون ذلك سبباً للهلاك في[4] أمر الدين؛ بإتيان البدع واستعمالها.

---

(١) في النهج: في الحكم.
(٢) في (أ): الحقوق.
(٣) في (أ): عند.
(٤) في (ب): وأمر.

(١٢٣) ومن كلام[١] له عليه السلام يذكر فيه الموت وحاله

(نحمده على ما أخذ وأعطى): فإعطاؤه ما كان من النعم العظيمة من العافية والأموال والأولاد وغير ذلك، وأخذه ما كان من إماتة الأولاد، ونقص الأموال والثمرات.

(وعلى ما أبلى): من عوارف الإحسان، يقال: أبليته معروفاً إذا أسديته إليه.

(وابتلى): امتحن بضروب من الامتحانات، يقال: ابتلاه بكذا إذا اختبره وامتحنه.

(الباطن لكل خفية): العالم لها[٢] والمحيط بأمرها، يقال: بطنت هذا الأمر إذا عرفت باطنه.

(الحاضر لكل سريرة): المشاهد لها، والرقيب عليها.

(العالم بما تكنّ الصدور): أي تستره من المعتقدات، والكنُّ: الستر، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا﴾[النحل:٨١].

(١) في نسخة وفي شرح النهج: ومن خطبة.

(٢) في (ب): بها.

(وما تخون العيون): خيانة العين[١]: مسارقتها بألحاظها، قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾[غافر:١٩].

(ونشهد أن لا إله غيره): أي لامستحق للعبادة[٢] والإلهية إلا هو.

(وأن محمداً نجيبه): النجابة: الكرم، والنجيب هو: الكريم في كل أحواله.

(وبعيثه [شهادة يوافق فيها السر الإعلان، والقلب اللسان][٣]): المبعوث من جهته بالأسرار الحكمية، واللطائف المصلحية.

(إنه[٤] والله): الضمير للشأن ها هنا؛ أي أن الشأن فيما نحن فيه:

(الجدُّ): والجدُّ مصدر من جدَّ في أمره يجدُّ جدّاً، ومنه قولهم: أجدُّك لا تفعل كذا.

(لا اللعب): عطف عليه.

(والحق): أراد إما نقيض الباطل، وإما الصدق.

(لا الكذب): عطف عليه.

(وما هو إلا الموت): الضمير للشأن أيضاً، وإنما كرر ضمير الشأن والقصة[٥] ها هنا إعظاماً للأمر وتهويلاً له ومبالغة في عظم شأنه، كما

(١) في (ب): العيون.

(٢) في (أ): العبادة.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.

(٤) في النهج: فإنه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٥) في (ب): في القصة.

فعل الله تعالى في ذكر القيامة، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة:١-٢]، ﴿الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[القارعة:١-٣]، وغير ذلك من المواضع، وكقوله:

ما أرى الموت يسبقُ الموتَ شيءٌ[1]

نغَّص الموتُ ذا الغنى والفقيرا[2]

(أسمع داعيه): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون داعيه مرفوعاً على الفاعليه لأسمع، أي صار داعيه ذا إسماع[3] لمن دعاه.

وثانيهما: أن يكون منصوباً على المفعولية، أي أسمع الموت من دعاه.

(وأعجل حاديه): الحادي هو: الذي يسوق الإبل ويحدو بها، ويكون إما مرفوعاً أي صار حاديه ذا عجل، وإما منصوباً على أنه مفعول، أي أن الموت أعجل حاديه، وأزعجه في السوق.

(فلا يغرنَّك سواد الناس من نفسك): أي لاتغتر بكثر تهم عليك، فيكون ذلك سبباً لجهلك بحال[4] نفسك، وإما لاتغتر[5] بسوادهم عليك فيشغلوك عن المقصود الأهم من دينك، وإما لاتشتغل بأمورهم وأحوالهم فيشغلوك عما يخص نفسك.

---

(١) في (ب): لكن.

(٢) لسان العرب ٦٨٠/٣ وقال في نسبته: وأنشد الأخفش لعدي بن زيد، وقيل: هو لسوادة بن زيد بن عدي، ثم ذكر البيت، وقوله هنا: (شيء)، في اللسان: (شيئاً).

(٣) في (ب): سماع.

(٤) في (أ): بحالك.

(٥) في (ب): لاتكثر.

(وقد رأيت من كان قبلك): من الأمم الماضية، والقرون الخالية.

(ممن جمع المال): من حلّه وغير حلّه وكنزه[1].

(وحذر الإقلال): وكان من الإقلال على وَجَلٍ وخوف منه.

(كيف نزل به الموت): على حالة عظيمة لا يمكن وصفها.

(فأزعجه): الإزعاج هو: السوق بشدة.

(عن وطنه): الذي هو مستقره، وموضع راحته.

(وأخذه): على غفلة، كقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾[الحاقة:١٠].

(من مأمنه): موضع أمانه الذي يستقر فيه خاطره، كما قال تعالى: ﴿أَبْلِغْهُ[2] مَأْمَنَهُ﴾[التوبة:٦].

(أمِنَ العواقب): جمع عاقبة، وهي: التي تعقب من مكاره الدهر وفجائعه.

(طول أمل): أي أَمِنَهَا من أجْل طول أمله، وانتصابه على المفعول من أجْله.

(واستبعاد أجل): أي وأمنه[3] لها من أجل ما يستبعد من أجَله.

(كيف[4] نزل به الموت محمولاً): حال من قوله: نزل به الموت.

---

(١) في (أ): وكثره.

(٢) في (أ): فأبلغه.

(٣) في (أ): ومنه، والصواب كما أثبته وكما هو في (ب).

(٤) قوله: كيف سقط من (أ).

(**على أعواد المنايا**): وهي الأسرَّة والنُّعوش.

(**يتعاطى به الرجال الرجال**[1]): أي يقومون به، من قوله: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[القمر:٢٩] أي قام على أصابع رجليه ثم رفع يده فضربها.

(**حملاً على المناكب**): جمع مَنْكِب، وهو: مجمع الكتف بمنزلة المنسج من الفرس.

(**وإمساكاً بالأنامل**): أي يشدونه لئلا يذهب من فوقهم، وكنى بذلك عن زوال القوة والتصرف، فلا يستطيع شيئاً من ذلك.

(**أما رأيتم الذين يأملون بعيداً**): أي من كانت آمالهم طامحة بعيدة لا ينالونها[2] لبعدها.

(**ويبنون مشيداً**): أي يزخرفون القصور المشيدة، والأبنية العالية الرفيعة.

(**ويجمعون كثيراً**): أي[3] معايش الأموال وكثيرها.

(**أصبحت بيوتهم قبوراً**): أي صارت خراباً أجداثاً بمنزلة القبور.

(**وما جمعوا بوراً**): أي هالكاً[4]، والبور هو: الرجل الهالك الذي لا خير فيه، قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾[الفتح:١٢] أي هلكى وهو جمع بائر مثل حائل وحُول.

---

(١) قوله: الرجال، الثانية سقط من (ب).

(٢) في (ب): لا ينالوها.

(٣) قوله: أي، زيادة في (ب)، وقوله هنا: معايش، في نسخة أخرى: نفائس.

(٤) في (أ): هالك.

وحكى الأخفش: أنه لغة وليس جمعاً لبائر، وهذا جيد لأن فاعل صفة لا[1] يجمع على فعل، قال عبد الله بن الزبعرى[2]:

يا رسولَ المليكِ إنَّ لساني ... راتقٌ ما فتقت إذ أنا بور[3]

(**وصارت أموالهم للوارثين**): أي للذين ورثوهم من بعد موتهم من أقاربهم.

(**وأزواجهم لقوم اخرين**): نكحت بعدهم، وخلفوا عليها.

(**لا في حسنة يزيدون**): لانقطاع ذلك بالموت، وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه سائر عمله».

(**ولا من سيئة يستعتبون**): استعتبته أي طلبت[4] رضاه.

(**فمن أشعر قلبه التقوى**[5]): خوف الله ومراقبته في جميع أحواله.

---

(١) في (ب): لم.

(٢) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد، المتوفى نحو سنة ١٥هـ، شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران ثم عاد إلى مكة فأسلم، ومدح النبي ﷺ، فأمر له بحلة (الأعلام٤/٨٧).

(٣) في النسختين: بورا، وأصلحته من سيرة ابن هشام ٤/٣٩. وبعد البيت في سيرة ابن هشام:

إذ أباري الشيطان في سنن الغـ ... ـي ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لربّي ... ثم قلبي الشهيد أنت النذير

إنني عنك زاجر ثَمَّ حياً ... من لؤيّ وكلهم مغرور

(٤) في (ب): استعتبه أي طلب.

(٥) في (ب): و في شرح النهج: فمن أشعر التقوى قلبه.

(برز مهله): أي ظهر انتظاره الموت واستعدَّ لهجومه عليه، من الاستمهال: وهو الانتظار.

(وفاز عمله): الفوز: الظفر والنجاة؛ أي نجا بعمله وظفر بجزائه.

(فاهتبلوا هَبَلَها): الضمير للتقوى المذكور أولاً، وأراد فاغتنموا غنمها[1].

(واعملوا للجنة عملها): الذي يحق لها ويكون صالحاً؛ لأن تكون جزاءً له.

(فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام): لتسكنوا فيها، وتقيمون[2] عليها.

(بل خلقت مجازاً): المجاز مفعل وهو ها هنا إما مصدر، أي خلقت من أجل تغريبكم[3] عنها، وإما مكان أي خلقت مكاناً تجوزون منه إلى الآخرة.

(لتزوّدوا منها الأعمال): لتأخذوا في زمانها ما ينجيكم من الأعمال الصالحة.

(إلى دار القرار): وهي الجنة؛ لأنها موضع لا ينتقل عنه.

(فكونوا منها على أوفاز): الوفز: العجلة، والجمع أوفاز، قال الراجز:

أسوقُ عِيْراً مائل الجهَازِ

صعباً يُنَزِّيني على أوْفَازِ[4]

(١) في (أ): غنيمها.
(٢) هكذا في النسخ بإثبات النون، ولعل الصواب: وتقيموا.
(٣) أي نفيكم.
(٤) لسان العرب ٩٥٨/٣ بدون نسبة إلى قائله، والنز: الكثير التحرك، وناقة نزة: خفيفة، وبعير نز خفيف، والنزاز بالكسر: المنازعة والمنافسة، والوفز جمع أوفاز: العجلة (انظر القاموس المحيط).

(وقربوا الظهور للزيال): للانتقال عنها، وأراد بتقريب الظهور، سرعة الانتقال عنها، والظهر[1]: الركاب الذي ينقل عليه الأثقال.

فانظر هذه الخطبة كيف اشتملت على جزل اللفظ ورقيقه، وبديع المعنى وغريبه، وهو باب من علوم البيان، أعني جزالة اللفظ لا يشق غباره، ولا تحصى محامده وآثاره، وأكثر القرآن مختص بما ذكرناه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[البقرة:١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[البقرة:١٩٤]، وقوله: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٩٣].

ومن أحسن ماقيل في الجزالة قول بشار[2]:

إذا ما غَضِبْنَا غضبةً مُضريَّةً

هتكنا حجابَ الشمس أومطرت دما

إذاما أعزي سيداً من قبيلةٍ

ذرا منبرٍ صلَّى علينا وسلَّما

(١) في (أ): والظهور.
(٢) هو بشار بن برد العقيلي بالولاء، أبو معاذ [٩٥-١٦٧هـ]: أشهر المولدين على الإطلاق، نشأ في البصرة، وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكان ضريراً، وشعره كثير متفرق، من الطبقة الأولى، جُمِعَ بعضه في ديوان طبع في ثلاثة أجزاء (الأعلام ٥٢/٢).

(١٢٤) ومن خطبة له عليه السلام

(وانقادت له الدنيا والآخرة بأزمتها): يريد إما انقاد من فيهما لعزته بالخضوع والذلة، وإما أن يكون الانقياد كناية عن نفوذ الأمروسرعة الإجابة، كما قال تعالى: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾[فصلت:١١].

(وقذفت إليه السماوات والأرضون مقاليدها): أي بمقاليد خزائنها، والمقاليد جمع مقلاد وهو: المفتاح.

(وسجدت له بالغدو والآصال الأشجار الناضرة): الغدو هو: أول النهار، والآصال: جمع أصيل وهو: ما بين العصر إلى غروب الشمس، والنضارة هي: الحسن، وأراد بالسجود للأشجار، إما نفوذ الأمر فيها وانقيادها لأمره بمنزلة من يسجد خضوعاً وتذللاً، وإما أن يريد بسجودها هو تحركها[1] وميلانها عند هبوب الريح بكرة وعشياً.

(وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة): القدح هو: ظهور النار من العيدان، والقضبان: جمع قضيب وهوالشمراخ، وهذا من باهرالقدرة وعجيبها، الجمع بين النار والماء في هذه الأعواد كلها، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾[يس:٨٠].

(١) في (ب): تحريكها.

(وآتت أكلها بكلماته الثمار اليانعة): الأُكُلُ بالضم مايؤكل، كما قال تعالى: ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾[إبراهيم:٢٥] وأراد بكلماته؛ إما بأوامره، وإما بأسمائه التامة الحسنة.

(وكتاب الله بين أظهركم): يقال: هو نازل بين ظهريهم، وظهرانيهم بفتح النون، ولا يقال بكسرها، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنكم لاتعملون بأحكامه، ولا تعولون عليه أخذاً من قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾[آل عمران:١٨٧].

وثانيهما: أن يريد أنه غائب عنكم لا ترونه، بمنزلة ما يكون على الظهر، فأنتم لا ترون له حقاً لغيبته عنكم.

(ناطق لا يعيا لسانه): عيٌّ في منطقه إذا لم يبين كلامه، وعيٌّ في أمره إذا لم يهتد لوجهه، وفي المثل: هو أعيا من باقل[1].

(وبيت لا تهدم أركانه): جوانبه، والتهديم: التخريب.

(وعز لاتهزم أعوانه): الأعوان جمع عون[2]، وأراد أن كل من كان القرآن في صفه فإنه لا يهزم[3] ولا ينكسر.

(أرسله على حين فترة من الرسل): يحكى أن الفترة التي كانت بين

(١) باقل هو اسم رجل من العرب، وكان اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فقيل له: بكم اشتريته، ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه، يشير بذلك إلى أحد عشر، فانفلت الظبي، فضربوا به المثل في العي. (مختار الصحاح ص٦٠).

(٢) في (أ): أعوان وهو تحريف.

(٣) في (أ): يهدم.

آدم ونوح ألفان ومائتان وأربعون سنة، ومن نوح إلى إبراهيم أربعمائة وست وثمانون سنة، ومن إبراهيم إلى موسى أربعمائة وست وثلاثون سنة، ومن موسى إلى عيسى ألف وسبعمائة وثلاث وسبعون سنة، وقد تقدمت رواية غير هذه في حال عيسى وموسى، وكان عمر آدم (عليه السلام) تسعمائة وثلاثين سنة، وعمر نوح ألف[1] وأربعمائة وخمسين سنة، وعمر إبراهيم مائة وخمسة وخمسين سنة، وعمر موسى مائة وستة وعشرين سنة، وعمرعيسى إلى أن رفعه الله ثلاثة وستين سنة، وعمر نبينا صلى الله عليه وآله ثلاثاً وستين سنة[2].

(وتنازع من الألسن): أراد إما اختلاف الشرائع؛ لأن كل شريعة إنما تكون بلسان ذلك النبي المرسل إلى قومه، كما قال: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾**[إبراهيم:٤] ليفهموا عنه ما يقول لهم، وإما أن يكون مراده اختلاف[3] اللغات، واختلافها في الفصاحة والبلاغة، فكان القرآن هو الغاية والنهاية.

(قفَّى[4] به الرسل): أي ختم به الرسالة، وجعله منتهاها وغايتها.

(وختم به الوحي): فلا يكون وحي بعده.

---

(١) في (ب): ألف سنة و...إلخ.

(٢) اختلفت الروايات في تحديد الفترة التي كانت بين الأنبياء عليهم سلام الله، وكذلك في مدة أعمارهم، منها: ما أورده المؤلف هنا، ومنها ما أورده الإمام أبو العباس في المصابيح ص١٥٢-١٥٣ حيث أورد فيه خبرين تحت الرقم (٤١) و(٤٢) وهما يختلفان في تحديد تلك الفترة المشار إليها هنا (انظر المصابيح).

(٣) في (ب) وفي نسخة أخرى: اختلاط.

(٤) في نسخة وشرح النهج: فقفى.

(فجاهد في الله حق جهاده): الاجتهاد الذي يكون منه رضاءً له، وهوتدمير أعدائه وإظهار دينه، كما قال تعالى: **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾**[الحج:٧٨].

(المدبرين عنه): المخالفين لدينه، والمتولين عن أوامره.

(والعادلين به): إلى غيره، إما إلىشريعة أخرى كأهل الكتابين من اليهود والنصارى، وإما إلى غير شريعة ولا كتاب نحو مشركي العرب وسائر المرتدين.

(وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى): أي[1] هي غايته وقصاراه.

(لا يبصر من[2] ورائها شيئاً): أي لا يلتفت إلى الآخرة، ولا يرعيها طرفاً.

(والبصير[3] ينفذها بصره): أي يجاوزها إلى الآخرة، ولا يكون معرجاً عليها.

(ويعلم أن الدار وراءها): التي ينبغي التعويل عليها، والتي هي الدار على الحقيقة.

(فالبصير منها شاخص): أي خارج، من قولهم: شخص بصر[4] من الدار إذا خرج عنها، ومن ها هنا لابتداء الغاية.

---

(١) قوله: أي زيادة في (ب).

(٢) في نسخة و في شرح النهج: مما.

(٣) في (أ): والبصيرة.

(٤) بصر، زيادة من (ب).

(والأعمى إليها شاخص): أي خارج، أي هي غايته فلا يشخص إلا إليها لا غير.

(والبصير منها متزود): أي المستبصر في أمر دينه متزود منها الأعمال الصالحة، ويرجو المتاجر الرابحة.

(والأعمى لها متزود): أي أنه لا يظعن إلا[1] إليها فزاده لا يتجاوزها، بل إنما يكون عاملاً لها لا غير، وهذا من ضد الطباق، ومن رشيقه، حيث ذكر البصير والأعمى، وألحق بكل واحد منهما[2] ما يليق به من معانيه التي تصلح فيه.

(واعلموا أنه ليس من[3] شيء إلا ويكاد صاحبه يمل منه[4]): تلحقه منه سآمة، وملالة ويشبع منه.

(إلا الحياة): فإنها من بين سائر الأشياء المشتهاة، والأمور اللذيذة لا تمل أبداً.

(فإنه لا يجد له في الموت راحة): لانقطاع سائر المنافع واللذات عنه.

(وإنما ذلك بمنزلة الحكمة): إنما هذه تفيد الحصر حيث وجدت[5]، كما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ﴾**[طه:٩٨] لأن المعنى ما إلهكم إلا الله،

---

(١) قوله: إلا سقط من (أ).

(٢) في (أ): منها.

(٣) قوله: من سقط من (أ).

(٤) في النهج: إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله.

(٥) في (أ): وجد.

وذلك إشارة إلى القرآن المتقدم ذكره في أول كلامه، وإنما أتى باللفظ المستعمل في الإشارة لما كان بعيداً، لما تقضَّى تنبه[1] ذكره، والمتقضي[2] في حكم البعيد، وذلك مبتدأ، وقوله: بمنزلة الحكمة خبره[3]، ومعناه: وإنما القرآن بمنزلة الحكمة:

(التي هي حياة للقلب الميت): الغافل عن الموعظة، كما قال تعالى: **﴿شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾**[يونس:٥٧].

(وبصر للعين العمياء): التي ليس لها نظر إلى الآخرة فهي بمنزلة العين العمياء.

(وسمع للأذن الصماء): التي لا تصغي إلى ما ينفعها من المواعظ والآداب والحكم.

(وري للظمآن): العاطش.

(وفيها الغنى كله): الضمير للحكمة، أي أن فيها منافع الدين والدنيا، فلا يفتقر معها[4] إلى شيء سواها.

(والسلامة): عن أخطار الدين والدنيا؛ لأن مع الحكمة تقع السلامة عن ذلك.

---

(١) في (أ): لما يقضي تنبه، وقوله: تنبه، سقط من (ب).

(٢) في (أ): والمتقصر.

(٣) في (أ): خبر.

(٤) في (أ): فيها.

(**كتاب الله [تبصرون به]**[1]): أي هو كتاب الله، أو يكون بدلاً من اسم الإشارة، ويجوز نصبه مفعولاً لتبصرون.

(**وبه تنطقون**[2]): أي تتكلمون بما يكون مطابقاً له.

(**وتسمعون به**): أي ولا يكون حقيقاً بالاستماع من كلامكم كله إلا ما كان موافقاً له.

(**وينطق بعضه ببعض**): في الصدق في جميع ما تضمنه، أو يكون مراده وينطق بعضه ببعض في الصحة، وعدم المناقضة والفساد، كما قال تعالى: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾[فصلت:٤٢].

(**ويشهد بعضه على بعض**): في تأييد الأحكام وتقريراتها من أن يعتريها[3] نقص، أو يرتمي إليه خلف ومدافعة.

(**ولا يختلف في الله**): إما أن يريد نفي اختلافه فيما يكون منه دلالة على ذات الله كنفي الرؤية واستحالتها على الله تعالى، وإثبات الوحدانية له، وغير ذلك مما يكون مستنده الشرع من الإلهيات، وإما أن يريد به[4] نفي اختلافه فيما أخبر به عن الله من العلوم الغيبية، من القصص وسائر الأخبار التي تضمنها.

(**ولا يخالف بصاحبه عن الله**): أي مهما كان الاعتماد على القرآن

---

(١) سقط من (أ).

(٢) في النهج: وتنطقون به.

(٣) في (ب): من غير أن يعتريها.

(٤) به، زيادة في (ب).

للإنسان في كل أحواله فإنه لا يخالف، ولا يكون مجاوزاً لمقصود الله تعالى ومراده منه، وقد ورد عن الرسول ما يطابق ما قاله ها هنا في القرآن، كقوله: «هو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل»[1].

(**قد اصطلحتم على الغل**): ما يكون في الصدورمن الأحقاد، وأراد أن أحوالهم جميعاً قد استوت على أن كل واحد منهم في قلبه حقد وغل على صاحبه، وهو لايحكم على قلبه ولا يرى له أثر على وجهه.

(**فيما بينكم**): في خاصة[2] نفوسكم وذواتها.

(**ونبت المرعى على دِمَنِكم**): الدِّمَنُ جمع دِمْنَة، وهي: الحقد، وجعل نبات المرعى كناية عن دوامها، وثبوتها في أحوالكم.

(**وتصافيتم على حبّ الآمال**): المصافاة مفاعلة، وأراد[3] أن كل واحد منكم ودُّه لأخيه لأجل كثرة آماله وبُعْدها، أو أراد الموافقة، أي أنكم اتفقتم على الآمال الطويلة، والإعراض عن الآجال وقربها.

(**وتعاديتم في كسب الأموال**): أي أن كل واحد منكم يحسد أخاه على ما وصل إليه من رزق الله، حتى صار ذلك سبباً للمعاداة منكم، وحصول البغضاء فيكم.

---

(١) أخرجه من حديث عن أبي سعيد الخدري الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية الحديث رقم (٥) ص ١٨-١٩، وقوله: «من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل» أخرجه الترمذي في سننه ١٧٢/٥ من حديث عن الحارث الأعور، عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، والدارمي في سننه ٥٢٦/٢، والبزار في مسنده ٧٢/٣.

(٢) في (ب): وخاصة.

(٣) الواو في قوله: وأراد سقط من (ب).

(لقد استهام[1] بكم الخبيث): ذهب بكم الشيطان مذاهبه الردية، من قولهم: هام إذا ذهب.

(وتاه بكم العدو[2]): أراد حيَّركم في المهالك.

(والله المستعان على نفسي): دفع شرنفسي.

(وأنفسكم): دفع[3] شر أنفسكم.

وليس يخفى ما تضمنته هذه الخطبة من الاستطرادات العجيبة، فبيناه يتكلم في حال السماء، إذ[4] خرج إلى حال القرآن، إذ خرج إلى وصف الرسول، إذ خرج إلى حال الدنيا.

(١) في (أ): استهامكم.

(٢) في النهج: الغرور.

(٣) في (ب): أي دفع...إلخ.

(٤) في (أ): إذا.

(١٢٥) ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج إلى الروم

(وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة): صار معتمداً لأهل الإسلام يلجأون إليه في كل ما نابهم من الشدائد، من قولهم: اتكلت على رأي فلان أي اعتمده، والحوزة: الناحية، وحوزة الملك بيضته أي بإعزاز جانبهم وحماية[1] خططهم.

(وستر العورة): العورة من الرجل والمرأة: سوآتهما، والعورة: كل خلل[2] يتخوف منه في ثغر أو حرب، وهذا هو مراده ها هنا.

(والذي نصرهم، وهم قليل لا ينتصرون): لأجل قلة عددهم فهم لا يمتنعون من[3] كل أحد.

(ومنعهم): عن الأعداء.

(وهم قليل): أي عددهم قليل.

(لا يمتنعون): من أجله.

(١) في (ب): وحمآءة.

(٢) في (ب): حال.

(٣) في (ب): عن.

(حي): مرفوع على أنه خبر عن الذي في أول كلامه[1].

(لا يموت): يستحيل عروض الموت على حياته ؛ لأنها حاصلة للذات فلا يتغير بحال.

(وإنك): خطاب لعمر.

(متى تسر إلى العدو بنفسك): بذاتك من غير استخلاف غيرك.

(فتلقهم[2]): الضمير لمن يقصدونه من الكفار.

(فتنكب): فيصيبك نكبة، وهما مجزومان عطفاً على فعل الشرط، وهو تسر.

(لا تكن للمسلمين): وهو جواب الشرط.

(كانفة): كنفت الشيء أكنفه إذا حطته ومنعته[3]، والكانفة إما مصدر بمعنى الكنف كالكاذبة بمعنى الكذب، وإما أن تكون صفة أي حالة كانفة.

(دون أقصى بلادهم): أراد أنه هوالغاية للمسلمين والنهاية، فإذا هزموه لم يستقتلوا نفوسهم إلا بالوصول إلى بلادهم، ولا يكون لهم عز ومنعة[4] دونها.

---

(١) في (أ): الكلام.

(٢) في النهج: فتلقهم.

(٣) في (أ): وبلغته.

(٤) في (أ): ولا يكون لهم عدو دونها، وفي (ب): ولا يكون لهم عز وقلعة دونها، وما أثبته من نسخة أخرى.

(ليس بعدك مرجع): أي بعد خروجك مستند يلوذ به المسلمون إذا نابتهم نائبة.

(يرجعون إليه): يكون غاية لهم.

(فابعث إليهم رجلاً محرباً): له تجربة وحنكة في الحروب، وتقدم فيها، أو **(محرباً)** بالحاء المهملة، والمحرب: كثير المعاودة في الحرب، والمعالجة لأحوالها، والجيم هو سماعنا.

(وأحفز إليه[1]): عجِّل إلى نصرته.

(أهل البلاء): إما أهل الاختبار [والتجارب][2] في الأمور، وإما أن يريد أهل الامتحان والصبر على الشدائد.

(والنصيحة): له ولك.

(فإن أظهر الله): عليهم بالنصر وأعانهم.

(فذاك ما تحب): من الأمور التي أردتها وقصدتها.

(وإن تكون الأخرى): بأن الدايرة عليكم.

(كنت ردءاً للناس): عوناً لهم يلجأون إليه، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾[القصص:٣٤].

(ومثابة للمسلمين): يرجعون إليك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾[البقرة:١٢٥] أي يرجعون إليه من أجل تعظيمه بالحج والاعتمار.

---

(١) في النهج: معه.

(٢) سقط من (ب).

(١٢٦) ومن كلام له [عليه السلام][1] يخاطب به المغيرة بن الأخنس[2]

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة: أنا أكفيكه، فقال له أمير المؤمنين[3]:

(يا ابن اللعين الأبتر): المغيرة هذا هو ولد الأخنس بن شريق، وهو أحد المقتسمين الذين حكاهم الله تعالى في قوله: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾[الحجر:٩٠]، وهم اثنا عشر رجلاً من أسنان قريش ورؤسائها[4]، وهو أنهم اقتسموا مداخل مكة وطرقها، فقعد كل واحد منهم[5] في طريق من طرقها، ينفرِّون الناس عن التصديق برسول الله، وبهتاً له بأنه ساحر، ويقول بعضهم: إنه[6] كذاب، وآخرون إنه شاعر، إلى غير ذلك

(١) سقط من (ب).
(٢) هو المغيرة بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، المتوفى سنة ٣٥هـ، حليف بني زهرة، كان أبوه الأخنس بن شريق من أكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم، وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه، وابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم أحد كافراً، وهو أخو المغيرة هذا (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠١/٨).
(٣) في شرح النهج: وقد وقعت بينه وبين عثمان مشاجرة، فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) للمغيرة ...إلخ.
(٤) في (أ): ورؤساً لها.
(٥) قوله: منهم سقط من (أ).
(٦) في (ب): بأنه.

من التقولات الكاذبة[1]، فأما المستهزؤن فهم خمسة نفر: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة[2].

وأراد بابن اللعين[3] المطرود عن رحمة الله تعالى، وإنما وصفه بالبتر؛ لأن كل أحد[4] انقطع من الخير أثره فهو أبتر، ولا انقطاع أبلغ من انقطاعه من ثواب الله تعالى وخيره.

(والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع): شجرة الإنسان: قبيلته التي يعتزي إليها، وأراد أنه لاأصل لها[5] فيعرف، ولا فرع لها[6] فيثمر ويورق، كما قال تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[إبراهيم:٢٦].

(أنت تكفيني؟): استفهام على جهة التوبيخ والتقريع وروده، وأراد أنه ليس كفواً له ولا مثله يقوم لمثله، وهيهات أين فتيت المسك عن الرغام!، وشتان ما بين أخمص القدم وذروة السنام!.

(فوالله ما أعز الله من أنت ناصره): أراد أنه ذليل فلا يعتز[7] من كان ناصراً له.

(١) الكشاف ٥٥١/٢، وانظر سيرة ابن هشام ١٧٢/١-١٧٣.
(٢) الكشاف ٥٥٢/٢، وانظر سيرة ابن هشام ٤٤/٢ تحقيق عمر محمد عبد الخالق.
(٣) في (ب): باللعين.
(٤) في (ب): واحد.
(٥) في (أ): له.
(٦) قوله: لها سقط من (أ).
(٧) في (ب): فلا يغير، ولعله تصحيف.

(ولا قام): من عثاره وكبوته.

(من أنت ناهضه[1]): مقيم له عن[2] عثاره، وهذا هو النهاية في ذله وهوانه.

([اخرج عنّا][3] أبعد الله نواك): فيه روايتان:

أحدهما: أن يكون مهموزاً[4] والنوء: المطر، وأراد أبعد الله نجم مطرك، وهو كناية عن إذهاب خيره وإعدامه.

وثانيهما: نواك من غير همز[5] وهو سماعنا في الكتاب، وأراد بالنوى ما ينويه المسافر في سفره من قُرْبٍ وبُعْدٍ.

(ثم ابلغ جُهدك): بضم الجيم[6] وفتحها: الطاقة، وقيل: الجهد بالضم هو الاسم، وبالفتح المصدر من جَهَدَ يَجْهِدُ جَهْداً، وأراد أبلغ حيث يمكن طاقتك.

(فلا أبقى[7] الله عليك): دعاء عليه، أي لا أبقى[8] الله عليك شيئاً من الخير.

(إن أبقيت!): شيئاً مما تطيقه وتبلغ جهدك فيه.

(١) في شرح النهج: منهضه.
(٢) في (ب): من.
(٣) زيادة في (ب). و في شرح النهج.
(٤) أي نوءك.
(٥) في (أ): من غير هم، وهو تحريف، والصواب كما أثبته، وكما هو في(ب).
(٦) في (أ): الميم، وهو تحريف، والصواب كما أثبته، وكما هو في (ب).
(٧) في (أ) أبقاه، وفي (ب) و في شرح النهج: فلا أبقى، كما أثبته.
(٨) في (ب): بقي.

(١٢٧) [ومن كلام له عليه السلام][1]

ثم خاطب أصحابه في حكم البيعة وأمرها، بقوله:

(لم تكن بيعتكم إياي فلتة): يشير بذلك إلى كلام لعمر قاله في خلافة أبي بكر قال: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة من عاد إلى مثلها فاقتلوه[2]، أراد أنها ما كانت هكذا، والفلتة: الفجأة، بل إنما صدرت عن تدبُّر وتفكُّر، ورضا المعتبرين من جُلّة الصحابة وأكابرهم.

(وليس أمري وأمركم واحداً): ليس الأهواء متفقة، ولا الخواطر ملتئمة.

(إني أريدكم لله): عوناً[3] على ما أريد به وجه الله من الدعاء إلى الله وأمر بمعروف أو نهي عن منكر، وإقامة حدود الله.

(وأنتم تريدونني لأنفسكم): لأخذ الأموال والتنعم بها في الدنيا، وأكل الطيبات واستعمالها.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.
(٢) انظر شرح ابن أبي الحديد ٢٦/٢ وما بعدها، وقوله: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ...إلخ، رواه قاضي القضاة في المغني ٣٣٩/١/٢٠، والبخاري في صحيحه ٦(٢٥٠٥)، وابن حبان في صحيحه ١٤٨/٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٧٢/٤، ٢٧٣، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٣١/٧، وعبد الرزاق في مصنفه ٤٤١/٥، ٤٤٥، والبزار في مسنده ٣٠٢/١.
(٣) قوله: عوناً، سقط من (ب).

(**أيها الناس، أعينوني على أنفسكم**): بالانقياد لأمري، وترك المخالفة لي فيما أمرت به، ففي ذلك رضوان الله والفوز بالجنة.

(**وايم الله**): هي أيمن الله، لكن طرحت نونها تخفيفاً، وفيها لغات كثيرة، وخبرها محذوف تقديره قسمي.

(**لأنصفنّ المظلوم**[1]): بأخذ حقه له وإنصافه به.

(**ولأ قودنّ الظالم بخزامته**): الخزامة: هي[2] حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشدُّ بها الزمام، ومعها ينقاد سلساً متذللاً.

(**حتى أورده منهل الحق**): في المناصفة وأخذ الحق منه وإعطاؤه.

(**وإن كان كارهاً**): على رغم أنفه، وعنى بذلك التشدد في الإنصاف وأخذ الحق للمظلوم من الظالم، وهذا هو الدين المرتضى[3] والحق الذي لا غبار على وجهه، ولقد كان لايقف لظالم على ظلامة، ولا تأخذه في الله من لائم ملامة ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾[الزمر:٣].

---

(١) في النهج: لأنصفن المظلوم من ظالمه.

(٢) قوله: هي، سقط من (ب).

(٣) في (ب): المرضي.

(١٢٨) ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير

(**والله ما أنكروا عليّ**[1] **منكراً**): أراد أن الذي نقموه عليَّ، وأنكروه من جهتي ليس منكراً ينقمة الشرع ويكرهه، وإنما كان ذلك تجنياً عليَّ، وطلب أمور لا عذر لهم فيها عند الله تعالى.

(**ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً**): بكسر النون، هو الاسم من الانتصاف، وأراد بيان ما حصل من جهتهم من الحيف عليه، والميل إلى غيره لغير وجه يكون مقتضياً لذلك.

(**وإنهم ليطلبون حقاً هم**[2] **تركوه**): يشير إلى طلحة والزبير وعائشة بذلك، وأنهم هم[3] الذين خذلوا عثمان، وتركوا حقه في القيام معه.

(**ودماً هم**[4] **سفكوه**): أراقوه بأيديهم.

ويحكى أن أمير المؤمنين لما تصافا الفريقان يوم الجمل، خرج في إزار وعمامة متقلداً لسيف رسول الله، راكبا على بغلته دلدل، فنادى الزبير،

---

(١) عليَّ، زيادة في النهج.

(٢) هم، زيادة في النهج.

(٣) هم، زيادة في (ب).

(٤) هم، زيادة في (ب). و في شرح النهج.

فقالوا: تخرج إليه يا أمير المؤمنين حاسراً[1]، فقال: (ليس عليَّ منه بأس)، فخرج إليه الزبير، فقال:

(ما حملك على ما فعلت يا أبا عبد الله).

فقال: الطلب بدم عثمان.

فقال له[2]: (أنت وأصحابك قتلتموه، أنشدك بالذي أنزل القرآن على محمد أليس رسول الله قال لك يوماً: «أتحب علياً»، فقلت: وما يمنعني من ذلك وهو بالمكان الذي علمت؟ فقال لك: «أما والله لتقاتلنه في فئة وأنت له ظالم»).

فقال الزبير: اللَّهُمَّ، نعم، ثم قال له: (أمعك نساؤك)؟

قال: لا.

فقال له: (هذا قلة إنصاف أخرجتم حليلة رسول الله، وصنتم حلائلكم...) إلى كلام طويل.

قال: فبكى الزبير من ذلك، ثم أتى عائشة فقال لها: يا أمه، ماشهدت موطناً قط في جاهلية ولا إسلام إلا ولي فيه داع غير هذا الموطن، مالي فيه بصيرة، وإني لعلى باطل، فقالت له: يا أبا عبدالله، حذرت سيوف بني المطلب وابن أبي طالب، ثم قال له ابنه: لا والله ما ذاك زهداً منك، ولكن رأيت الموت الأحمر فلعن ابنه، وقال: ما أشأمك من ابن![3].

(١) الحاسر: الذي ليس عليه درع.
(٢) له، زيادة في (ب).
(٣) انظر الرواية في المغني ٢٠/٢/٨٧ وهي هنا باختلاف يسير.

وعن عمران بن الحصين[1]، أنه قال لعائشة لماقدمت البصرة: يا أم المؤمنين، أبعهد من الله خرجت من بيتك، فقالت: جئنا نطلب بدم عثمان، فقال لها: ليس في البصرة أحد من قتلة[2] عثمان فلماذا جئتم إليها؟

فقالت: لكنهم مع علي فجئنا لنقاتلهم، فيمن يتبعنا من أهل البصرة؟

فقال لها: ما أنت وذاك! وقد أمرك الله أن تقرِّي في بيتك، وتلا عليها كتاب الله، وقال لها: اتقي الله يا أم المؤمنين[3]، واحفظي علياً وقرابته من رسول الله[4].

(**فإن كنت شريكهم فيه**): قاتلاً له معهم.

(**فلهم**[5] **نصيبهم منه**): فأراهم يضيفونه إليَّ ويتهمونني به.

(**وإن كانوا ولوه دوني**): استبدوا به.

(**فما**[6] **الطلبة إلا قبلهم**[7]): فهم الغرماء دوني.

(١) هو عمران بن الحصين بن عبيد أبو نُجَيد الخزاعي البصري، أسلم عام خيبر، وشهد ما بعد ذلك، وكان من فضلاء الصحابة، مات بالبصرة سنة ٥٢هـ، وأخرج له الجماعة وأئمتنا الخمسة إلا الجرجاني، عنه أبو رجاء العطاردي، وعبد الله بن بردة، وأبو نضرة، والحسن البصري (لوامع الأنوار ٣/١٥٣).
(٢) في (أ): قبيلة، وهو تحريف، والصواب كما أثبته، وكما هو في (ب).
(٣) اللفظ من هنا في المغني: فإن الله إنما عظَّمك في أعين الناس ببني هاشم، فاحفظي عليًا وقرابته من رسول الله، فقد بايعه الناس كما بايعوا أباك.
(٤) المغني ٢٠/٢/٨١-٨٢.
(٥) في النهج: فإن لهم ...إلخ.
(٦) في (أ): فبا، وفي النهج: فما، وما أثبته من النهج ومن (ب).

وروي عن الزبير أنه قال عند نزول البصرة: والله ما كان أمرقط إلا عرفت أين أضع قدمي فيه، إلا هذا الأمر، فإني لاأدري أمقبل أنا فيه أم مدبر؟

فقال له ابنه: لا، ولكنك خشيت رايات ابن أبي طالب، ورأيت الموت الناقع تحتها، فقال له الزبير: مالك أخزاك الله![1].

(وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم): أراد إن كانوايعدلون وينصفون من أنفسهم، فأول ذلك وأمارته الحكم على أنفسهم، والنظر في القضية فإن الحجة عليهم قائمة.

وروي أن رجلاً من أهل البصرة قال[2] لطلحة والزبير، فقال لهما: إن لكما فضلاً وصحبة فأخبراني عن مسيركما هذا وقتالكما، أشيء أمركما به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أم رأي رأيتماه؟ فأما طلحة فسكت، وجعل ينكت في الأرض، وأما الزبير فقال له: ويحك!، إن ها هنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها[3].

وروي عن عمار بن ياسر أنه جاء إلى عائشة فقال: سبحان الله! ما أبعد هذا الأمر من الأمر الذي عهد إليك الله، أمرك أن تقري في بيتك.

(٧) في (أ): قيلة، وهو تحريف، والصواب كما أثبته.
(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦٦/٢، والمغني ٨٦/٢/٢٠.
(٢) كذا في (أ) وفي نسخة أخرى وفي (ب) وكتب فوقها في (ب) بقوله: ظ: قام.
(٣) المغني ٨٩/٢/٢٠، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٣١٧/٩-٣١٨ والرواية فيه عن المغني.

فقالت: من هذا؟ أبو اليقظان[1]؟ فقال: نعم، فقالت: أما والله ما علمت إلا[2] أنك لقوَّال بالحق.

فقال: الحمدلله الذي فضحك[3] على لسانك[4].

(وإن بصيرتي لمعي): البصيرة هي: الاسم من الاستبصار؛ أراد أني عالم بما أنا[5] فيه من ضلالهم واستصواب قتالهم.

(ما لبست): على أحد خدعته عن الدين واستزللته.

(ولا لُبِّسَ عليَّ): أمري ودخل في عقلي بالإضلال، وأراد أني ما خدعت أحداً ولا خدعني.

(وإنها للفئة الباغية): الضمير للقصة، وأراد من خالفه من أعدائه أي الجماعة التي خالفت أمرالله في حربي وقتالي، ويشير[6] بكلامه هذا، إلى ما قاله الرسول لعمار: «تقتلك ياعمار الفئة الباغية»[7].

(١) في (أ): أبو الطيقان، وهو تحريف، والصواب كما أثبته: أبو اليقظان.
(٢) إلا، سقط من (أ).
(٣) في المغني: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك.
(٤) المغني ٨٩/٢/٢٠.
(٥) في (أ): اتى.
(٦) في (ب): أو يشير.
(٧) حديث إخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية حديث شهير، وللحديث عدة طرق وروايات وأسانيد منها ما أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٣٥٠/٢ برقم (٣٢٨) بسنده عن أنس بن مالك بلفظ: «عمار تقتله الفئة الباغية»، وبرقم (٨٢٩) عن عبد الله بن أبي الهذيل بلفظ: «عمار -ولم يقل: ويحك ولا ويلك- يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية» وله فيه عدة طرق وروايات، وبلفظ: «تقتل عماراً الفئة الباغية» برقم (٨٤٠) عن جابر بن سمرة، وانظر تخريجه فيه. =

(**فيها الحمى**[1]): الحرارة.

(**والحُمة**): سم الأفاعي.

(**والشبهة المغدفة**[2]): والخطة[3] المشتبهة على أهلها، والحارة العظمى لهم فيما هم فيه من الأمر، والمغدفة بكسر الدال هي: المظلمة من أغدف الليل إذا كان مظلماً، وبفتحها المجعولة كثيراً، من قولهم: غدفت العين إذا كانت غزيرة[4]، وسماعنا بالكسر فيها.

ويحكى عن ابن عباس أنه قال لعائشة: ألست [إنما سميت][5] أم المؤمنين بنا؟

وأورد الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ١/٤٨-٥٣ عدداً من روايات الحديث وذكر مصادرها (انظرها فيه).

وقال البدر محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله في التحفة العلوية ص ٨٤-٨٥ ما لفظه: ومن المعجزات في قتاله القاسطين ما تواتر عن أئمة النقل من أن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأنه يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، وهذا الحديث متواتر متفق عليه بين الطوائف.انتهى. فذكر الحديث.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٠/١٠٦ عن ابن عبد البر النمري في الاستيعاب ما لفظه: قال أبو عمرو: وتواترت الأخبار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((تقتل عماراً الفئة الباغية)) وهذا من إخباره بالغيب، وأعلام نبوته صلى الله عليه وآله، وهو من أصح الأحاديث. انتهى. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤ رقم (٢٢٣٦)، والحاكم في المستدرك ٢/١٦٢، والترمذي في سننه ٥/٦٦٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٤٢، وأحمد بن حنبل في مسنده ٢/١٦١، ٣/٥.

(١) في النهج: الحمأ.

(٢) في النسخ: المغدقة بالقاف، وما أثبته من النهج ومن شرح النهج لابن أبي الحديد.

(٣) في (ب): والخطيئة.

(٤) ويصح على هذا التفسير أن تكون الكلمة: المغدقة بالقاف، وهو التفسير الذي ذكره الشريف علي بن ناصر الحسيني رحمه الله في أعلام نهج البلاغة.

(٥) سقط من (أ).

قالت: بلى، فقال: أولسنا أولياء زوجك؟

فقالت: بلى، فقال لها: فَلِمَ خرجت بغير إذن منّا؟

فقالت له: أيها الرجل، كان فِصاداً[1] من خديعة[2].

فهذه الروايات كلها دالة وموضحة أنهم فيما أتوا على غير بينة عادلة، ولا هم على حجة واضحة.

(**وإن الأمر لواضح**): في دعائي إلى الحق، ودعائهم إلى الضلالة.

(**وقد زاح الباطل عن نصابه**): بعد عن موضعه ومستقره[3].

(**وانقطع لسانه عن شغبه**): كثرة[4] لجاجه بما لا يجدي، وأراد بذلك استظهاره عليه[5]، وغلبته إياهم بما أعطاه الله من النصر والظفر.

(**وايم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه**): فرط الحوض إذا ملأه، والمتح: النزع للماء، وجعل ذلك كله كناية عما أوقعه بهم من القتل، ونصب لهم من الحرب العظيمة، والقتالات الشديدة.

(**لا يصدرون**[6] **عنه بريّ**): لا يروون بعده؛ والري هو: زوال الشهوة للماء.

(**ولا يعبّون بعده في حسي**): العبُّ هو: شرب الماء من غير مص،

---

(١) فِصاداً، أي خروجاً، يقال: فصد المريض أي أخرج مقداراً من دم وريده بقصد العلاج.

(٢) في المغني: أيها الرجل كان أمر قضاء وأمر خديعة. وانظر الرواية فيه ٩٠/٢/٢٠.

(٣) في (ب): ومسنده.

(٤) في (ب): كثير.

(٥) في (ب): عليهم.

(٦) في (أ): ولا يصدرون.

والحسي: جمع حسوة، وهو فعول لكنها قلبت فيه الواوان يائين على جهة التخفيف، كما فعلوا في نحو دلي وأصله دلو، يروى بضم الحاء وكسرها، والحسوة: حفير في الرمل ينشف الماء فإذا وصل إلى تراب صلب أمسك الماء فيحفر فيؤخذ منه الماء، وعنى بذلك استئصال شأفتهم بالقتل.

(**فأقبلتم إليّ**): أراد بعد قتل عثمان للبيعة والقيام بالأمر.

(**إقبال العوذ المطافيل على أولادها**): العوذ جمع عائذ وهي: الناقة القريبة العهد بالنتاج، والمطفل: الظبية التي لها ولد وهي قريبة العهد بالولادة أيضاً، وأراد بذلك سرعة إقبالهم إليه للبيعة كإسراع العوذ والمطافيل إلى أولادها.

(**تقولون: البيعة البيعة!**): أي خذ البيعة علينا، وإنما ثنّاه تأكيداً ومبالغة كما يقال: الدرهم الدرهم.

ويحكى أن أميرالمؤمنين أمر ابن عباس إلى الزبير يوم الجمل، فقال له: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: ألم تبايعني طائعاً غير مكره، فما الذي رأيت مني مما استحللت فيه قتالي[1].

(١) بعده في المغني: قال: فأجابني: إنّا مع الجود الشديد لنطمع، وانظر الرواية فيه ٢٠/٢/٨٦، ٨٧، والرواية في شرح ابن أبي الحديد ٩/٣١٧ بلفظ: وقد روى المدائني أيضاً نحواً مما روى أبو مخنف قال: بعث علي (عليه السلام) ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب، فقال له: إن أمير المؤمنين يقرئ عليك السلام، ويقول لكم: ألم تبايعني طائعاً غير مكره، فما الذي رابك مني، فاستحللت به قتالي؟ قال: فلم يكن له جواب إلا أن قال لي: إنا مع الخوف الشديد لنطمع، لم يقل غير ذلك.
قال أبو إسحاق: فسألت محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام): ما تراه يعني بقوله هذا؟ فقال: أما والله ما تركت ابن عباس حتى سألته عن هذا، فقال: يقول: إنا مع الخوف الشديد مما نحن عليه، نطمع أن نلي مثل الذي وليتم. انتهى.

(**قبضت يدي**): رغبة عن الأمر.

(**فبسطتموها**): لأخذ البيعة منكم.

(**ونازعتكم يدي**): مرة بعد مرة.

(**فجاذبتموها**): وأبيتم إلا البيعة.

(**اللّهمَّ، إنهما**): يريد طلحة والزبير.

(**قطعاني**): إما قطعا رحمي بالمقاتلة، وإما قطعا الموالاة لي في الدين بالبغي عليَّ والمحاربة لي.

(**وظلماني**): أسقطا حقي.

(**ونكثا بيعتي**): التي أعطياني من قبل هذا.

(**وألّبا عليّ الناس**): جمعاهم من كل صُقْع[1]، ولبسا على الناس أمرهم في استصواب قتالي، وخروجهما بعائشة من أجل ذلك.

ويحكى عن عائشة أنها لما خرجت للقتال، أرسلت إلى أبي بَكْرة[2] رجلاً فقالت له: ما منعك من إتياني، أعهد عهده إليك رسول الله أم أحدثت بدعة؟ فأرسل إليها: لا هذا ولا هذاك، ولكن تذكرين يوماً كان رسول الله عندك فبشّر بظفر أصحاب له فخر ساجداً، ثم قال للرسول: حدثني.

(١) الصقع بالضم: الناحية.
(٢) هو أبو بَكْرة الثقفي نفيع بن الحارث بن كلدة، وقيل: اسمه مسروح، أسلم يوم الطائف، نزل البصرة، ولم يقاتل يوم الجمل، وقيل: كان مريضاً، وعاتبه أمير المؤمنين لما زاره، روى عنه أولاده، والحسن، توفي بالبصرة، خرَّج له أبو طالب، والمرشد بالله، والجماعة (لوامع الأنوار ٣/١٧٥).

فقال: كان الذي يلي أمرهم امرأة.

فقال (عليه السلام): «هلكت الرجال حين أطاعت النساء»[1]، **فلما رجع الرسول إليها بكت حتى بلّت خمارها**[2].

(**فاحلل ما عقداه**): من أمر الحرب والمناصبة.

(**ولا تحكم ما أبرماه**): من ذلك، حبل مبروم إذا كان جيد الفتل محكماً.

(**وأرِهِمَا المساءة فيما أمّلا وعملا**): المساءة مفعلة من السوء، كالمسعاة من السعي، وأراد خيب آمالهما، وأذهب ما يعملانه من المكر والخديعة.

(**ولقد استتبتهما**[3] **عن القتال**): لما كان قتالهما شبهة في الدين وفتنة فيه، وكان (عليه السلام) عظيم[4] التأني في حرب أهل القبلة، **لا يعجل عليهم** بالقتال إلا بعد الاستتابة وإبلاغ المعذرة، كما فعل مع غيرهم من الخوارج وأهل الشام معاوية وأصحابه.

(**واستأنيت بهما أمام الوقاع**): تربصت بهما قبل القتال رجاء أن يعودا عن غيهما، ويرجعا عن بغيهما.

(**فغمطا النعمة**): حقرا نعمة الله عليهما بمخالفة أمره.

(**وردّا العافية**): وهي السلامة عما أصابهما من القتل.

(1) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٠/٢٩٢، وعزاه إلى مستدرك الحاكم ٤/٢٩١، وكنز العمال برقم (٤٤٥٠٤)، وتاريخ أصبهان لأبي نعيم ٢/٣٤، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ٩٩، وكشف الخفاء ٢/٢١٥ وغيرها.

(2) المغني ٢٠/٢/٩٠.

(3) في النهج: استثبتهما قبل القتال.

(4) في (ب): كثير.

(١٢٩) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الملاحم

(**يعطف الهوى على الهدى**): أي يرد الهوى ويميل إلى الهدى ويدعو إليه.

(**إذا عطفوا الهدى على الهوى**): إذا عطفوا الحق على الباطل.

(**ويعطف الرأي على القرآن**): لا يجعل للرأي مع القرآن حكماً، ويعتمد في أمره على كتاب الله تعالى.

(**إذا عطفوا القران على الرأي**): اعتمدوا آراءهم، وتركوا القرآن، يشير بما ذكره إلى خروج المهدي ويذكر حاله في ذلك اليوم.

(**حتى تقوم بكم الحرب على ساق**): عبارة عن شدتها وصعوبتها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[القلم:٤٢].

(**بادياً نواجذها**): النواجذ هي: الأسنان.

(**مملوءة أخلافها**): ضروعها، واحدها خلف.

(**حلواً رضاعها**[1]): لمن ارتضعه.

(**علقماً عاقبتها**): العلقم: نبت فيه مرارة عظيمة، وعاقبتها مرفوعة على الابتداء وهو خبرها، وأراد أن عاقبتها وخيمة.

(1) في (ب): إرضاعها.

(ألا وفي غد): ألا للتنبيه، وأراد والعجب في غد.

(وسيأتي غد بما لا تعرفون): من العجائب العظيمة، وإنما أظهره في موضع الإضمار دلالة على إعظام الأمر فيه.

(يأخذ الوالي من غيرها عمَّالها): أي يكون المتولي للكوفة من غير أهلها، يأخذ خراجها من عمالها.

(على مساوئ أعمالها): أراد بما فعلوا من الأعمال السيئة، والأفعال القبيحة.

(وتخرج له من[1] الأرض أفاليذ كبدها): الأفاليذ جمع أفلاذ، والواحد منها فلذ وهي: قطع الكبد، واستعار الأفلاذ عبارة عن نفائس الدنيا وممالكها العظيمة، لما كانت الكبد أعز أعضاء الحيوان وأعلاها حالاً في الاغتذاء.

(وتلقي إليه سِلْماً مقاليدها): وسلماً أي استسلاما وانقياداً، وانتصابه إما على الحال أي منقادة متسلمة، أو على التمييز بعد الفاعل أي تلقي إليه مفاتيحها وأمورها العظيمة.

(فيريكم كيف عدل السيرة): حال السيرة العادلة، ويظهرلكم[2] مواردها ومصادرها.

(ويحيي ميت الكتاب والسنة): ما اندرس من علومهما وأحكامهما.

(كأني به قد نعق بالشام): الضمير في به يحتمل أن يكون عائداً

(١) قوله: من، سقط من شرح النهج.
(٢) في (أ): ويظهركم.

إلى الوالي الذي قد تقدم ذكره، ويحتمل أن يكون عنى به المختار بن أبي عبيد[1]، وقيل: أراد الحجاج بن يوسف، وقيل: أراد عبد الله بن الزبير[2]. والله أعلم أي ذلك.

(وفحص براياته في ضواحي كوفان): الضواحي: جمع ضاحية وهي براري المدينة، وصحاريها المنكشفة.

(فعطف عليها[3] عطف الضروس): كرَّ عليها ومال بالأخذ والقتل، والضروس: الناقة المتعصية[4] السيئة الحال، وإنما شبَّهه بها لشدة غضبه على[5] أهلها لسوء أعمالهم.

(وفرش الأرض بالرءوس): أراد به[6] عظم قتله هناك، حتى صارت الرءوس كالبساط الممدود على الأرض.

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، المتوفى سنة ٦٧هـ من زعماء الثائرين على بني أمية، من أهل الطائف وانتقل منها إلى المدينة مع أبيه في زمن عمر، وانقطع المختار إلى بني هاشم في المدينة، ثم كان مع أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعراق، وسكن البصرة وهو الذي تتبع عدداً من قتلة الحسين (عليه السلام) وقتل منهم شمر بن ذي الجوشن، وخولي بن يزيد، وعمر بن سعد، وعبيد الله بن زياد وغيرهم، وقُتِلَ المختار في قصر الكوفة في أحد الوقائع التي جرت بينه وبين مصعب بن الزبير أخي عبد الله بن الزبير، وأخبار المختار كثيرة مبثوثة في كتب التأريخ (وانظر عنه معجم رجال الاعتبار ص ٤١٠-٤١١ ت(٨١٣)، والأعلام٧/١٩٢).
(٢) ذكر هذه الأقوال الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ- ص٣٨، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج٩/٤٧ في شرح ذلك ما لفظه: هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب فيها أيام عبد الرحمن بن الأشعث، وقتله أيام مصعب بن الزبير. انتهى.
(٣) في (أ): عنها، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن النهج.
(٤) في (ب): المبغضة.
(٥) في (ب): عن.
(٦) في نسخة أخرى: أنه.

(قد فغرت فاغرته): فغر فاه إذا فتحه، وأراد أن جنده ظهروا على الناس، وفتحوا أفواههم ليأكلوا الناس، ويأخذوا أموالهم، والفاغرة: نوع من الطيب، وذكروا أنها النيلوفر[1] الهندي، وسميت بذلك لأنها حبٌ ينفح عند إيناعه ويبسه.

(وثقلت في الأرض وطأته): لعظم حاله وكثرة جنده، وامتداد عسكره.

(بعيد الجولة): تجاول الفرسان في الحرب إذاجال بعضهم على بعض، وأراد أنه لكثرة جنده فتجوالهم في[2] أمكنة بعيدة الأطراف.

(عظيم الصولة): صال عليه إذا استطال، وكان مقتدراً.

(والله ليشردنَّكم): يفرقنكم.

(في أطراف البلاد[3]): أقصاها وأدناها.

(حتى لا يبقى منكم): بعد القتل والأسر، والتطريد والتشريد.

(إلا قليل): لا يلتفت إليه ولا يعبأ به.

(كالكحل في العين): في القلة، ولهذا فإنه لا يؤذيها لرقته وحقارته وخفته.

---

(١) في (أ): الينوفر، وفي (ب): اللينوفر، وما أثبته من القاموس المحيط ص٦٢٥، قال: ويقال: النيفوفر، وذكر في تفسيره أنه ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة، بارد في الثالثة، رطب في الثانية، ملين، صالح للسعال وأوجاع الجنب والرئة والصدر، وإذا عجن أصله بالماء وطُلي به البهق مرات أزاله، وإذا عجن بالزفت أزال داء الثعلب. انتهى.

(٢) في، زيادة في (ب).

(٣) في شرح النهج: الأرض.

(فلا تزالون كذلك): على ما وصف من حالهم في القتل عقوبة من الله تعالى، وانتقاماً منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾[الرعد:٣١] فهذه العقوبات بالقتل والأسر والتسليط، لا يمتنع إنزالها من الله تعالى على جهة العقوبة والانتقام من معاصي قد أسلفوها.

(حتى تؤوب[1] إلى العرب عوازب أحلامها): يرجع إليهم ما ذهب من عقولهم وأحلامهم[2] وبعد عنهم وضل، فيجعلون التقوى وخوف الله تعالى شعارهم، ويفيئون إلى أمر الله باتباع أئمة الدين، وسلوك طريق الرشاد[3].

(فالزموا السنن القائمة): اجعلوها عمدة لكم، ولا تعرضوا عنها، ويمكن حمله على العموم في سنن الأنبياء، وإما على الخصوص في سنة الرسول ﷺ فإنها كلها أجمع دالة على الرشد.

(والآثار البينة): من أعلام الهدى.

(والعهد القريب): بالرسول ﷺ.

(الذي عليه باقي النبوة): آثارها ومعالمها، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[4] [النساء:٢٦] وهي أعلام التوحيد، وأحكام الإلهية، وعلوم الآخرة.

---

(١) في (أ): لا تؤوب.

(٢) في (ب): واختلافهم، وهو غامض.

(٣) في (أ): الطريق الرشادة.

(٤) لفظ الآية الشريفة في النسخ: (فالله يريد أن يهديكم سنن الذين من قبلكم) وأثبتها من المصحف الشريف.

(واعلموا أن الشيطان إنما[1] يسنّي لكم[2] طرقه): يقرِّبها ويجعلها سهلة عتيدة[3].

(لتتبعوا عقبه): تسلكوا على أثره فيما يريده من الإغواء، والصد عن الهدى بمبلغ جهده وإمكانه.

(١) قوله: إنما، زيادة في (ب) و في شرح النهج.
(٢) لكم، زيادة في النهج.
(٣) عتيدة: أي مهيئة.

(١٣٠) [ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى][1]

ثم قال بعد ذلك:

(إنه لن[2] يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق): أراد أنه أعظم الناس إسراعاً إلى مكارم الأخلاق، وحميد الشيم، وأنواع المعروف، وأن أحداًلم يسبقه إلى الدعاء إلى الحق إلا الأنبياء.

(وصلة رحم[3]): بالبر لها[4]، والإحسان إليها.

(وعائدة كرم[5]): وعطاء ونعمة تصل وتكون عائدة إلى الْمُحْسَنِ إليه.

(فاسمعوا قولي): سماع قبول وإجابة.

(وعوا منطقي): ما أنطق به من الحكم والمواعظ والآداب، واغتنموا أيامي وما فيها من إحياء السنن، وإماتة البدع.

(عسى أن تروا هذا الأمر): أراد الخلافة بعد موته.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.
(٢) في النهج: لم، وقوله: إنه، سقط منه.
(٣) في (أ): الرحم، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن النهج.
(٤) في (ب): بها.
(٥) في (أ): كرمت.

(من بعد هذا اليوم): يشير إلى أيام خلافة بني أمية وبني العباس ومن بعدهم.

(تُنتضى فيه السيوف): أراد بالبغي، والفساد، والتجبر، والعناد.

(وتخان فيه العهود): بالفسق وسائر أنواع الفجور.

(حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة): يقتدى به.

(وشيعة لأهل الجهالة): أشاع الأمر إذا أظهره، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم بعضاً فهم شيع.

(١٣١) ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة[1] الناس

(وإنما[2] ينبغي لأهل العصمة): المؤيدين بالألطاف الخفية عن فعل المعاصي.

(والمصنوع إليهم في السلامة): السالمين عن جميع العاهات إحساناً من جهة الله تعالى، واصطناع المعروف إليهم في ذلك، ومن هذا قوله تعالى لموسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[طه:٤١] أي اختصصتك لما أريد من أغراضي ومقاصدي تشريفاً وإكراماً لك، وعناية بحالك.

(أن يرحموا): فاعل لقوله: ينبغي.

(أهل الذنوب والمعصية): لما يصيبهم من غضب الله تعالى، وسخطه في الدنيا، ولما أعد لهم من العقوبات[3] السرمدية في الآخرة.

(ويكون الشكر هو الغالب عليهم): الكثير من أحوالهم، وطرائقهم على ما خُوِّلوا من النعم وأكرموا بها.

(والحاجز لهم عنهم): الضمير الأول لأهل العصمة، والضمير الثاني

---

(١) في النهج: عيب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في (ب): فإنما.

(٣) في (ب): العقوبة.

لأهل الذنوب، والمعنى ويكون الشكر لأهل العصمة مانعاً عن أذاء أهل المعصية فيشتغلون بالشكر عن ذلك، فإذا كان هذا هو المتوجه لأهل المعصية على أهل الطاعة والعصمة.

(فكيف بالعائب الذي عاب أخاه): فكيف حال الْمُؤْمِنَيْنِ اللَّذَيْنِ يغتب[1] أحدهما صاحبه وينال من عرضه وينقصه بالغيبة له، فاللوم إلى العائب أكثر وما أصابه من النقص في دينه أوفر، فيما ذكر فيه.

(وعيّره ببلواه): عابه بما ابتلاه الله به من فقر أو غيره من البلاوي في النفوس والأولاد والأموال، وسائر المصائب.

(أما ذكر موضع ستر الله عليه): قدر النعمة وحقها باطلاع الله تعالى على أمور كثيرة.

(من ذنوبه): التي اقترفها وأضمرها عن الخلق، ولو شاء الله لفضحه بها على رءوس الخلائق.

(وهو[2] أعظم من الذنب الذي عابه به!): ربما كان أدخل في القبح[3]، وأعظم في المفسدة من الأمر الذي عاب به أخاه.

(فكيف يذمه بذنب قد ركب مثله!): تعجب من حال من يفعل ذلك، والمعنى أن العقول مشيرة وحاكمة بأن أحداً لا يعيب غيره بعيب مثله

---

(١) في (ب): الذي يعيب.
(٢) في النهج: مما هو.
(٣) في (أ): القبيح.

حاصل فيه، ولقد صدق من قال:

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتي مثلَه
عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ[1]

ثم ولو سلمت تقديراً أنه خالي عن ذلك:

(فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه): لعصمة[2] من الله تعالى في ذلك الذنب، أو لغير ذلك من الصوارف عنه.

(فقد عصى الله فيما سواه): بذنوب أخرى اجترحها وفعلها.

(مما هو أعظم منه): عند الله تعالى فهو العالم بصغائر[3] الذنوب وكبائرها، وما يكون أدخل في الاستفساد من الذنوب من غيره، وطريق ذلك كله الشرع، ولا تصرف للعقول في ذلك.

(وايم الله): قسم وهو جمع يمين.

---

(١) البيت هو لأبي الأسود الدؤلي، من جملة أبيات هي:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... أبداً وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُسْمَعُ ما تقول ويُشْتَفَى ... بالقول منك وينفع التعليم

انظر شذور الذهب لابن هشام، وشرحه لمحمد محي الدين عبد الحميد ص ٢٣٨.
(٢) في (أ): لعظمه.
(٣) في (ب): بصغار.

(لئن لم يكن عصاه في الكثير، وعصاه في القليل[1]): ولم يركب صغيرة ولا كبيرة من الذنوب ولا أقدم[2] على شيء من محظورات دينه فعلاً كان أو كفاً.

(لجرأته): إقدامه، واجترأ على الشيء إذا أقدم عليه.

(على عيب الناس أكبر): أعظم جرماً عند الله، وأدخل في اللائمة من الله، وأراد بالكبر ها هنا إما أنه لا يمتنع ذلك عند الله تعالى أن تكون جرأته أكبر، فإن الأمر في ذلك مستورعنا لا نعلمه، وإما أن يريد بكبرها تفاحشها[3] عند العقلاء، وعظم ما يكون من النقص بها.

(يا عبد الله): خطاب عام لكل أحد؛ لأن العبودية شاملة لجميع الخلائق ولم يرد أحداً بعينه، ولا شخصاً بنفسه.

(لا تعجل في عيب أحد): نقصه، ولا تسرع إلى ثلمه.

(بذنبه): بما اكتسب من الذنوب، وخالط من المعاصي.

(فلعله مغفور له): ما اكتسبه من تلك المعاصي، وإن كثرت[4] وعظمت.

(ولا تأمن على نفسك): ارتكابك.

(صغير معصية): مما تستحقره في نفسك، ولا تبالي به.

(فلعلك معذب عليه): أراد ما تستصغره في نفسك وتستحقره،

(١) لفظ العبارة في النهج: لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير.
(٢) في (أ): والإقدام، وهو خطأ.
(٣) في (أ): تفاحشاً، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(٤) في (ب): كبرت.

وهو عند الله كبير، ولا يحتمل سوى ذلك؛ لأن الصغائر على الحقيقة عقابها مكفَّر في جنب ما لصاحبها من الثواب، وفي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنَّ لها من الله طالباً»[1]، يشير إلى ما ذكرناه[2] مما تستحقره النفوس منها.

(فليكفف من علم منكم عيب غيره): عن[3] أن يذكره بلسانه أويحكيه لغيره، أو يشير إليه بالنقص، إشارة يفهم منها نقصه، أو يكني عن ذلك بما يفهم منه.

(لما يعلم من عيب نفسه): فيقبح في العقول أن تعيب غيرك بعيب مثله فيك، أو أقبح منه وأشنع.

(وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته): أراد وليكن همه الذي يشتغل به الشكر على العافية والقيام بالعبادة لله تعالى، التي هي الشكر على نعم الله تعالى.

(مما ابتلي به غيره): من الفقر، ومن الآلام والأسقام، أو غيرذلك من المصائب.

(١) رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام) في تكملة الأحكام ص ١١٧ وقوله هنا: (من)، في تكملة الأحكام: (عند). ورواه العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار٢/٣٢٠ الباب (١٧٦)، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه أحمد، وابن ماجة، والحكيم، وأبو يعلى عن عوف بن الحرث الخزاعي ابن أخي عائشة لأمها، قاله في كنز العمال ولفظه: «يا عائشة، إياك ومحقرات ...»إلخ ما هنا بلفظه. انتهى. وهو بلفظ: «إياك ومحقرات الذنوب...» إلخ، أخرجه الدارمي في سننه ٢/٣٩٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/٤٥٤ ومسند الشهاب ٢/٩٥.
(٢) في (ب): ذكرنا.
(٣) عن، زيادة في (ب).

(١٣٢) [ومن كلام له عليه السلام في النهي عن سماع الغيبة، وفي الفرق بين الحق والباطل][(١)]

(أيها الناس، من عرف من أخيه وثيقة دين): صلابة وتشدداً في ذات الله يوثق بها.

(وسَداد طريق): واستقامة على الدين في أحواله كلها من القيام بالواجبات، والانكفاف عن المحرمات.

(فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الناس): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد النهي عن سماعها، أي لا يصغي إليها؛ لأنه مع الإصغاء يحصل سماعها لا محالة بالضرورة.

وثانيهما: أن يريد النهي عن تصديقها، أي لا يسمعها[(٢)] سماع قابل لها مصدِّق بها.

(أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام): إذا كان الرمي[(٣)] على غير جهة الاستقامة، وأراد أن الخبر ربما صدر عن ثقة مع كونه كذباً، بأن يسمعه عمَّن لا يوثق به، فيحكيه كما سمعه.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.
(٢) في (ب): لايسمع.
(٣) في (ب): الرامي.

(ويحيك الكلام): يؤثر في النفوس تأثيراً عظيماً لا يمكن وصفه، وإن كان كذباً.

(وباطل ذلك يبور): الإشارة إلى ما تقدم ذكره من تصديق كلام الناس، والتعويل عليه في حق من ظاهره الستر والعفاف.

(والله سميع): لما يقال من ذلك من[(١)] صدقه وكذبه، وسره وجهره.

(وشهيد): إما مشاهد[(٢)] لهذه الأشياء وعالم بها، وإما رقيب عليها وحافظ لها ليجازي عليها.

(أما إنه ليس بين الحق والباطل): فيما يفرق بينهما ويوضح أحدهما عن الآخر.

(إلا مقدار أربع أصابع): وهذا من الكنايات العجيبة، والإشارات الدقيقة التي لم يُسْبَقْ بها، ولم يُزَاحَم عليها.

(فسُئِلَ عن معنى ذلك): الكلام الذي ذكره، وجعله كناية عن غيره.

(فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه): مشيراً بذلك إلى طريق العلم والظن، ثم فسر ذلك بقوله:

(الباطل أن تقول: سمعت): لأن السماع ربما كان كذباً[(٣)] لاحتماله ذلك.

(والحق أن تقول: رأيت): لأن المشاهدة طريق من طرق العلم فلا يمكن

(١) قوله: من سقط من (ب).
(٢) في (أ): مشاهدة.
(٣) في (ب): كاذباً.

كذبها بحال، وأما في قوله: (أما أنه ليس بين الحق والباطل) بمعنى حقاً، وأن مرفوعة على أنها فاعلة المصدر، أي حقاً أنه ليس بين الحق والباطل إلا ما ذكر من المسافة، وهكذا حالها حيث وقعت على هذه الصفة.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قولك: أما أنك منطلق؟، فقال: على معنى حقاً أنك منطلق، وقد وقع في كلام الرسول ماهو بيان بالإشارة، كما قال (عليه السلام): «الشهر يكون هكذا وهكذا وهكذا، وأشار إلى أصابع يديه ثلاث مرات، وهكذ وهكذا وهكذا وكفَّ واحدة منها»[1]، يشير بالأولى إلى أنه يكون ثلاثين، وبالثانية إلى أنه قد يكون تسعة وعشرين.

(١) الحديث بلفظ: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا بأصابع يديه وقبض في الثالثة إبهامه» أخرجه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٤٦٣ برقم (٦١٢) بسنده من خبر عن جابر بن عبد الله، وقريباً لما أورده المؤلف هنا، رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في الأحكام ١٧٦/٦. ورواه الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٣١٢/٢ وقال: وهذا الحديث في أصول الأحكام والشفاء، إلا أن في اللفظ بعض الاختلاف، وأخرجه مسلم في صحيحه ٧٥٩/٢، ٧٦٠، وابن خزيمة ٢٠٧/٣، وابن حبان في صحيحه ٢٣٣/٨.

(١٣٣) [ومن كلام له عليه السلام][1]

(وليس لواضع المعروف في غير حقه): إعطاؤه على غير وجهه كالإسراف في الإعطاء.

(وعند غير أهله): ممن لايكون مستحقاً له، وليس[2] من أهل من يكون محلاً للاصطناع.

([من الحظ فيما أتى][3] إلا محمدة اللئام): المحمدة بكسر الميم هي: الحمد، كالمعذرة من العذر، وأراد حمد اللئام وثناؤهم عليه لا غير.

(وثناء الأشرار): وإقرارهم بالثناء عليه من غير أمر[4] وراء ذلك.

(ومقالة الجهال): تصريحهم بأنك منعم ومحسن.

(ما دام منعماً عليهم[5] ومحسناً إليهم): بعطاياه، واصلة إليهم غضة طرية.

(ما أجود يده!): بالإعطاء والبذل.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.
(٢) في (ب): يعني وليس من أهله ممن يكون...إلخ.
(٣) زيادة في (ب) و في شرح النهج.
(٤) في (أ): أمراً.
(٥) عليهم، زيادة في النهج، وقوله: ومحسناً إليهم، سقط منه.

(وهو عن ذات الله بخيل): لا يعطي لوجه الله تعالى شيئاً، وإنما عدَّاه بعن، وكان القياس تعديته بالباء، كماقال تعالى: **﴿بَخِلُوا بِهِ﴾** ولكنه حمله على المعنى؛ لأن البخل منع المال وصرفه في غير وجهه وعلى غيرطريقه، وعلى هذا وردت قراءة الأعمش، في قوله تعالى: **﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾**[البقرة:٢٤٩] بالرفع على معنى امتنع قليل منهم من الشرب فلهذا رفعه.

(فمن أتاه الله مالاً): مكّنه منه، وجعله[١] متوسعاً فيه.

(فليصل به القرابة): ينفعهم به ليكون ذلك صلة لهم.

(وليحسن بـه[٢] الضيافـة): قِرَاء[٣] الإخوان وإطعامهم الطعام، وفي الحديث: «من لذذ أخاه بما يشتهيه رفع الله له ألف ألف درجة، وكتب له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وأطعمه من ثلاث جنات: من جنة الخلد، ومن جنة الفردوس، ومن جنة المأوى»[٤].

(وليفك به الأسير): الموثق بالإسار: وهو القِدّ.

(والعاني): المقيم على الإسار، و الخضوع والذل، ومنه قوله تعالى: **﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾**[طه:١١١] أي خضعت وذلت.

---

(١) في (أ): وجعلوه.

(٢) في النهج: منه.

(٣) القِراء: الضيافة والكرم.

(٤) ورد أوله وهو وقوله: «من لذذ أخاه بما يشتهي» في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥٣٤/٨ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٢٣٨/٥، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ١٢/٢، وتنزيه الشريعة لابن عراق ١٢٩/٢، والسلسلة الضعيفة للألباني ١٠٧.

(وليعطِ منه الفقير): أراد ما يجب فيه من الزكاة، ويحتمل أن يكون أراد الإحسان، والتفضل به على ذي الفاقة.

(والغارم): المديون أو من لحقه غُرْمٌ من أجل نائبة أصابته، وفي الحديث: «لا تحل المسألة إلا لثلاثة: لذي غُرْمٍ مُفْظِع، أو دم مُوْجِع، أو فقر مُدْقِع»[١]، والغرام: الهلاك، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾**[الفرقان:٦٥]، وقال بشر[٢]:

ويــوم النِّســارِ ويــوم الجِفَــارِ[٣]

كــانا عذابــاً وكــانا غَرَامــا[٤]

(وليصبّر نفسه على الحقوق): على أدائها والقيام بها، حقوق الدين ومكارم الأخلاق.

(والنوائب): العظائم من الأمور.

(ابتغاء الثواب): على الصبر عليها، وفي الحديث: «ما جرع عبد قط

---

(١) رواه الإمام أحمد بن عيسى في كتاب العلوم الشهير بأمالي أحمد بن عيسى بن زيد بن علي (عليهم السلام) ٢٦٦/١، بلفظ: «لا تحل المسألة إلا لذي فقر مدقع، أو دم موجع، أو غرم مفظع» ورواه عنه الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٢٧٢/٢، وقال: وهذا أيضاً في مسائل الحسن بن القاسم عليهما السلام، وفي الجامع الكافي، وهو في شرح التجريد.

(٢) هو بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل المتوفى نحو سنة ٢٢ق هـ شاعر جاهلي فحل من الشجعان، توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، له ديوان شعر مطبوع (الأعلام ٥٤/٢).

(٣) في (ب): ويوم اليسار ويوم الخفار. وهو تصحيف.

(٤) لسان العرب ٩٨١/٢ ونسبه للطرمّاح، وأورده أيضاً في الكشاف ٢٩٨/٣ بدون نسبة لقائله.

جرعتين أفضل عند الله من جرعة غيظ يلقاها بحلم، أو جرعة مصيبة يلقاها بصبر جميل»[1].

(فإن فوزاً بهذه الخصال): التي أشار إليها.

(شرف مكارم الدنيا): حيازة الخصال الشريفة المحمودة.

(ودرك فضائل الأخرة): إحراز[2] فضائلها ومراتبها العالية.

(١) له شاهدان رواهما البيهقي في شعب الإيمان ٦/٣١٤ الأول برقم (٨٣٠٧) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جرع عبدٌ جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعه غيظ كظمها ابتغاء وجه الله عزوجل» والثاني برقم (٨٣٠٨) عن معمر عمن سمع الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جرعة أحب إلى الله من جرعه غيظ كظمها رجلٌ أو جرعة صبرٍ عند مصيبة...» الحديث إلخ.

(٢) في (أ): أحرز.

(١٣٤) ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء

(ألا وان الأرض التي تحملكم): [تقلكم على ظهرها، كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾][1] [الإسراء: ٧٠].

(والسماء التي تظلكم): فوق رءوسكم كالظلة.

(مطيعتان لله ربكم): منقادتان لأمر الله تعالى، ومحتكمتان[2] لمراده، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

(وما أصبحتا تجودان لكم[3] ببركتهما): بنموهما وزيادتهما، من جاده إذا أعطاه من نواله.

(توجعاً لكم): توجع له إذا رثى له من وجعه، ونصبه على أنه مفعول له.

(ولا زلفة إليكم): قرباً، وإسراعاً إلى نفعكم.

(ولا لخير ترجوانه منكم): نفع تظنان حصوله من جهتكم.

(ولكن أمرتا بمنافعكم): إصلاح أحوالكم، وقيام أقواتكم، وتحصيل أرزاقكم.

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) في (ب): ومحكمانه.

(٣) لكم، زيادة في (ب) وفي النهج.

(فأطاعتا): لأمرالله تعالى من أجل ذلك.

(وأقيمتا على حدود مصالحكم): الدنيوية من المنافع.

(فقامتا): من الاستقامة على ذلك.

(إن الله تعالى يبتلي): يختبر.

(عباده عند الأعمال السيئة): المعاصي التي تسوء صاحبها بإسقاط منزلته عند الله.

(بنقص الثمرات): وهو ما يصيبها عند ذلك من المصائب بالإعصار، وإرسال الهوام من الجراد، وسائر الهوام التي تنقصها وتأكلها وتفسدها.

(وحبس البركات): قبض الزيادات من جهة الله تعالى؛ جزاء بما عملوا من ذلك.

(وإغلاق خزائن الخيرات): منها لطفاً من جهة الله، وتمحيصاً وتعريضاً، وبذلاً للألطاف.

(ليتوب تائب): من ذنبه.

(ويقلع مقلع): من معصيته.

(ويتذكر متذكر): ما أصاب من كان قبلهم من الْمَثُلَاتِ[1]، وحلَّ بهم من العقوبات.

(ويزدجر مزدجر): يتعظ متعظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[القمر:٤] متعظ لمن اتعظ به.

(١) المثلات: العقوبات.

(وقد جعل الله سبحانه الاستغفار): طلب المغفرة بالجؤار إلى الله تعالى، والدعاء إليه بذلك، وذلك يكون على أوجه خمسة:

أولها: الرغبة إلى الله تعالى؛ بأن تجعل باطن كفك إلى السماء.

وثانيهما: الرهبة؛ بأن تجعل ظاهر كفك إلى السماء.

وثالثها: التبتل؛ بأن تجعل يديك على فخذيك، وتحرك جسدك مرة بعد مرة.

ورابعها: التضرع، وهو أن ترفع يديك، وتميلهما يميناً وشمالاً.

وخامسها: الابتهال، وهو لايكون إلا بالخروج، ورفع اليدين ومدُّهما أشد ما يقدر عليه، فهكذا يكون الأدب في الدعاء.

(سبباً للرزق[1]): إنزاله على الخلق، وإدراره عليهم.

(ورحمة للخلق[2]): لطفاً بهم في الإقبال على الطاعة، وإرادة لمنافعهم من ذلك.

(كما قال تعالى): حكاية عن نوح (عليه السلام).

(﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[نوح:١٠]**)**: لخطاياكم[3].

(﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾[نوح:١١]**)**: غيثها[4] ومطرها.

(١) في نسخة وشرح النهج: سبباً لدرور الرزق.

(٢) في النهج: الخلق.

(٣) في (أ): لخطابكم، وهو تحريف.

(٤) في (أ): أغيثها.

(﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾)[نوح:11]: متتابعاً بعضه في إثر بعض.

(﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ﴾)[نوح:12]: يوصلها إليكم من جهته، ﴿وَبَنِينَ﴾[1].

(فرحم الله امرأ): الرحمة من الله هي اللطف.

(استقبل توبته): جعلها نصب عينيه غير غافل عنها، ولا معرض عن فعلها.

(واستقال خطيئته): طلب من الله الإقالة منها بالمغفرة، والعفو من جهته.

(وبادر منيته!): سابق الموت عن أن يحول بينه وبينها.

(اللَّهُمَّ، إنَّا خرجنا إليك): إلى ها هنا للانتهاء، أي وأنت الغاية لمقصدنا.

(من تحت الأستار والأكنان): من ها هنا لابتداء الغاية، والستر: ما يستر من البيت وما شاكله، والكنُّ: ما وقى من الشمس وغيرها.

(وبعد عجيج البهائم والولدان): عطشاً وفاقة، من ألم القحط والجوع.

(راغبين في رحمتك): حال من الضمير في خرجنا.

(وراجين فضل نعمتك): ومؤمِّلين إفضالك، وكريم نعمتك.

(وخائفين من عذابك ونقمتك): بالقحط وحبس المطر، والرجاء إنما يكون في الأمور المحبوبة، والخوف مخصوص بالأمورة المكروهة.

(اللَّهُمَّ، فاسقنا غيثك): المطر الذي تغيث به خلقك.

(1) بقية الآية القرآنية الشريفة: ﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ صدق الله العظيم.

(ولا تجعلنا من القانطين): الآيسين من رحمتك.

(ولا تهلكنا بالسنين): المجدبة، فنهلك جوعاً وهزالاً.

(ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منَّا[1]): الجاهلين بحقك، والغامصين لنعمتك.

(يا أرحم الراحمين): أعظم الراحمين رحمة، وأكثرهم لطفاً، وكيف لا ورحمتهم لما رحموه مأخوذة من رحمتك.

(اللَّهُمَّ، إنا خرجنا[2]): من البيوت شاخصين عنها.

(نشكو إليك): من أحوالنا:

(ما لا يخفى عليك منها): لإحاطة علمك، واشتماله على كل خفية، فخرجنا:

(حين ألجأتنا المضايق الوعرة): لجأت إليه إذا استندت إليه، والتجأت إذا اضطررت، والمضايق: جمع مضيقة، وهو: القفر، والوعرة: الصعبة.

(وفاجأتنا[3]): ، من قولهم: فاجأه مفاجأة إذا قابله.

(المقاحط المجدبة): جمع مَقْحَط، و الجدب: نقيض الخصب.

(وأعيتنا المطالب المتعسرة): عيَّ بأمره إذا تحيَّرفيه، والمطالب: جمع مطلب، والعسر: نقيض اليسر.

(1) قوله: منا سقط من (أ).
(2) في (أ): اللهم أخرجنا، وفي نسخة أخرى: اللهم خرجنا، في (ب) وشرح النهج ما أثبته.
(3) في النهج: وأجاءتنا.

(وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة): [تلاحمت][1] التصقت بنا، ، من قولهم: ألحمت الشيء بالشيء[2] إذا ألصقته به [الفتن][3]: الحروب التي يصعب أمرها، ويعظم خطبها.

(اللّهمّ، إنا نسألك): نوجه المسألة إليك، ونطلب إجابتها من جهتك.

(ألا تردنا خائبين): خاب الرجاء إذا بطل، ولم يكن له ثمرة.

(ولا تقلبنا): عن خروجنا هذا، وعن إقبالنا إليك.

(واجمين): وجم الرجل[4] إذا اشتد حزنه، وعظم أسفه.

(ولا تخاطبنا بذنوبنا): تقررها[5] علينا، وتذكرها لنا توبيخاً وتقريعاً.

(ولا تفايشنا[6] بأعمالنا): تكشف غطاءنا بما عملناه[7]، وتزيل عنّا سترك بأفعالنا.

(اللّهمّ، انشر علينا غيثك): ابسطه ليكون شاملاً لبلادنا.

(وبركتك): زيادتك من عطائك الجمّ ومنّك الذي عمّ.

(ورزقك): الذي تفضلت به.

(ورحمتك): التي مننت بها.

(١) زيادة في (ب).
(٢) قوله: بالشيء، سقط من (أ).
(٣) زيادة في (ب).
(٤) قوله: الرجل، سقط من (أ).
(٥) في (ب): تقدرها.
(٦) فشا خبره أي انتشر، وفي شرح النهج: ولا تقايسنا.
(٧) في (أ): علمناه، وهو تصحيف.

(واسقنا سقيا نافعة): كثير نفعها في جميع أحوا لها.

(مروية): للسهل والجبل.

(معشبة): محيية لما قد مات، ورادّة لما قد فات.

(تنبت بها ماقد فات): من الزروع، والأشجار والكلأ.

(وتحيي بها ما قد مات): من الحيوانات برد عوضه، وهبة أمثاله من جودك وعطائك.

(نافعة الحيا): الحيا هو: المطر، وأراد مسكنة للعطش.

(كثيرة المجتنى): إما يكون المجتنى بالنون ومعناه كثير جناؤها وثمرها، وإما أن يكون بالباء بنقطة من أسفلها، أي كثير خراجها وعطاؤها[1]، والأول هو سماعنا.

(تروي بها القيعان): جمع قاع، وهي: الصحاري والأراضي المتسعة.

(وتسيل البُطنان): جمع بطن وهو: أجواف الأودية وعميقها.

(وتستورق بها[2] الأشجار): من ريها وغضارتها.

(وترخص الأسعار): لكثرة الحبوب وسعتها من كثرة[3] المطر.

(إنك على ماتشاء قدير): من ذلك كله.

(١) في (أ): وإعطاؤها.
(٢) بها، زيادة في (ب).
(٣) في (أ): كثر.

(١٣٥) ومن خطبة له عليه السلام

(بعث الله[1] رسله): إلى الخلق.

(بما خصَّهم به من وحيه): أيدهم به من المعجزات.

(وجعلهم حجة له على خلقه): لما عصمهم به عن[2] القبائح بالألطاف الخفية.

(لئلا تجب الحجة لهم): للخلق على الأنبياء.

(بترك الإعذار إليهم): لولم يرسل الأنبياء.

(فدعاهم): الله.

(بلسان الصدق): وهم الأنبياء؛ لأنهم صادقون فيما قالوه من ذلك.

(إلى سبل[3] الحق): إلى التوحيد والإلهية، والإقرار بالربوبية.

(إلا[4] أن الله قد كشف الخلق كشفة [مكافاة][5]): إلا ها هنا للاستثناء

(١) الله، زيادة في النهج.
(٢) في (ب): من.
(٣) في النهج: سبيل.
(٤) في شرح النهج: ألا إن.
(٥) سقط من شرح النهج، ومن نسخة أخرى.

المنقطع؛ لا نفصالها عمَّا تقدم، ويجوز أن تكون واردة للتنبيه، كقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢] فالأمران محتملان كما ترى، وكشفة منصوب على المصدرية، نحو: ضربت ضربة، وأراد بذلك أنه بيَّن المطيع من هو والعاصي كذلك.

(لا أنه جهل ما أخفوه): ليس كشفه ذلك؛ لأنه قد خفي عليه الأمر فيما أضمروه.

(من مصون سرائرهم[1]): صان الثوب يصونه صوناً، إذا لم يلبسه، وهومجاز ها هنا، وأراد أنه لم يعلمها سواه فهي مصونة عن غيره.

(ومكنون ضمائرهم): مستورها.

(ولكن ليبلوهم): من البلوى، وهي: الاختبار.

(أيهم أحسن عملاً): في الإخلاص والمراقبة، والعمل لوجه الله تعالى.

(فيكون الثواب جزاء): على الأعمال الصالحة.

(والعقاب بواءً) أي مساواة، والمعنى أن الحسنة مضاعفة لصاحبها، والعقاب مساو للمعصية من غير زيادة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾[الأنعام:١٦٠] وهذا من لطف الله تعالى، وعظيم كرمه؛ لأن الجزء[2] الواحد من الثواب يكون جزاءً، والباقي[3] فضل من الله تعالى وزيادة من إحسانه، والبواء: المساواة،

(١) في نسخة أخرى، وفي شرح النهج: أسرارهم.
(٢) في (أ) و(ب): الجزاء، وما أثبته من نسخة أخرى.
(٣) في (أ): والثاني.

يقال: دم فلان بواء لدم فلان أي سواء، قال:

فـإنْ تَكُـنِ القتـلى بَـوَاءً فـإنّكُم   فتًى ما قَتَلْتُـم آلَ عَـوْفِ بن عَـامِرِ[1]

(أيـن الذيـن زعمـوا أنهـم الراسـخون في العلـم دوننـا[2])؟: اسـتفهام خارج مخرج الإنكار والتقرير، وأراد أنه يستحيل أن تكون أقدامهم راسخة في العلم بالله تعالى، ومعرفـة أحكـام الشـريعة، ونحـن لا نعلـم ذلـك، ويزعمون أنهم أحق منّا به[3] وأولى.

(كذباً): على أنفسهم في قولهم خلاف الحق.

(وبغياً علينا): حيث ادَّعوا مـا ليس لهم، وانتصابهما على المصدرية الواقعة موقع الأحوال، كأنه قال: كاذبين في هذه المقالة، وباغين خلاف الحق في هذه الدعوى.

(أن رفعنا الله ووضعهم): من أجل أن رفعنا[4] الله، أي ماكان كذبهم وبغيهم إلا أن الله رفع مراتبنا عليهم، ووضعهم بحيث[5] لم يبلغوا تلك المراتب ولا وصلوها.

(وأعطانا): من فضله وجوده.

(وحرمهم): ذلك.

(وأدخلنا): في كرامته أو في الولاية على خلقه.

---

(١) البيت لليلى الأخيلية وهو في شرح النهج ٨٥/٩ ، وفي لسان العرب ٢٨٣/١.

(٢) في (أ): دونكا، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من النهج، ومن (ب).

(٣) قوله: به، سقط من (أ).

(٤) بعده في (ب): ووضعهم.

(٥) في (ب): حيث.

(وأخرجهم): عن ذلك فلا يدخلون فيه.

(بنا يستعطى الهدى): استعطى كذا، إذا طلب أن يعطاه، وأراد أنهم تطلـب منهـم الهدايـة، وتؤخـذ أحكامهـا في كـل أمـر مـن الأمـور الدينية والدنيوية.

(ويستجلى العمى): يطلب جلاؤه، وأراد أن الضلالة لاتُزال إلا بهم وحميد سعايتهم.

(إن الأئمة من قريش): أي في[1] هذه القبيلـة من دون سـائر القبـائل، خلافاً لجميع الخـوراج[2] وبعـض المعتزلـة، وبعـض المرجئـة[3]، وبعـض الإمامية[4]، فإن هؤلاء زعموا أنها في سائر الناس، وهـو قـول إبراهيـم النظام من المعتزلة.

(غرسوا في هذا البطـن مـن هاشـم): أراد أنها وإن كـانت في قريـش، فإنها في بني هاشم من قريش.

---

(١) قوله: في، سقط من (أ).

(٢) الخوارج: هم الذين فارقوا أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) عند التحكيم وأنشأ مذهبهم عبد الله بن الكواء، وعبد الله بن وهب، ويسمون الشراة، والحرورية، والمحكمة، والمارقة (انظر المنية والأمل في شرح الملل والنحل للمهدي أحمد بن يحيى المرتضى ص ٢٦، ١١٠-١١٢).

(٣) المرجئة سميت بذلك لتركهم القطع بوعيد الفساق، وذلك هو جامع مذهبهم، والإرجاء في أصل اللغة التأخير (المصدر السابق ٢٧-٢٨، ١٢٠-١٢١).

(٤) الإمامية فرقة من فرق الشيعة، سميت بذلك لجعلها أمور الدين كلها للإمام وأنه كالنبي، ولا يخلو وقت من إمام يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وسموا رافضة لرفضهم زيد بن علي (عليه السلام)، ويسمون اثني عشرية لحصرهم الإمامة في اثني عشر إماماً مذكورين في كتبهم (انظر المصدر السابق ص٢٤-٢٥، ١٠٠-١٠٢).

(لا تصلح على سواهم): لاتكون الإمامة صالحة على غيرهم.

(ولا تصلح الولاة من غيرهم): ولا يكون الأئمة صالحين من غيرهم، وهذا مبالغة، وأراد أن الإمامة والأئمة لا تكون صالحة فيمن سواهم.

ثم قال: **(أثروا عاجلاً)**: أراد الدنيا.

(وأخّروا آجلاً): أراد الآخرة، فإن الدنيا يقال لها: عاجل لحضورها وتعجلها، والآخرة يقال لها: آجل لتأخرها.

(وتركوا صافياً): لا كدر فيه.

(وشربوا آجناً): متغيراً، وعنى بذلك اشتغالهم بأمور الدنيا، وإعراضهم عن أمور الآخرة، فالدنيا آجن لما يعرض فيها من الكدر، وكثرة المحن والأسواء، والآخرة صاف لما يُحْمَد من عاقبتها.

(كأني أنظر): بقرب[1] ذلك، وسرعته.

(إلى فاسقهم): أراد بذلك الحجاج بن يوسف، أو مروان بن الحكم، أو معاوية.

(وقد صحب المنكر فألفه): صاحبه، وتكررعليه فعله مرات كثيرة حتى صار مألوفاً له.

(وبَسِىَ به ووافقه[2]): أنس به وصار موافقاً لطباعه، واستمر على ذلك أزمنة متطاولة[3].

(١) في (ب): تقريب، وفي نسخة أخرى: لقرب.
(٢) في (أ): وسبي به ووفقه، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى، ومن شرح النهج.
(٣) في (ب): أزمنة طويلة متطاولة.

(حتى شابت عليه[1] مفارقه): من طول فعله له وملابسته إياه.

(وصبغت به خلائقه): امتزجت به امتزاجاً عظيما، حتى لايكاد يبارحه.

(مزبداً[2] كالتيار): أراد الموج، وإزباده: شدة اضطرابه وعظم حركته، وجعل ذلك كناية عن أنه يلابس المنكر بشدة وغلظ.

(لا يبالي ماغرّق): فيه.

(أو كوقع النار في الهشيم): المتحطم[3] من الزرع.

(لا يحفل ماحرّق): وأراد بذلك المبالغة في عظم إتيانه المنكرات، وإسراعه إلى فعلها، ولهذا مثّله بالموج في تراكمه وبالنار في سرعة إحراقها لما تحرقه.

(أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى!): في سلوك طريق الدين، وإدراك علوم الآخرة في التوحيد، والعلم بالله والاعتراف بربوبيته.

(والأبصار اللامحة إلى منار التقوى!): المنار هو: علم الطريق، وهذا كله مجاز، وحقيقته هو[4] العلم بالله تعالى وسلوك طريق الجنة.

(أين القلوب التي وُهِبَت لله!): على ما لم يسم فاعله، وأراد التي وهبها أهلها من أجل ثواب الله، وإحراز رضوانه.

(وعُوقِدَت على طاعة الله!): أي عقدها أهلها على القيام بطاعة الله،

(١) قوله: عليه زيادة في (ب)، و في شرح النهج.
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: ثم أقبل مزبداً كالتيار.
(٣) في (ب): المحتطم.
(٤) في (أ): هو أن العلم.

أي ألزموها ذلك، شبهها في لزومها للطاعة بمنزلة العقد المحكم الذي لا ينحلّ.

(ازدحموا على الحطام): إخبار عمَّن[1] تقدم ذكرهم بقوله: آثرواعاجلاً، وأراد أنهم تزاحموا[2] على متاع الدنيا ونعيمها، الذي لا بقاء له بمنزلة ما تحطَّم[3] واندقَّ.

(وتشاحّوا على الحرام): أي بخلت به أنفسهم، مع كونه حراماً لايحل لهم أخذه، ولا يجوز لهم تناوله.

(ورفع لهم علم الجنة والنار): طريقهما، شبههما بالعلم المنصوب للطريق، لما فيهما من الإيضاح، ومباينة أحدهما عن الآخر وانفصاله.

(فصرفوا عن الجنة وجوههم): بالإعراض عن أعمالها، والإقبال على الدنيا، فهم بإعراضهم عنها كمن صرف وجهه عن الشيء المبصر فهو لا يدركه.

(وأقبلوا إلى[4] النار بأعمالهم): القبيحة، فلهذا كانوا بإيثارهم الأعمال القبيحة بمنزلة من أقبل عليها بوجهه، وقوله: (رفع لهم علم الجنة والنار) مع ما بعدها من تفاصيل أحوالهما، من علم البديع يسمى اللف والنشر، ألاتراه كيف ضمَّهما في الذكرأولاً، ثم ألحق كل واحدة منهما بما يليق بها من الأحكام، وله في البلاغة موقع عظيم، يعرفه الجهابذة من أهل صناعة البيان.

---

(١) في (ب): على.
(٢) في (ب): يزدحموا، هكذا بغير إثبات النون.
(٣) في (أ): من يحطم أو يدق.
(٤) في (ب): على.

(دعاهم ربهم): بما قرر في عقولهم من الأدلة الواضحة على معرفته، ووجوب الطاعة له، وبما عهد إليهم على ألسنة الرسل من تصديق ما جاءوا به.

(فنفروا): [عن][1] سماعها.

(وولَّوا): مدبرين عن العمل بها.

(ودعاهم الشيطان): بالوسوسة والإغواء، والتزيين والكذب، والأماني الباطلة.

(فاستجابوا وأقبلوا!): لدعائه، وأقبلوا على فعل ما يدعوهم إليه من ذلك.

---

(١) سقط من (أ).

(١٣٦) ومن خطبة له عليه السلام

(**أيها الناس**): خطاب عام لكل أحد.

(**إنما أنتم في هذه الدنيا غرض**): الغرض: مايرمى من قرطاس وغيره[١].

(**تنتضل فيكم[٢] المنايا**): أراد إما ترميكم المنايا، ، من قولهم: ناضله إذا رماه، وإما تختاركم بالهلاك، ، من قولهم: انتضلت سهماً من كنانتي إذا اخترته ليرمى به.

(**مع كل جرعة[٣]**): من جرعها[٤].

(**شَرَق**): شرق بريقه إذا غُصَّ به، وفي الحديث: «يؤخرون الصلاة إلى شرق الموتى»[٥] أي إلى أن يبقى من الشمس مقدار ما يبقى من حياة

(١) في (ب): أو غيره.
(٢) في نسخة وفي شرح النهج: فيه.
(٣) في (أ): جزعة، وهو تصحيف.
(٤) في (أ): جزعها، وهو تصحيف.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١/٣٧٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٨٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/٨٣، وعبد الرزاق في مصنفه ٢/٣٨٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/١٥٤.

من شرق بريقه عند الموت، قال عدي بن زيد[١]:

لَـوْ بِغَـيْرِ المـاءِ حَلْقِـي شَـرِقٌ   كُنتُ كَالغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي[٢]

(**وفي كل أكلة غصص**): الأكلة بضم الفاء ما يؤكل، والغصص بالفتح مصدر غصص الرجل بالطعام إذا اعترض في حلقه فلا يدخل ولا يخرج، والغصص بالضم جمع غصة وهي: الشجا.

(**لا تنالون منها نعمة**): وهو إدراك ما كان من لذاتها ونعيمها، في مستقبل الأعمار وحاضرها.

(**إلا بفراق أخرى**): أي لاتقيمون وقتاً من أوقات الدنيا إلاوتفارقون مثله، فما كان في الأول من النعمة فقد مضى، والثاني لا يأتي إلا بعد زوال الأول، وانقطاعه من تلك النعمة، بتقضيها[٣] وزوالها.

(**ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره**): أي ما يقيم ساعة في الدنيا.

(**إلا بهدم آخر من أجله**): لأن الأوقات منقضية، والأزمنة متكررة فلا يمكن حصول الغد إلا بذهاب اليوم، فهو لايصل إلى غد من عمره إلا بعد ذهاب اليوم من عمره، فلهذاصدق قوله: (إلا بهدم آخر من أجله) كما ترى.

(١) هو عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي، المتوفى نحو سنة ٣٥ق. هـ شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذه في خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب، جمع ما بقي من شعره في ديوان مطبوع (الأعلام ٤/٢٢٠).
(٢) في (أ): بالماء من اعتصاري، وهو خطاء، والبيت في لسان العرب ٢/٣٠٥ ونسبه لعدي بن زيد أيضاً.
(٣) في (ب): بنقصها.

(**ولا تُجدّد له زيادة في أكلة**): الأَكلة بفتح الفاء[1] هي المرة الواحدة، والأُكلة بالضم ما يؤكل، وسماعنا بالفتح، وأراد أنه لايمكنه الوصول إلى أكلة واحدة.

(**إلا بنفاد ما قبلها من رزقه**): لأنه لا يصل إلى هذه إلا بعد نفاد ما سبقها[2] من الأرزاق.

(**ولا يُحيَا له أثر**): من الخصال المحمودة، والمناقب العالية.

(**إلا ويموت[3] له أثر**): بالاندراس والامحاء؛ لتطاول الأزمان وتكررها، فلهذا يكون الأول منها ذاهباً.

(**ولا يتجدد له جديد**): من عمره من الأيام.

(**إلا بعد أن يَخلَق جديد**): لأن غداً لا يأتي إلا بعد ذهاب اليوم، وهو الآن جديد وما بعده يكون جديداً كما ذكرناه، فلهذا قال: لا يتجدد غد[4] إلا بعد أن يخلق اليوم ويكون ماضياً.

(**ولا تقوم له نابتة**): أي لا ينبت له شيء من أمور الدنيا من رزق ولا عمر.

(**إلا وتسقط منه محصودة**): إلا ويزول [عنه شيء آخر منها، وجعل النابت عبارة عمَّا ينبت منها، والمحصود عبارة عمَّا يزول][5] منها ويفنى.

---

(١) في (ب): الأكلة بالفتح في ...إلخ.

(٢) في (ب): ما يسبقها.

(٣) في (ب): إلا يموت، وفي شرح النهج: إلا مات.

(٤) في (أ): غدا.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(**وقد مضت أصول**): الآباء والأمهات والأجداد.

(**نحن فروعها**): لأنهم لولاهم ما كنّا، وهذا هو الفائدة يكون الشيء أصلاً لغيره.

(**فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله؟**): ما ها هنا استفهامية، وأراد كيف يبقى فرع مع[1] ذهاب أصله، هذا مستحيل في العقول متعذر.

(**وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة**): البدعة هي: الحدث في الدين، ثم منها ماهو محمود وما هو أبدع، وليس مضاداً للسنة، ولا مزايلاً[2] لها، ومنها ماهو مذموم، وهوما كان مضاداً للسنة مناقضاً لها فلهذا قال: إحداث البدعة فيه ترك السنة، يشير به إلى ماقلناه.

(**فاتقوا البدع**): احذروها، وفي الحديث: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»[3].

(**والزموا المهيع**): الطريق الواسع.

(**إن عوازم الأمور أفضلها**): أي ما كان منها متقدماً، وهوجمع عازمة وأراد ما عمل به الأفاضل من القدماء، والعيون من العلماء، فهو حق لا معزل عنه، أو يكون جمع عوزم، وهي: العجوز المسنة، استعارة

---

(١) في (ب): بعد.

(٢) في (ب): ولا مزيلاً.

(٣) رواه في مسند الشهاب ٣١٨/١، وفي كشف الخفاء ٣٠٨/٢، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٥١/٨ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ١٩٦/٦، والأسرار المرفوعة لعلي القاري (٣٣٣).

من ذلك أي ما كان متقدماً معمولاً به من السلف الصالح، فهو حق فيجب اتباعه، ولا يجوز مخالفته.

(**فإن**[1] **محدثاتها شرارها**): أي ما أحدث[2] ولم يسبق به عمل أهل الصلاح فهو شر، وأراد ما أحدث مما يكون مخالفاً لما قد عمل عليه الأفاضل من أهل البصيرة، وفي الحديث: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»[3]، وقال: «خير الأمور أوسطها[4]، وشرها محدثاتها».

(١) في النهج: وإن.

(٢) في (ب): حدث.

(٣) أخرجه من حديث عن أبي ذر الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٧٧، ورواه موقوفاً على عبد الله بن مسعود الحاكم النيسابوري في المستدرك ٣/٨٣، وأحمد بن حنبل في مسنده١/٣٧٩، وأورده في موسوعة أطراف الحديث ٩/١٣٣ وعزاه إلى نصب الراية للزيلعي ٤/١٣٣، وكشف الخفاء ٢/٢٦٣ وغيرها.

(٤) في (ب) وفي نسخة أخرى: أوساطها.

(١٣٧) ومن كلام له عليه السلام يخاطب عمر[1] رضي الله عنه وقد استشاره في حرب الفرس بنفسه

(**إن هذا الأمر**): يشيرإلى الدين.

(**لم يكن نصره لأحد**[2] **ولا خذلانه**): تأييده و لانقصة بعناية، من جهة أحد من الخلق.

(**بكثرة ولاقلة**): غلبة في الجيوش، ولاقلة منهم.

(**وهو دين الله**): توحيده، وأوامره ونواهيه.

(**الذي أظهره**): أعلنه[3] على أَوْجِ[4] الشمس، وعلى رءوس الأشهاد.

(**وجنده الذي أعدّه**): للأعداءممن خالف أمره ونهيه.

(**وأمدّه**): من عنده بالنصروالتأييد، والغلبة والتثبيت.

(**حتى بلغ ما بلغ**): إلى حيث لا يمكن حدُّه ولا وصفه، من الاستطالة والعلو.

(١) في (ب): ومن كلام له لعمر.

(٢) لأحد، سقط من النهج.

(٣) في (ب): أعلاه على برج.

(٤) الأوج: ضد الهبوط.

(فطلع حيث طلع): من الرفعة إلى حيث علم الله.

(ونحن على موعود من الله): إما على وعد من الله إن قلنا: إن[1] اسم المفعول في موضع المصدر، وإما على أمر موعود به من جهة الله تعالى في النصر لدينه، وخذلان ماعداه من الأديان ومحوها وإزالتها.

(والله منجز وعده): أنجز وعده إذا أتمّه، وحصله وصدق فيه.

(وناصر جنده): وهم جند الإسلام.

(ومكان القيّم بالأمر): القائم بأعباء الخلافة، الصادر عن رأيه جميع أحكام الشريعة والمنفذ[2] لها.

(مكان النظام من الخرز): أراد بمنزلة الخيط الذي ينظم فيه الخرز واللآلئ، فإنه لا محالة:

(يجمعه ويضمه): مخافة ألا يتفرق ويتبدد.

(فإن انقطع النظام): الخيط الذي سلكت فيه هذه الخرز.

(تفرق وذهب): لفقد ما يضمُّه ويجمعه.

(ثم لم يجتمع[3] بحذافيره أبداً): الواحد حذفور، وهن: أعالي الشيء ونواحيه وجوانبه، وفي الحديث: «إذا بدا علم من أعلام الساعة وأشراطها، تتابعت كنظام انقطع سلكه»[4]، فلهذا تناثر لعدم ما يمسكه.

---

(١) في (أ): إنه، وما أثبته من نسخة أخرى، و في (ب): إنه اسم مفعول.
(٢) في (ب): والمفيد.
(٣) في (أ): يجمع.
(٤) أخرج الحديث بمعنى مقارب الترمذي في سننه ٤/٤٩٥، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤/٥، وهو في مسند شمس الأخبار ٢/٣٦٦ في الباب (١٨٧).

(والعرب اليوم): أراد به الوقت الذي هم فيه.

(وإن كانوا قليلاً): عدداً قليلاً إذ لم يفش الإسلام، وتنشر[1] حواشيه:

(فهم كثير[2] بالإسلام): أراد أنهم وإن كان عددهم قليلاً فسلطانهم عظيم بالإسلام، وفي الحديث: «الإسلام يعلو ولا يعلى».

(عزيزون بالاجتماع): أراد بالتناصر والمعاضدة، والتعاون، والمرافدة من بعضهم ببعض[3].

(فكن قطباً): القطب هو: المسمار الذي[4] تدور عليه الرحى.

(واستدر[5] الرحى بالعرب): أراد إما اجعلهم رحى[6] لك وأدرها أنت بنفسك، أو أراد كن أنت كالرحى، واطلب إدارتها بهم.

(وأصليهم دونك نار الحرب): واجعلهم يصلونها ما خلاك أي يدخلونها ويلقون شرها، ، من قولهم: أصليته النار إذا أدخلته فيها، قال الله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ [إبراهيم:٢٩].

(فإنك إن شخصت): فارقت مكانك.

(من هذه الأرض): دار الإسلام وحيث إنفاذ حكم[7] الله تعالى، والقيام بأمر المسلمين.

---

(١) في (ب): وتنتشر.
(٢) في النهج: فهم كثيرون.
(٣) في (ب): بعض.
(٤) في (أ): التي.
(٥) في (أ): واستد، وهو تحريف.
(٦) في (ب): رحاك.
(٧) في (ب): وحيث الانقياد لحكم الله تعالى.

(انتفضت عليك العرب): يحتمل أن يكون بالفاء، ، من قولهم: نفضت الثوب أنفضه إذا حركته، ومن نفضت المرأة كرشها إذا كثر[1] ولدها، ويحتمل أن يكون بالقاف، من قولهم: تنقضت[2] الأرض بالنبات إذا تشققت[3] به، وأراد انتشارهم بالمخالفة عليه.

(من أطرافها): أقاصيها البعيدة.

(وأقطارها): جهاتها المتباينة، يطلبون اجتياح دار الإسلام، والغلبة عليها قهراً، ويعظم مكرهم، [وتكبر[4]] استطالتهم بعدك على من وراءك من المسلمين.

(حتى يكون ما تدع وراءك): من دار الإسلام، وحفظ من فيها من العلماء وكافة المسلمين.

(من العورات): الأمور المهمة التي يجب سترها وتغطيتها، وإنما قال لها: عورة لما يظهر عند انكشافها وتغيرها من القبح والمسآءة في الدين.

(أهمَّ إليك): أعظم موقعاً عندك؛ لأنها هي الأصل وماعداها كالفرع بالإضافة إليها.

(مما بين يديك): ممن غزوته وقصدته من هؤلاء.

(إن الأعاجم): جمع أعجم، وهو: الذي لا يبين كلامه.

(إن ينظروا إليك غداً): في هذه الأوقات المستقبلة.

(١) في (أ): كبر.
(٢) في (ب): تنقض.
(٣) في (ب): شققت.
(٤) سقط من (ب).

(يقولوا): يجيلوا أنظارهم، ويضربوا سهام الرأي.

(هذا أصل العرب): قاعدة أمرهم، والذي تدور عليه الرحى، ويقولوا[1] لأنفسهم:

(إذا[2] اقتطعتموه): استأصلتموه قتلاً، وأخذتموه.

(استرحتم): عن الحرب وشنِّ الغارات من كل جهة إذ لا يبقى أحد منهم يقوم مقامه ويسدُّ مسدَّه.

(فيكون ذلك): يشير إلى ما قد قرروه[3] في أنفسهم مما ذكره.

(أشد لكلَبهم): أعظم لمكرهم، وأدخل في جرأتهم.

(عليك): في قتلك واستئصال شأفتك.

(وطمعهم فيك): ويكون سبباً لأن يطمعوا فيك، فَقَبِلَ ما قاله أمير المؤمنين، وترك عمر الغزو بعد ذلك، وعرف أن هذا هو الأمر بالحزم، والوثيقة بالعزم، وأنه كلام عارف بالحرب ومكائدها، ومحيط منها بأسرارها ومقاصدها.

(فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال[4] المسلمين): لأن عمرقال: إن الفرس قد خرجوا لقتال المسلمين، يؤكد غزوهم إلى بلادهم، فقال له أمير المؤمنين:

(إن الله أكره لمسيرهم منك): فلو شاء لكفَّهم عن ذلك.

(١) في (أ): وتقول.
(٢) في (ب) والنهج: فإذا.
(٣) في (ب): قدروه.
(٤) قوله: قتال، سقط من (أ).

(وهو أقدرعلى تغيير ما يكره): ولكنه يريد البلوى والامتحان بالصبر على الجهاد ومشاقه، وعظيم تكاليفه.

(وأما ما ذكرت من عددهم): لأن عمرقال: إنهم عدد عظيم، وجمٌّ غفير، لا يحصي أعدادهم إلا الله، وهم زائدون على العدة التي حكى الله تعالى من أن الواحد يكون للا ثنين، وأراد أن الجهاد والحال هذه مع كثرة عددهم هل يكون واجباً أو يسقط وجوبه؟ فقال له أمير المؤمنين:

(فإنّا[1] لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة): أراد في زمن الرسول في جميع الغزوات كلها، كبدر، وحنين، والخندق، وغيرها من الغزوات.

(وإنّما كنّا[2] نقاتل بالنصر): من جهة الله تعالى بإمداد الملائكة.

(والمعونة): بالألطاف الخفية، كإلقاء الرعب في قلوبهم، وخذلانهم بالفشل والطيش، والهيبة في صدورهم، وغير ذلك مما يكون سبباً في فشلهم، وإرعاد فرائصهم، فترك عمرما في نفسه من ذلك، ولم ير إلى مخالفة أمير المؤمنين في ذلك سبيلاً، لما تحقق وجه الصلاح، وعلم أنه هو[3] الرأي الذي لا يسع مخالفته[4]، وكيف لا وقد لاحت على وجهه مخايل الصواب، وزالت عنه ترجيمات الظنون، وشكوك الارتياب، وقدكان استشاره في غزو الروم أيضاً، فأشار بخلاف ذلك، وقد قدمنا كلامه في ذلك، وقيصر هو ملك الروم، ولما وصل إليه كتاب رسول الله

(١) في (أ): فإن.

(٢) قوله: كنا زيادة في (ب). وشرح النهج.

(٣) هو، زيادة في (ب).

(٤) انظر تفاصيل ذلك في شرح ابن أبي الحديد ٩/٩٩-١٠١.

قَبلَه[1]، وكسرى هو ملك الفرس، ولما وصل إليه كتاب رسول الله[2] مزّقه، فقال (عليه السلام): ((تمزق ملكه))[3]، ثم قال النبي (عليه السلام): ((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده))[4]، يشير بذلك إلى قوة الإسلام، وإبطال أمرهم، فكان كماقال من أخذهم وقتلهم، واستئصال المسلمين لشأفتهم، فقتل الله هذا كسرى أنو شروان بجند الإسلام وأنصاره، وأخذت بنته بوران سبية، وضرب عليها بالسهام، فسألها عبد الله بن عمر أباه ليطأها فأبى، فأعطاها[5] الحسن بن علي، وقال لابنه[6]: إئتني بأب مثل أبيه، وأم مثل أمه، وأنا أعطيك إياها.

(١) في (ب): قَبْله.

(٢) في (أ): الرسول.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/١٧٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٣(١١٣٥)، وابن حبان في صحيحه ١٥/٨٣، والترمذي في سننه ٤/٤٩٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٨٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/١٧٧.

(٥) في (أ): وأعطا.

(٦) في (أ): لأبيه، وهو تصحيف.

(١٣٨) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها القرآن

(بعث[١] محمداً صلى الله عليه وآله[٢] بالحق): وهو علمه بما للخلق فيه من المصلحة والهداية إلى الدين القيِّم فبعثه الله.

(ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته): من الشرك إلى التوحيد، وأن تكون العبادة خالصة لله تعالى، [ولا تكون لغيره من وثن أو صنم، أو غير ذلك مما يُعْبَدُ من دون الله.

وقوله: (عباده من عبادة الأوثان) من أنواع البديع، يسمى بالتجنيس المطلق، كقوله تعالى][٣]: ﴿يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾[يوسف:٨٤] وقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ﴾[النمل:٤٤]، وهوموجود في القرآن كثير، ومنه قول أبي فراس[٤]:

فما السُّلاف دَهَتْني بل سوالفُه ... ولا الشَّمول ازْدَهَتْني بل شمائلُه[٥]

(١) في النهج: فبعث الله محمداً ...إلخ.
(٢) وآله، زيادة في النهج.
(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٤) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، المشهور بأبي فراس الحمداني [٣٢٠-٣٥٧هـ] أمير شاعر فارس، وهو ابن عم سيف الدولة، وله وقائع كثيرة قاتل بها بين يدي سيف الدولة، وكان سيف الدولة يحبه ويجله ويستصحبه في غزواته كلها، وقلده منبجا وحران وأعمالها، وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام ١٥٥/٢).
(٥) السُّلاف: الخمر، والسوالف: ناحية مقدَّم العُنُق، والشَّمول: الخمر أيضاً، والشمائل: الأخلاق.

أَلْوِي بِعَزْمِي أصداغَ لوين[١] به ... وعِيلَ صَبْرِي بما تَحْوِي حلائلُه

وفي الحريريات[٢] قوله:

وأخْوَى حَوَى رقِّي برقة لطْفِهِ ... وغَادَرني أَلِف السُّهادَ لغدرِهِ

(ومن طاعة الشيطان): فعل ما يريده من القبائح كلها، والكف عن الواجبات كلها.

(إلى طاعته): إلى فعل ما يريده من ذلك.

(بقران): الباء متعلقة بقوله: بعث، أو بقوله: ليخرج، إما على جهة الآلة، كقولك: كتبت بالقلم، وإما على جهة الحالية، كقولك: دخل علينا بثياب السفر أي لابساً لها.

(قد بيَّنه): إما أظهر مراده منه بما أوضحه فيه من الأحكام، وإما بيَّن محكمه من متشابهه ومجمله من مبيَّنه، وعامه بخاصه، وغيرذلك من الأحكام المبهمة فيه.

(وأحكمه): إما جعل محكماً لا لبس فيه، وإما جعل فيه الحكمة والشفاء والنور والهدى، كما قال تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل:٨٩].

(ليعلم العباد ربهم إذ[٣] جهلوه): ليعلموا منه الأدلة [الباهرة][٤] على وجود الله تعالى، وتوحيده وحكمته، فإن الله تعالى رتَّب الأدلة

(١) في (ب): ألون.
(٢) في (أ): الجريريان.وهو تحريف، والحريريات هي المعروفة بالمقامات الحريرية نسبة لمؤلفها القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري، المتوفى سنة ٥١٦هـ.
(٣) في (أ): إذا.
(٤) سقط من (ب).

على وجوده، وباهر حكمته وعجائب مخلوقاته على أكمل ترتيب، وساقها على أحسن سياق، بحيث لا يوجد تحريرها في كتب المتكلمين، ولا يخطر لأحد منهم على بال، وأكثر القرآن مملؤ من الدلالة على التوحيد، وإبطال إلهية غيره، وإثبات الحشر والنشر، وأحوال القيامة، وغير ذلك من العلوم الدينية، ولنذكر من ذلك آية[1] منبهة على غيرها، وهي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا[2] رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ﴾[3] فدلّ أولاً على وجوده بخلقهم، وبخلق آبائهم، وبخلق السماء والأرض، ثم بإنزال المطر، وخلق هذه الثمرات رزقاً للخلق، ثم خرج من ذلك إلى تقرير النبوة بإظهار المعجز والتحدي به[4]، ثم حذّر من النار وبشّر بالجنة، فجمع في هذه الآية من أصول الديانة، وأحكام الآخرة ما يشهد له ظاهرها[5] بالترتيب اللائق، وتشهد له العقول بالصحة والثبات[6]، وهكذا حال غيرها من الآيات من سورة النحل، وغيرها من السور.

---

(١) في (أ): أنه، وهو تصحيف.

(٢) في النسخ: اتقوا، والصواب كما أثبته.

(٣) هي خمس آيات قرآنية شريفة في سورة البقرة من الآية (٢١) إلى الآية (٢٥) وهنّ قول الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ صدق الله العظيم.

(٤) قوله: به، زيادة في (ب).

(٥) في (أ): ظاهره.

(٦) في (أ): والبيان.

(وليقروا به بعد إذ جحدوه): بإثبات غيره إلهاً.

(وليثبتوه بعد إذ أنكروه): ونفوه، وعلّقوا هذه الحوادث بغيره من عقل، أو فلك أو نجم، أو غيرذلك من التمويهات الباطلة.

(فتجلّى لهم سبحانه في كتابه): ظهر بما أودع في كتابه من بيان هذه الأدلة الدالة على وجوده، وإثبات حكمته وباهر قدرته.

(من غير أن يكونوا[1] رأوه): لم يشاهدوه اكتفاء بمشاهدة العقول له، وتحققها لوجوده.

(وبما أراهم من قدرته): من خلق هذه المكونات العظيمة الدالة على باهر القدرة، كما قال تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٠٢].

(وخوّفهم من سطوته): عذابه ونقماته، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج:١٢]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الرعد:٦].

(وكيف محق من محق بالمثلات): محقه إذا أبطله وأفسده، والمُثلات: العقوبات.

(واحتصد من احتصد بالنقمات!): حصده[2] إذا قطعه، قال الله تعالى: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾[هود:١٠٠] وأراد وقطع دابر من قطع من الأمم الماضية، والقرو ن الخالية.

(وإنه سيأتي عليكم من بعدي): بعد وفاتي وانقطاع أيامي.

---

(١) يكونوا، زيادة في شرح النهج.

(٢) في (أ): أحصده.

(زمان ليس فيه شيء[1] أخفى من الحق): لاندراس أحكامه وامحاء رسومه وأعلامه.

(ولا أظهر من الباطل): لعلوه وارتفاعه.

(و لا أكثر من الكذب على الله وعلى رسوله): فيكذب عليهما، ويقال عليهما ما لا يقولانه.

(وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبورمن الكتاب): بار المتاع إذا كسد، ولم يكن له قيمة ولا وزن.

(إذا تلي حق تلاوته): إذا أقيمت حروفه، وأخرجت من مخارجها، وأظهرت أحكامه، وأقرّت في مواضعها، فمتى كان على هذه الصفة كان بائراً لا يلتفت إليه، ولايعول عليه.

(ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه): أراد أن القرآن إذا بدِّلت أحكامه وغيِّرت رسومه، كانوا أشوق ما يكون إلىسماعه، وأقبل ما يكون عليه لماكان ذلك يوافق أهواءهم، وتطيب به نفوسهم، فهم يسرعون إليه غاية الإسراع.

(ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف): لقلة من يعمل به، ويدعو إليه فهو ينكر إذا قصد.

(ولا أعرف من المنكر): لكثرة العاملين به، وإقبال الناس عليه.

(فقد نبذ الكتاب حملته): كنى بذلك عن اطراح أحكامه وإهماله، كما قال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[آل عمران:١٨٧].

(١) قوله: شيء زيادة في (ب) وشرح النهج.

(وتناساه حفظته): بترك درسه حتى امَّحى عن قلوبهم.

(فالكتاب يومئذ وأهله): عنى بالكتاب القرآن، وبأهله أهل البيت، هو وأولاده، وأراد بقوله: (يومئذ) أي زمان حصول هذه الحوادث التي ذكرها، والتنوين عوض من تلك الجملة المذكورة أولاً.

(منفيان): عن أماكنهما.

(طريدان): عن مستقرهما.

(وصاحبان): لا ينفصل أحدهما عن الآخر؛ لأنهما الثقلان فلايزالان مجتمعين على الحق، كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «قد خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي».

(مصطحبان): الاصطحاب: افتعال من الصحبة، وأراد أن اقترانهما من أجل دلالتهماعلى الحق فهما لا يفترقان أبداً.

[**(في طريق واحد)**: وهي طريق الجنة والهداية إلى الدين والتوحيد والإقرار بأمور الآخرة][1].

(لا يؤويهما مؤو): آواه إذا ضمَّه وكفله، قال الله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾[المؤمنون:٥٠] وأراد أنه لايعمل بهما عامل، ولا يميل إليهما مائل أصلاً.

(فالكتاب[2] وأهله): يريد من ذكرناه من أهل البيت والقرآن.

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).
(٢) في (أ): والكتاب، وأهله وذلك الزمان ...إلخ، وما أثبته من ب وشرح النهج، ومن نسخة أخرى.

(في ذلك الزمان في الناس): كائنان وحاصلان معهم.

(وليسا فيهم): لعدم من يعمل بهما، فكأنهما في الحقيقة مرتفعان عنهم.

(ومعهم): مصاحبان لهم في جميع الحالات.

(وليسا معهم): أي أنهما بين أظهرهم، وكائنان معهم، وليسا معهم لم يتفقوا على معرفة أحكامهما، وما يتوجه من حقهما فكأنهما في الحقيقة بائنان عنهم بعيدان.

(لأن الضلالة [لا][1] توافق الهدى): لأنهما يدعوان إلى الحق، ويدلان عليه، وهم مكبُّون على الباطل عاملون[2] به، فلا يتلاءمون ولا يتقاربون.

(وإن اجتمعا): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن الضلالة لاتوافق الهدى، وإن اجتمعا فهما في الحقيقة مفترقان؛ لتباينهما في المعنى.

وثانيهما: أن يريد الا ستئناف بالشرط أي إن حصل اجتماعهما.

(واجتمع القوم على الفرقة): أي على مخالفة أمرالدين؛ لأن اجتماعهما على ذلك هوفرقة في الحقيقة.

(وافترقوا على[3] الجماعة): أي[4] وخالفوا ما يجب فيه الا جتماع من أحكام الله وأمره ونهيه، ففعلهم هذا من الاجتماع على الفرقة، والفرقة على الجماعة.

---

(١) سقط من (أ)، وهو في النهج، وقد أثبته من النهج، ومن (ب).

(٢) في (ب): فاعلون به.

(٣) في (ب): عن.

(٤) أي، زيادة في (ب).

(كأنهم أئمة الكتاب): فيكون تابعاً لهم على ما يهوونه ويريدونه.

(وليس الكتاب إماماً لهم): فيحتكمون لأمره، ويتابعونه على مراده، وينقادون لأمره ونهيه.

(فلم يبق[1] عندهم إلا اسمه): الفاء هذه هي جواب الشرط، أي إن اجتمعا الكتاب وأهله، فليس معهم إلا اسمه، وليسوا[2] عاملين به، ولا يؤثرون شيئاً منه لمخالفتهم له في جميع أحوالهم.

(ولا يعرفون [منه][3] إلا خطه وزبره): ولا يتحققون منه إلا سواد المكتوب وتأليف أحرفه بعضها إلى بعض، فأما أحكامه فلا تخطر لأحد منهم على بال.

(ومن قبل): أي من قبل هذه الأشياء التي ذكرها، من نبذ الكتاب وأهله، واطراحهما من أيديهم.

(ما مثّلوا[4] بالصالحين): ما ها هنا مصدرية، أي وتمثّلوا[5] بالعلماء والأفاضل، وفعلوا بهم كل فعل قبيح من تشريدهم عن البلاد وطردهم، من[6] قولهم: مثّل به إذا نكّل به، والمصدر مثلاً، والاسم منه المُثْلَة، وفي الحديث بعد قتل حمزة: «والله لأن مكنني الله لأمثلنَّ بسبعين منهم»

---

(١) في (ب): فليس عندهم منه، وفي شرح النهج: فلم يبق عندهم منه...إلخ.

(٢) في (أ): وليس.

(٣) سقط من (ب) ومن شرح النهج.

(٤) في (أ): ما مثلوه.

(٥) في نسخة أخرى: ومثلوا.

(٦) في (ب): وقولهم.

فنزلت الآية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾[1] [النحل:١٢٦] فما قام فينا مقاماً بعد ذلك إلا وهو ينهانا عن المثلة.

(كل مثلة): أنواعاً من المثل، وضروباً منها.

(وسمّوا صدقهم على الله فرية[2]): وقالوا في كل ما صدقوا فيه: إنه كذب على الله افتروه عليه.

(وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة): أراد أنهم عاقبوهم، ومثّلوا بهم كل مُثْلَة، لما كان دعاؤهم إلى الله واجتهادهم في دينه بمنزلة ما لو كانوا على خلاف ذلك، من تحريف أمر الله والدعاء إلى غيرهم[3]، فما ينالهم على الأول إلا مثل ما نالهم على الثاني من العقوبة.

(وإنما هلك من كان قبلكم[4]): من الأمم والقرون، إنما كان ذلك:

(بطول آمالهم): كثرتها عليهم، وغلبتها على عقولهم بالتغطية والإعماء.

(وتغيّب آجالهم): حتى نسوها، وتوهموا الخلود فأعرضوا عن الآخرة، وأهملوها عن قلوبهم.

(حتى نزل بهم الموعود): الأمر الموعود به، وهو الموت الذي لا يكذب خبره، الذي وعدوا به واستيقنوه.

---

(١) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٨٧/٢ بسنده عن ابن عباس، والحاكم في المستدرك ٢١٨/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ١١٩/٦، ورواه باختلاف يسير ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٧/١٥ عن الواقدي.

(٢) في (أ): قوية، وهو تحريف، والصواب: كما أثبته.

(٣) كذا في النسخ، ولعل الصواب: غيره، وظنن فوقها في(ب) بقوله: ظ: غيره.

(٤) في نسخة: قبلهم (هامش في (ب)).

(الذي تردّ عنده[1] المعذرة): أي الاعتذار فلا يكون مقبولاً.

(وترفع عنده[2] التوبة): أي لا يكون لها حكم في القبول فهي مرفوعة، وإنما كان الأمر كما ذكر من بطلان الاعتذار، ورفع التوبة؛ لما فيه من الإلجاء بمشاهدة الملائكة وتحقق الأحوال كلها، فلأجل ذلك بطلت التوبة، وارتفع الاعتذار، ويصدِّق ما قلناه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء:١٨]، فسوَّى الله ها هنا بين من سوَّى هذه التوبة عند الموت، وبين من يموت وهوكافر[3]، في استحقاق العقوبة، وفي هذا دلالة على استعجال التوبة، والتحفظ على تقديمها.

(وتحل معه القارعة والنقمة): وذلك ما يكون بعد الموت من عذاب الله ونكاله وأليم عقوبته.

(أيها الناس، إنه): الضمير هاهنا للشأن؛ لأنه موضع تفخيم ومبالغة.

(من استنصح الله): طلب النصيحة من جهته، بفعل الألطاف الخفية من جهته.

(وُفّق): إما للأعمال الصالحة، وإما للثواب الجزيل، ورفع المنزلة عند الله، وكل ذلك فيه إحراز رضوان الله وكريم مآبه.

(ومن اتخذ قوله دليلاً): جعل القرآن إماماً له فيما يأتي ويذر في جميع أموره فلا يورد ولا يصدر إلا به.

---

(١) في شرح النهج: عنه.

(٢) في (ب): و في شرح النهج: عنه.

(٣) في (ب): وبين من يموت كافراً.

(هُدي للتي هي أقوم): هداه الله للخصلة المرضية عنده المستقيمة المؤدية إلى الجنة.

(وإن جارالله آمن): المستند إليه في أموره، المعتمد عليه في أحواله، المتوكل عليه آمن من كل ما يخافه من الشرور والبلاوي، كما قال تعالى: **﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾**[الطلاق:٣]، من كل ما يخاف ويحذر.

(وعدوه خائف): والمعادي لله[1] بترك طاعته، الكائن من حزب الشيطان فهو خائف، إما من نقمةالله تعالى له؛ لأجل معصيته، وإما من تسليط من يقهره ويذله ويقطع دابره، وفي الحديث: «من اتقى الله أخاف الله منه كل شيء، ومن عصى الله خوفه الله من كل شيء»[2] ومصداق ما قلناه من ذلك، قوله تعالى: **﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[المنافقون:٨]، وقوله تعالى في حق المنافقين: **﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾**[المنافقون:٤] أي لا صيحة إلا وهم يخافونها إذا سمعوها كأنها واقعة بهم.

(وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظَّم): لأن عظمة الله تعالى بلا نهاية، ولا لها حد ولا لها غاية، فمن عرفها حق معرفتها فما سواها يكون حقيراً لامحالة، بالإضافة إليها، وفي الحديث: «الكبرياء ردائي،

(١) في (ب): له.

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ١٥/٨ إلى إتحاف السادة المتقين ٢١١/٩ وأورد قريباً منه بلفظ: «من اتقى الله أهاب الله منه كل شيء» وعزاه إلى الدر المنثور للسيوطي ٩٩/٦، وإتحاف السادة المتقين ٦٢١/٨، وكنز العمال برقم ٥٨٨٣، والحديث بلفظ «من خاف الله خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء» رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤٦/١٠.

والعظمة إزاري، فمن نازعني أحدهما قصمته»[1]، وفي حديث آخر: «من تواضع رفعه الله، ومن تكبر أهانه الله»[2] فسبحان من يكون التكبرنقصاً إلافيه، ومن لايحمد على المكروه إلاهو!.

(فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته): أي أن ارتفاع العالمين بقدر العظمة لله تعالى، ويتحققون كنه حقيقتها فنهاية أمرهم:

(أن يتواضعوا له): لأن هذا هو فائدة علمهم بالعظمة، وجدوى تحققهم لها.

(وسلامة الذين يعلمون ماقدرته): كيفية القدرة، وحقيقتها، والإحاطة بماهيتها، فغايتهم وكمال معرفتهم بها:

(أن يستسلموا له): أن ينقادوا لأمره، ويعترفوا بحقه، وإذا كان الأمر كما قلناه في ذلك، فعليهم الاحتكام لأمر الله.

(فلا ينفروا[3] من الحق): أي لا يبعدون منه سواء كان عليهم أو لهم.

(نفار الصحيح من الأجرب): لأنه يعافه، وتشمئز منه نفسه، وتنفر طباعه.

(١) الحديث بنفس اللفظ في فيض القدير ٤٨٤/٤، وعون المعبود ٨٩/٣، وأخرجه واللفظ في آخره: «فمن نازعني في أحدهما ألقيته في النار» ابن حبان في صحيحه ٣٥/٢، والهيثمي في موارد الظمآن ٤٢/١، وأبو داود في سننه ٥٩/٤، وابن ماجة في سننه ٢(١٣٩٧)، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٧٦/٢، ٤١٤، وهو في مسند الشهاب ٣٣٠/٢.

(٢) له شاهد بلفظ: «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر قصمه الله» أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٢/٨ من حديث عن عمر بن الخطاب، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٠٤/١١ وفيه: «ومن تكبر خفضه الله».

(٣) في (ب): وفي شرح النهج: فلا تنفروا.

(والبارئ من ذي السقم): لتباين حالهما[1]، وافتراق ما بينهما من ذلك.

(واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد): الرشد مصدر رَشَدَ يَرْشِدُ رُشْداً وَرَشَاداً، وهو: الهداية إلى دين الله، والعمل بمراضيه[2].

(حتى تعرفوا الذي تركه): موقعه[3] من سخط الله، وما يحلُّ به من غضبه ونكاله.

(ولن تأخذوا بميثاق[4] الكتاب): تمتثلوا بأحكامه، وتمتثلوا أوامره ونواهيه.

(حتى تعرفوا الذي نقضه): كيف حاله، وأين بلغ به نقض الكتاب، وتغييره وتبديله.

(ولن تمسّكوا به): تواظبوا على فعل أحكامه، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾[الزخرف:٤٣].

(حتى تعرفوا الذي نبذه): وراء ظهره، بإهمال أحكامه وإطراحها.

سؤال؛ الشيء في نفسه معروف بأحكامه وما هيته، فكيف قال: لا يُعْرَفُ الرشدُ إلا بعد معرفة من تركه، ولا يُعْرَفُ الميثاق إلا بعد معرفة من نقضه، وهكذا سائر ما ذكره؟

وجوابه؛ هو أن تعريف الشيء بلازمه وحكمه آكد، من تعريفه بذاته؛

---

(١) في (أ): حالهم.

(٢) في (ب): بمرضاته.

(٣) في (ب): مواقعه.

(٤) في (ب): لميثاق.

لأن تعريفه بحكمه يفيد معرفة ذاته وحكمه، وتعريفه بذاته لا يفيد إلا معرفة ذاته لا غير، فإذا عرفنا حكم تارك الرشد وما تحقق[1] به من فعله، ومايتعلق به من الذم واللائمة، كانت معرفتنا للرشد أبلغ، ويكون محله في النفوس آكد وأوقع، وهكذا القول في سائر ما قاله من الميثاق، والتمسك بالحق.

(فالتمسوا ذلك): يشير به إلى معرفة من ترك الرشد، والناقض للحق، والنابذ له وراء ظهره حتى يحصل العلم بنقائضها على كمال وتمام.

(من عند أهله): العالمين به المحيطين بحقائقه، والمستولين على أسراره، وأراد أهل البيت هو وأولاده.

(فإنهم عيش العلم): إما لا يحيا إلابهم، وإما أنهم الغذاء للقلوب، كما أن العيش غذاء الأجسام.

(وموت الجهل): لأن حياة كل شيء إماتة لنقيضه، فما كان حياة للعلم كان إماتة للجهل.

(هم[2] الذين يخبركم حكمهم عن علمهم): أي أمارة تبحرهم في العلوم، وإحاطتهم بها فحكمهم على الصواب يخبر عن باهرالعلوم[3]، ونفوذ البصيرة.

(وصمتهم عن منطقهم): أي أنهم لا يصمتون إلا عن حكمة

---

(١)في (ب): وما يتحقق.

(٢) قوله: هم، سقط من (أ).

(٣) في (ب): العلم.

وصواب، فهكذا يكون نطقهم إذا نطقوا، لأن الصمت ربما كان عن عيٍّ كما يكون عن حكمة، فإذا كان الصموت في حقهم حكمة، فالنطق أدخل في ذلك، وأدلُّ على فضلهم من الصمت.

(وظاهرهم عن باطنهم): وما يظهر على ألسنتهم من الصواب والحكمة، دال على ما ستروه[1] من الحكمة، والاحتمال والإغضاء على المكاره كلها.

(لا يخالفون الدين): يجانبون طريقه بل يقتفون آثاره، ويسلكون طريقه ومنهاجه.

(ولا يختلفون فيه): يخالف بعضهم بعضاً في ذلك.

(فهو): الضمير للدين.

(بينهم شاهد مصدق[2]): لايخالفوه في كل ما شهدبه، ودلّ عليه.

(وصامت): لاينطق بلسان.

(ناطق): يخبر عن الله بما ركب في العقول من الدلالة على توحيده وإلاهيته وبما قرر الشرع من ذلك.

سؤال؛ كيف قال: لا يختلفون في الدين، والمعلوم أن الخلاف واقع بين أهل البيت فيما بينهم في كل عصر، في المجتهدات والصفات الإلهية، وغير ذلك من الاختلاف في المسائل الدينية؟

(١) في (ب): يستروه.

(٢) في (ب) والنهج وشرح النهج: صادق.

وجوابه؛ أما المجتهدات فلا مقال[1] في جوازالخلاف فيها؛ لأن الإصابة لا تختص فيها بأحد دون أحد، وأما اختلافهم في الصفات الإلهية فذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون الخلاف واقعاًفي أصل حقيقة الصفة، في إثباتها ونفيها، كأن يقول واحد منهم: هو قادر، والآخر يقول: إنه ليس قادراً، فما هذا حاله فهم منزهون عن وقوع الخلاف بينهم فيه؛ لأن من نفاها على هذا الاعتبار فهوكافر لا محالة.

وثانيهما: أن يكون الخلاف واقعاً بعد إثبات حقائق هذه الصفات، ثم يقول بعضهم: القادرية حالة، وبعضهم يقول: هي حكم، وبعضهم يقول: هي نفس الذات، فهذا الخلاف، وإن كان أحد القولين خطأ لامحالة، لكنه لايكون خطاءً[2] يوجب كفراًولا فسقاً، وإنما يحكم فيه بالخطأ لا غير؛ لأن الحق في هذه المسائل واحد لا غير، فغرض أمير المؤمنين نفي اختلافهم في الدين فيما يكون فيه خطر في الدين، وخروج منه، فأما هذا الخلاف فإنه ليس خطراً، ولا يكون صاحبه خارجاً عن الدين.

(١) في (ب): فلا خلاف.

(٢) قوله: خطاءً سقط من (أ).

(١٣٩) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر أمر أهل البصرة وحالهم

(كل واحد منهما): يعني طلحة والزبير.

(يرجو الأمر له): يريد بما فعله الخلافة والأمر له دون صاحبه

(ويعطفه عليه): ويرد الدولة على نفسه.

(دون صاحبه): فيضنُّ بها عليه، ولا يريدها له أبداً.

(لا يمتَّان إلى الله بحبل): المتُّ هو: التوسل بقرابة فيما أقدما عليه وأمَّلاه.

(ولا يمدان إليه بسبب): فيما رجواه من ذلك وأراداه، وإنما هو البغي والمخالفة، والنكوص على الأعقاب.

(كل واحد منهما حامل ضبٍّ لصاحبه): الضَّبُّ: الحقد، وأراد أن كل واحد منهما مبطن للعداوة والحقد لصاحبه، وكيف لا ولم يكن التئامهما إلا للدنيا، ومخالفة أمرالله وإيثار حطام عاجل!، وفي الحديث: «كل صحبة تكون في غير الله، آخرها يكون عداوة».

(وعمَّا قليل يُكشف قناعه به): وعلى قُرْبٍ من الزمان في أمرهما يظهرالحقد الذي كانا يضمرانه، ويكتمان حاله، ويبديان ما كانا يخفيانه

منه، كما قال في موضع آخر:

(كل يدَّعي الأمر له دون صاحبه، لا يرى طلحة إلا أن الأمر له والخلافة؛ لأنه ابن عم عائشة، ولا يرى الزبير إلا أنه أحق به؛ لأنه خَتَن عائشة[1]): لأنه ابن أختها؛ لأن أم الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي خالته.

(والله لئن أصابوا ما يريدون): من الاستظهار عليَّ والقهر لي.

(لينزعنَّ هذا نفس هذا): بالقتل[2] أحدهما لصاحبه.

[**(وليأتينَّ هذا على هذا)**][3]: بأخذ الروح، كما قال في موضع آخر:

(والله لئن ظفروا بما يريدون، ولا يرون ذلك ليضربنَّ طلحة عنق الزبير، أو الزبير عنق طلحة، بغياً وحسداً، وإيثاراً للدنيا وعاجلها[4]) وفي هذا دلالة باهرة على أنهما فيما أقدما عليه على زلزال وقدم غير راسخة، ولهذا قال لهما في مو ضع آخر:

(والله إن طلحة والزبير ليعلمان أنهما مخطئان، وما يجهلان ذلك، ولربَّ عالم قتله جهله، ولم ينفعه علمه)[5].

(قد قامت الفئة الباغية): يشير إليهما، وإلى عائشة.

(فأين المحتسبون!): الباذلون نفوسهم لله[6]، والبائعون لها بالجنة منه.

(١) المغني ٢٠/٢/٨٧.
(٢) في (أ): بما يقتل، وما أثبته من نسخة أخرى.
(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٤) المصدر السابق ٢٠/٢/٨٧-٨٨.
(٥) المصدر السابق.
(٦) في (ب): فيه.

(**قد سنّت لهم السنن**): أوضحت لهم الطرق، وأقيمت عليهم الحجج.

(**وقدّمَ لهم الخبر**): يشير بذلك إلى أمور ثلاثة:

أولها: ما روي أن أمير المؤمنين نادى الزبير يوم الجمل، فقال له: (أنشدك الله[1] الذي أنزل الفرقان على نبيه، أما تذكر يوم قال لك رسول الله: «يازبير، أتحب علياً» فقلت: وما يمنعني يارسول الله من حبه، وهو ابن خالي؛ لأن أمه صفية بنت عبد المطلب، فقال لك: «أما إنك ستخرج عليه وأنت له ظالم»).

فقال الزبير: اللّهُمَّ، بلى قد كان ذلك[2].

وثانيهما: ما روي أن أمير المؤمنين قال له: (أنشدك الله الذي لا إله إلا هو، أما تذكر يوم جاء رسول الله من بني عمرو بن عوف، وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا، فسلم عليَّ وضحك في وجهي، وضحكت إليه، فقلت[3]: إنه لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله: «مهلاً يازبير، فليس به زهو، ولتخرجنَّ عليه وأنت ظالم له») فقال الزبير: اللّهُمَّ، بلى، ولكن أنسيت، فأما إذا ذكّرتني ذلك، فوالله لأنصرفنَّ عنك ولو ذكرت ذلك لما خرجت عليك، ثم رجع عن حربه وترك القتال[4].

---

(١) في (ب): بالله.

(٢) رواه الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ- ص٣٩، وأخرج قريباً منه العلامة ابن الأمير في الروضة الندية ص ٦٨.

(٣) في (ب): فقلت له.

(٤) رواه الشريف علي بن ناصر في المصدر السابق ص٣٩، وانظر قريباً منها شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٧/٢، وانظر تأريخ الطبري ٣٧/٣.

وثالثها: ما روي عنه صلى الله عليه أنه قال: «تقتلك ياعمار الفئة الباغية» فهذا مراده[1] بقوله: (وقدّم لهم الخبر) يشير إلى ما ذكرناه.

(**ولكل ضلّة علة**): [أراد أن كل من أخطأ فلا بد له من علة في خطأه][2].

(**ولكل ناكث شبهة**): النكث: نبذ العهد، أراد أن كل من نكث فهو يعتل بشبهة يدلي بها، وهويشير بذلك إلى بطلان معاذير أهل الجمل فيماأتوه، وأنه لاعذر لهم عند الله، وفي المثل: لن يعدم الخير فاعله.

(**والله لا أكون كمستمع اللدم**): اللدم هو: ضرب الوجه بالكف في النياحة، كما تفعله النساء.

(**يسمع الناعي**): وهو الذي يخبر بموت من مات.

(**ويحضر الباكي**): لميته، وقريبه، و صاحبه.

(**ثم لا يعتبر**): لا يكون له اتعاظ وتذكرة، وأراد بهذا أنه بعد بغيهم عليَّ وتأهبهم لقتالي، وإجماعهم على حربي، فلا أسكت بعد ذلك، وأنتظرقتلهم لأصحابي فأسمع نعيهم، وأحضر بكاءهم، ولكن أوقع بهم السيف، وأشرع نحورهم الأسنة، وأوجه إليهم الرماح وأقطع دابرهم، وأنكّل بهم جزاءً على بغيهم وشقاقهم، كما فعل بنصر الله له وتأييده.

---

(١) في (أ): مراد.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(١٤٠) [ومن كلام له عليه السلام قبل موته][١]

(**أيها الناس، كل امرئ يلاقي**[٢] **ما يفر منه**): من الموت الذي يخافه.

(**في قراره**[٣]): في مستقره، ومكانه، ومستوطنه.

(**والأجل**): منقطع الحياة، وغايتها.

(**مساق النفس إليه**): الذي تساق إليه.

(**والهرب منه موافاته**): يعني أن الهرب منه إنما يكون بطول مدة الحياة، وطولها بنفسه هو نفس الوصول إليه؛ لأن الأيام مسير إليه، وقطع لمسافته.

(**كم أطردت الأيام**): فيه روايتان:

أحدهما: رفع الأيام، والتاء للتأنيث، أي كم تتابعت الأيام، من قولهم: اطَّرد[٤] الليل والنهار، أي تتابعا.

وثانيهما: نصب الأيام، والتاء ضمير لنفسه، أي كم أتبعت الأيام

(١) زيادة في نسخة أخرى، و في شرح النهج.
(٢) في النهج: لاقٍ.
(٣) في شرح النهج: فراره.
(٤) في (أ): طرد.

نظري وفكري، وسماعنا بالثاني، والأول أقعد في المعنى، قد كان الرسول (عليه السلام) أخبره بأنه سيقتل، وقال له: «أشقى الناس اثنان: عاقر الناقة أحيمر ثمود، والذي يضربك على هذه فيبل منها هذه»[١] يشير إلى لحيته، ولكنه لم يبين له وقت ذلك على التعيين، فلهذا قال: كم أطردت الأيام.

(**أبحثها**): أستخبرها.

(**عن مكنون هذا الأمر**): عمَّا علم الله من أمر القتل ووقته.

(**فأبى الله إلا كتمانه**): إخفاءه عني لسر ومصلحة استأثر[٢] بعلمها.

(**هيهات!**): بعد ذلك أن يعلم من علم الله مالم يعلمه أحد من خلقه، أو يطلع على سره ومكنونه، كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[الجن:٢٦-٢٧].

(١) الحديث بلفظ: «ألا أخبركما بأشقى الناس رجلين؟» قلنا: بلى يا رسول الله. فقال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه، فوضع رسول الله ﷺ يده على رأسه، حتى يبل منها هذه ووضع يده على لحيته» أخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق ٣٤٨/٣ تحت الرقم (١٣٩٨) بسنده عن عمار بن ياسر، قال المحقق في تخريجه: والحديث رواه أيضاً النسائي في الحديث (١٤٩) من كتاب الخصائص ص١٢٩ط٢، ورواه أحمد بن حنبل في عنوان (بقية حديث عمار بن ياسر) من كتاب المسند٢٦٣/٤ ثم ساق في تخريجه عدداً من إسناداته ومصادره انظرها هناك. وانظر الرقم (١٣٩٩) من ابن عساكر أيضاً.
وروى الحديث الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٣٤٢/٢ تحت الرقم (١١٠٤)، وابن هشام في السيرة النبوية ٢٣٧/٢.
(٢) في (ب): استأثر الله بعلمها.

(علم مخزون): عند الله.

(وأمر مكنون): لا يطلع عليه إلا هو.

يحكى أنه لما ضربه اللعين عبد الرحمن بن مُلجم على قرنه، جاء الطبيب إليه، فأدخل رئة على رأس المجس، ثم أخرجها فوجد مخ الدماغ عليها، فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإن عدو الله قد بلغ[1]، فعرف ذلك (عليه السلام) فقال:

(أما وصيتي فلا تشركوا بالله شيئاً[2]): أي لا تتخذوا من دونه شريكاً [له][3] في العبادة، كما قال تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾**[النساء:٣٦].

(ومحمداً صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته): أي لا تتركوها ضائعة عن العمل بها فإن «من رغب عن[4] سنتي فليس مني»[5]، قاله صلى الله عليه وآله.

(١) الرواية في شرح النهج لابن أبي الحديد ٦/١١٩-١٢٠ بلفظ: قال أبو الفرج: ثم جمع له أطباء الكوفة، فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكوني، وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم، فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة، فاستخرج منها عرقاً، وأدخله في الجرح، ثم نفخه، ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك. انتهى.

(٢) لفظ العبارة في شرح النهج: أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً.

(٣) سقط من (ب).

(٤) في (ب): عن شيء من سنتي.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١/٩٩، وابن حبان في صحيحه ١/١٩٠، وعبد الرزاق في مصنفه ٦/١٦٧، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨/٢٨٠ وعزاه إلى مصادر كثيرة منها: البخاري ٧/٢، ومسلم في النكاح (٥)، وسنن النسائي (المجتبى) في النكاح الباب (٤)، وسنن الدارمي ٢/١٣٣، ومسند أحمد بن حنبل ٢/١٥٨، ٣/٢٤١، والسنن الكبرى للبيهقي ٧/٧٧ وغيرها.

(أقيموا هذين العمودين): جانب الله تعالى، وجانب رسوله.

(وأوقدوا هذين المصباحين): واستعار لهما اسم المصباحين؛ لما فيهما من النور والهداية في الدين والدنيا.

(وخلاكم ذم): أي والذم بريء عنكم لا يخالطكم، وجاوزكم[1].

(ما لم تشردوا): عنهما بالتفرق[2]، والخلاف فيهما.

(حمّل كل امرئ مجهوده): أراد حمَّل الله كل أحد من التكاليف ما يطيقه وسعه من غير زيادة على ذلك **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾**[البقرة:٢٨٦]، وطاقتها.

(وخفّف عن الجهلة): أي أن الله تعالى خفّف عن الجهَّال من أجل جهلهم، وأن حالهم يخالف حال العلماء لأجل علمهم، وفي كلامه هذا دلالة على أن حكم الله على الجهَّال أخف، وأن حكمه على العلماء أثقل وأرزن، **﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[الزمر:٩] ولهذا فإن جرم طلحة، والزبير، وعائشة، ليس كجرم غيرهم من أجلاف أهل الشام، وأهل الغباوة منهم عند الله.

(رب رحيم): مالك رءوف بهم.

(ودين قويم): مستقيم على الحنيفية، لا ميل فيه.

(وإمام عليم): يعني نفسه، إما عليم بما يصلحهم من ذلك،

(١) في (ب): ويجاوزكم.

(٢) في (ب): بالتفريق.

وإما ذو علم ودراية بما يأتي ويذر، فهذه الأمورالثلاثة، هي التي خففت على الجهَّال الأمرفي تكاليفهم رحمة من الله، ولطفاً بهم[1].

(أنا بالأمس صاحب لكم): يشير إلى ما مضى من عمره معهم، ونعم ما كانت صحبته[2] لهم بالرفق بهم، والرحمة لهم، وبذل النصيحة من أجلهم.

(وأنا اليوم عبرة لكم): موعظة لانقلابي إلى الآخرة، والموت أعظم موعظة لمن اتعظ بها، واستيقظ من فجيعتها.

(وغداً مفارق لكم!): مفارقة لا يرجى لها اجتماع وموافقة.

(غفرالله لي): ما أسلفته من ذنوبي.

(ولكم): ما اجترحتم منها، ومقالته هذه تشبهاً بأخلاق الأنبياء، كما قال يوسف لأخوته: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] فأكرم بهذه الخلائق فما ألطفها، وأرقها بالخلائق وأرحمها.

(إن تثبت الوطأة): أراد أنه[3] إن استقرالقدم.

(من[4] هذه المزلة): بالكسر والفتح، وهي: المكان الدحض الذي تزلق فيه القدم، وأراد بذلك خلاصه من ضربة اللعين، واستقرار قدمه وانتعاشه منها، وبرءه عنها.

---

(١) في (ب): لهم.

(٢) في (ب): محبته.

(٣) في (ب): به.

(٤) في شرح النهج: في.

(فذاك): إشارة إلى الثبوت، أي فذاك الذي أريده، وتهواه النفس، وتتوق إليه.

(وإن تدحض القدم): دحوض القدم: زلله وميلانه، وكنى بذلك عن نفاد العمر، وزواله.

(فإنَّا كنا في أفياء أغصان): الفيء هو: الظِّلال للشجر، ولكل غصن ظِلال يظل ما تحته، ويستره من الشمس.

(ومهاب ريح[1]): اختلاف جهاتها تارة بالقبول والصَّبا، وتارة بالدبور، وتارة من الجنوب[2] والشمال.

(وتحت ظل غمام): جمع غمامة، وهي: القطعة من السحاب.

(اضمحل في الجو متلفقها): أي تقشَّع ما كان منها متلفقاً متلائماً، والضمير للغمام.

(وعفا في الأرض مخطها): أراد بذلك اندرس في الأرض أثرها؛ لأن ظل الغمام يقع على الأرض، فإذا تفرَّق امَّحى مكان الظل وتلاشى، وأراد بذلك لبثه في أيام الدنيا وبقاءه فيها، ثم صار بعد ذلك إلى تغيُّر هذه المحاسن بالبلاء وتحكُّم الهوام فيها، وتقطيعها بالتراب والثرى.

(وإنما كنت جاراً): لكم في الدنيا أياماً منقطعة.

(جاوركم بدني أياماً): وإنما قال: بدني؛ لأن مجاورته إياهم فيها؛

---

(١) في شرح النهج: رياح، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في (ب): بالجنوب.

إنما كان بجسده وشبحه لا بروحه ؛ لأن روحه (عليه السلام) كان متعلقاً بمحبة الله تعالى وشوقه إليه، لإعراضه عن الدنيا ومتاع غرورها وكذبها، وإقباله إلى الآخرة ونعيمها، فلهذا قال: جاوركم شبحي يشير به إلى ما قلناه، وسيأتي لكلامنا هذا مزيد تقرير عند وصفه للمتقين من عباد الله.

(وستعقبون مني جثة): الجثة: عبارة عن الجسم بعد ذهاب روحه، وأراد ويعقبكم مني جسم لا روح فيه.

(خلاء): عن الروح الذي هو قوامها ومعناها.

(ساكنة بعد حراك): بعد تحرك، إما تحرك في القلب، وتيقظ في الخاطر[1]، وإما تحرك واضطراب في الجوارح.

(وصامتة بعد نطق): أي مختوماً على لساني بعد أن كان مفوهاً ينطق بالحكم والآداب والمواعظ نطقاً وأي نطق.

(ليعظكم هدوئي): أي ليكون موعظة لكم، بالغة في العظة، والهدوء السكون، يقال: هدأ إذا سكن.

(وخفوت إطراقي): الخفوت ضعف الصوت، والإطراق هو: السكوت يقال: أطرق إذا سكت مفكراً.

(وسكون أطرافي): أعضائي كلها وجوارحي.

(فإنه أوعظ للمعتبرين): أدخل في الموعظة، وأوقع في الزجر للمتعظين.

(من المنطق البليغ): البالغ في الموعظة.

(١) في (أ): الخاطرة.

(والقول المسموع): الذي يقرع الأسماع، ويسمع الآذان ؛ لأن المنطق إنما هو خبر و[1] هذا معاينة، وقد قيل في المثل: (ليس الخبر كالعيان)[2]، ولا ما يرى بالعين كالذي يسمع بالأذن.

(ودعتكم[3] وداع امرئ مرصد للتلاقي!): معد للتلاقي، من أرصدته إذا أعددته لكذا، وأراد الملاقاة.

(غداً): يوم القيامة، كماقال تعالى: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[غافر:١٥] لأن كل واحد من الخلائق يلقى غريمه.

(ترون أيامي): فيكم وإقامتي بين أظهركم.

(ويكشف لكم عن سرائري): عمَّا كنت أضمره من النصيحة لكم والاجتهاد في حقكم.

(وتعرفونني): وتحققون[4] حالي وأمري.

(بعد خلو مكاني): انقطاعي عن الدنيا وتدبيري لأحوالكم فيها.

(وقيام غيري مقامي): ممن يليكم بعدي، وأراد أنه إنما يعرف كُنْهُ حاله في جميع ما ذكره ويمتحن إذا وليهم غيره ؛ لأن امتحان العقلاء إنما يكون بمقارنة الجهلاء.

وأقول: لقد خلف عليهم بعده من لا يرشد نفسه، فكيف يرشدهم! ومن لا عهد له بخوف ومراقبة، معاوية ويزيد وغيرهما!

(١) الواو، سقط من (أ).
(٢) بل صح في الحديث: (ليس الخبر المعاينة). هامش في (ب).
(٣) في شرح النهج: وداعي لكم وداع ...إلخ.
(٤) في (ب): وتتحققون.

(١٤١) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم

(وأخذوا يميناً وشمالاً): أراد أهل الفتن التي تأتي بعده، يشير إلى فتنة بني أمية وغيرها من الفتن.

(ظعناً في مسالك الغي): إسراعاً إليها، وأراد طرق المهلك.

(وتركاً لمذاهب الرشد): إعراضاً عنها.

(فلا تستعجلوا ماهو كائن مرصد): واقع منها معدٌّ لكم مهيَّأ.

(ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد): مما هو كائن في الأزمنة المستقبلة، وجعَل غداً[1] عبارة عنها.

(فكم[2] من مستعجل ما[3] إن أدركه ودَّ أنه لم يدركه): أراد أن كثيراً ممن يستعجل شيئاً في إدراكه، ثم إذا حصل له تمنى أنه لم يكن حصل؛ لما يلاقي فيه[4] من الألم والغم، وعظم المحنة، وسوء العاقبة.

(وما أقرب اليوم من تباشير غد!): والتباشير هي[5]: البشرى، وتباشير الصبح: أوائله، وهكذا في كل شيء.

---

(١) في (أ): غد.
(٢) في (ب): وكم.
(٣) في شرح النهج: بما.
(٤) قوله: فيه، سقط من (أ).
(٥) في (ب): هو.

(ياقوم، هذا إبَّان): أي وقت، وإبَّان الفاكهة: وقت إيناعها.

(وورود كل موعود): من حصول هذه الفتن ووقوعها.

(ودنو من طلعة ما لاتعرفون): واقتراب من طلوع[1] ما لا تعرفون من أحوالها.

(ألا وإن من أدركها منَّا): الضمير راجع إلى قوله: طلعة ما لا تعرفون، وقوله: (منَّا) أراد أهل البيت.

(يسري فيها بسراج منير): بصيرة في الأمور نافذة.

(ويحذو فيها على مثال الصالحين): يقفو أثرهم ويقتدي بآرائهم الصائبة.

(ليُحِلَّ فيها ربقاً): قد أحكمت للضلالة، وهي: جمع رِبْقَة، وهو: حبل فيه عدة عرى تشدُّ فيها أولاد الغنم.

(ويعتق رقَّاً): قد أوثقوه في الجهالة.

(ويصدع شعْباً): قد رأبوه بآرائهم الخاطئة.

(ويشعب صدْعاً): قد فرقوه بأهوائهم المبتدعة؛ وعنى بذلك أنه يفرق جمع الضلالة، ويجمع شتات الهدى.

(في سترة من[2] الناس): أي يعملون ذلك، ويصنعونه في خفية من الناس وسر.

---

(١) في (ب): طلعة.
(٢) في نسخة وشرح النهج: عن.

(لا ينظر[1] القائف أثره): القائف هو: الذي يشبّه الولد بأبيه فيلحقه به، والقائف هو: الذي يعرف زجر الطير[2]، وأراد أن مكرهم وخدعهم دقيق لا يدرك لدقته بالكهانة والقيافة.

(ولو تابع نظره): ولو بالغ في نظره، وتابعه مرة بعد مرة لدقته وغموضه.

(وليُشحذنَّ فيها قوم): شحذ النصل: تحديده، أي ليضربنَّ بالبلاوي ويحك[3] سرائرهم في هذه الفتن، والمراد بما ذكره ظهورقوم من عباد الله الصالحين.

(شحذ القين النصل): القين: الحداد، مبالغة في شدة ما يلقونه.

(تجلى بالتنزيل أبصارهم): يتلونه حق تلاوته، ويجلّون بذكره بصائرهم، ويُصَفُّوْنَ به عقولهم عن أن ترين عليها الغفلة، أو يغلب عليها السهو.

(ويُرمى بالتفسير في مسامعهم): يسمعون كلام الله تعالى فيقع مراده في آذانهم فلا يخالفونه.

(ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح): أي يشربونها غدواً وعشياً، والغبوق: شرب العشي، والصبوح: شرب البكرة، وأراد أن الحكمة صارت غذاء لهم تطيب عليه أنفسهم وتنمو عليه أجسامهم.

---

(١) في نسخة وشرح النهج: لا يبصر.

(٢) وقال ابن الأثير في النهاية ٤/١٢١: القائف: الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع: القافة.

(٣) في (أ): ويحيك.

(وطال الأمد[1] عليهم): يعني أهل هذه[2] الفتن المضلة.

(ليستكملوا الخزي): من الله تعالى بما فعلوه، وارتكبوه من هذه الآثام الموبقة.

(ويستوجبوا الغير): التغيير في أحوالهم، وإزالة ما هم فيه من النعم بحلول النقم عليه، وإدالتها[3] بنقائضها[4] من البلاوي.

(حتى إذا اخلولق الأجل): اخلولق السحاب إذا صار خليقاً بحصول المطر منه، وأراد قرب الأجل وإسراعه، وحتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: فاستمروا على ذلك واطمأنوا إليه حتى جاء الأجل.

(واستراح قوم إلى الفتن): اطمأنوا إليها، وصارت أفئدتهم متعلقة بها ولا راحة لهم في[5] غيرها.

(واشتالوا عن لقاح حربهم): اشتالت الناقة ذنبها إذا رفعته، ليعلم بذلك لقاحها، وأراد أنه لما طالت الآماد في الفتن استأنس الناس بها، وهيجوا أسباب الحرب حتى لقحت واشتالت.

(لم يمنوا على الله بصبرهم[6]): أراد هؤلاء الصالحين الذين قدّم ذكرهم.

(ولم يستعظموا بذل أنفسهم في حق): لما يعلمون من[7] ثواب الله، وجزيل عطائه.

---

(١) في شرح النهج وفي نسخة أخرى: الأمد، كما أثبته، وفي (أ، ب): الأمر.

(٢) قوله هذه، سقط من (أ).

(٣) أي ودورانها.

(٤) في (ب): بنقيضها.

(٥) في، سقط من (أ).

(٦) في نسخة وشرح النهج: بالصبر.

(٧) في (ب): في.

(حتى إذا وافق وارد[1] القضاء): اتفق ما يرد من أقضية الله تعالى ومقاديره.

(انقطاع مدة البلاء): زوال ماهم فيه من البلاء بهذه الفتن، وحتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره فصبَّروا نفوسهم على ذلك حتى إذا وافق.

(حملوا بصائرهم على أسيافهم): وقاتلوا بالسيوف أمام[2] البصائر.

(ودانوا لربهم): عاملوه[3] بهذه المعاملة بالجهاد في ذاته، والقيام بأمره في ذلك، من قولهم: كما تدين تدان.

(بأمر واعظهم): [إمامهم، وصاحب أمرهم، وولايتهم][4].

(حتى إذا قبض رسول الله[5] رجع قوم على الأعقاب): حتى هذه متعلقة بأمر محذوف، كما مر في نظائرها تقديره: فأقاموا على ذلك حتى إذا قبض رسول الله [رجع قوم على الأعقاب][6] ارتدوا وكفروا.

(وغالتهم السبل): ختلتهم الطرق[7] السيئة وخدعتهم.

(واتكلوا على الولائج): الدخائل السيئة، أراد أنهم اعتمدوا عليها فكانت سبباً للهلاك.

---

(١) في (أ): وفق وأراد.
(٢) في (أ): أيام.
(٣) في (أ): عملوه، وفي (ب): عاملوه، وما أثبته من (ب).
(٤) ما بين القوسين سقط من (ب).
(٥) في (ب): و في شرح النهج: حتى إذا قبض الله رسوله ﷺ
(٦) زيادة في (ب).
(٧) في (أ): الطريق.

(ووصلوا غير الرحم): رحم الرسول (عليه السلام).

(وهجروا النسب[1] الذي أمروا بمودته): حيث قال: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[الشورى:٢٣].

(ونقلوا[2] البناء عن رصّ أساسه): إحكام بنائه، والرصُّ: إحكام البناء فلا يزيد بعضه على بعض، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف:٤].

(فبنوه في غير موضعه): حوّلوه إلى غير مكانه الذي وضعه الله فيه، وأقرَّه عليه.

(معادن كل خطيئة): فتطلب الخطايا فلا توجد إلا فيهم، وتفقد إلا عندهم.

(وأبواب كل ضارب في غمرة): أي أنهم لكل من كان في ذهول وغفلة من أمره؛ كالأبواب يدخل فيها من أي باب شاء.

(قد ماروا في الحيرة): مار يمور موراً إذا تحرك واضطرب، أي اضطربوا في تحيرهم في هذه الفتن.

(وذهلوا في السكرة): الذهول: فساد العقل وتغيّره، وهم في ذلك:

(على سُنَّة من آل فرعون): أي هم فيما أتوه من ذلك يشبهون آل فرعون في كل أحوالهم، ثم هم أصناف:

---

(١) في نسخة وشرح النهج: السبب.
(٢) في (أ): وثقلوا، وفي (ب) والنهج: ونقلوا، وما أثبته من (ب) والنهج.

(من منقطع إلى الدنيا راكن[1]**)**: لايخطر على باله شيء من أمور الآخرة فهو راكن إلى الدنيا مطمئن إليها.

(أو مفارق[2] **للدين مباين)**: لا يلتفت إلى شيء من أحوال أبداً.

سؤال؛ من يعني بهذا الكلام، وما مراده منه؟

وجوابه؛ أنه أراد به قوماً كانوا أسلموا، ثم ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وظهرت منهم الكراهة لأهل بيت النبوة فهلكوا بذلك.

(١) قوله: راكن، سقط من (أ).

(٢) في (أ): ومفارق.

(١٤٢) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أمر الفتنة

(وأستعينه على مداحر الشيطان): المداحر: جمع مدحر، وأراد مدافعه التي يدفع بها، من قولهم: دحره إذا دفعه ومنعه.

(ومزاجره): التي تزجره عنا، أي تمنعه أن لايكون له سلطان بالإغواء علينا.

(والاعتصام): الامتناع، ومنه عصام القربة، وهو: ما يمنع الماء عن الخروج منها.

(من حبائله): التي يصطاد القلوب بها.

(ومخاتله): الختل: الخدع والمكر.

([وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له][1]**، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)**: اصطفاه على سائر الخلق بالرسالة.

(ونجيبه): كريمه من بين سائر العالمين.

(وصفوته): مختاره[2] أيضاً من بينهم.

(١) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).

(٢) في (أ): مختار.

(لا يوازى فضله): أي لا يماثل فضله فضل أحد من الخلق.

(ولا يجبر فقده): أي أن فقده عن الدنيا لا يجبر بشيء قط بل هو نقصان وثلم لا ينسدُّ أبداً.

(أضاءت به البلاد): أشرقت أنوارها بنور الإسلام والهداية.

(بعد الضلالة المظلمة): الكفر المسودّ، وإضاءة البلاد، والإظلام بالكفر من باب الاستعارة، كما قال تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[إبراهيم:١].

(والجهالة الغالبة): وهي عبادة الأوثان، وقطع الأرحام، وحصول البدع، والضلالات الكثيرة.

(والجفوة الجافية): بالفتن العظيمة، وقوله: الجفوة الجافية مبالغة [في ذلك][1]، ويقال: لهذا التجنيس[2] المطلق، وقد مرَّ غيرمرة في كلامه.

(والناس يستحلون الحريم): المحرَّم من الفواحش كلها.

(ويستنزلون[3] الحكيم): الفاضل من الأولياء والصالحين، لا يرون لهم قدراً، ولا يَزِنُون[4] عندهم قلامة ظفر.

(يحيون على فترة): انقطاع من الرسل والوحي.

(ويموتون على كفرة): عبادة الأوثان والأصنام، والشرك بالله وغيره.

---

(١) سقط من (ب).
(٢) في (ب): الجناس.
(٣) في نسخة أخرى والنهج: ويستذلون، و في (أ): ويستزلون، وفي (ب) ما أثبته.
(٤) في (أ): ولا يزن.

(ثم إنكم[1] معاشر[2] العرب): منصوب على الاختصاص.

(أغراض بلايا): الغرض: ما يرمى من قرطاس وغيره، والبلايا جمع بلية كرسالة ورسائل.

(قد اقتربت): دنا حصولها وهجومها عليهم.

(فاتقوا سكرات النعمة): عن أن تخرجكم إلى الأشر والبطر، فتُزَالَ عنكم.

(واحذروا بوائق النقمة): البوائق: الدواهي، والنقمة هي: الاسم من الانتقام.

(وتبينوا): خذوا[3] البيان.

(في قتام العشوة): القتام هو: الغبرة، والعشوة هو: ركوب الأمرعلى غير بيان ووضوح.

(واعوجاج الفتنة): لأنها تأتي على غير الاستواء فهي معوجّة.

(عند طلوع جبينها[4]): حدوث أوائلها.

(وظهور كمينها): ما كان منها كامناً أي مستوراً لايؤبه له، ولا يعلم حاله فيحذر منه.

(وانتصاب قطبها): استواء أمرها.

---

(١) في (أ): أنتم.
(٢) في شرح النهج: معشر، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٣) في (ب): تحروا.
(٤) في النهج: جنينها.

(ومدار رحاها): انتظام أحوالها كلها.

(تبدأ في مدارج خفية): المدارج هي: المذاهب، وأراد أن أوائلها تكون في أمور خفية دقيقة مسالكها، وقوله: تبدأ من بدأ في الأمر يبدأ على فَعَلَ يَفْعَلُ بالفتح للعين فيهما إذا شرع فيه، وإنما كان كذلك لأن لامه حرف حلق.

(وتؤول إلى فظاعة جلية): وترجع عاقبتها إلى أمر شديد واضح، من قولهم: فظع الأمر إذا اشتدَّ الخطب فيه وعظم، قال لبيد[1]:

وهم السّقاة إذا العشيرة أُفْظِعَتْ وهمُ فوارسُها وهم حكّامُها[2]

(شبابُها كشباب الغلام): لزيادتها فهي إلى نمو واستعلاء؛ لأن الغلام عند مراهقته للبلوغ يظهرفيه الشباب ظهوراً واضحاً.

(وآثارها): في أهلها وزمانها، يعني الفتنة.

(كأكلام[3] السّلام): جمع سلمة، وهي: الحجارة من شدة كلمها لهم وتأثيرها فيهم، واحدها سَلِمة بكسر اللام، قال:

يرمي ورائي بِامْسَهم وَامْسَلِمه[4]

---

(١) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، أبو عقيل، المتوفى سنة ٤١هـ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ، ويعدُّ من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم، وهو أحد شعراء المعلقات السبع، سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً، وله ديوان شعر مطبوع (معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص ٣٥٧).

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٩٣، وأول البيت هناك:

وهـــم الســـعاة....إلخ

(٣) في (أ) وشرح النهج: كآثار السلام.

(٤) صدره:

ذاك خليلي وذو يواصلني =

(يتوارثها الظلمة): الضمير للدولة، والمعنى اتخذوها وراثة بمنزلة المال الموروث إذا مات واحد خلف عليها آخر.

(بالعهود): أي يعهد هذا إلى غيره عند موته، ويعطيها إياه كأنها تراث أبيه، أو كأن الحكم إليه فيها.

(أولهم قائد لآخرهم): إمام لهم يتّبعونه.

(وآخرهم مقتدٍ بأولهم): تابع له يسلك على أثره ويأتمُّ به.

(يتنافسون): أي[1] يرغبون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين:٢٦].

(في دنيا دنية): حقيرة نازل قدرها.

(ويتكالبون على جيفة مريحة): التكالب: شدة المنازعة، وعظم الشجار، والجيفة: شبح الإنسان عند الموت، والمريحة: ذات الرائحة الخبيثة.

سؤال؛ ما وجه تشبيه الدنيا بالجيفة والرائحة الخبيثة، وكيف استعير لها ذلك؟

وأورده ابن هشام الأنصاري في قطر الندى ص ١١٤ (ش٣٧) ولم ينسبه إلى قائل معين) ويقال: إن الصواب في إنشاده هكذا:

وإن مـولاي ذو يعـاتبني لا إحنة عنده ولا جرمه

ينصرني منك غير معتذر يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

(انظر المصدر السابق من ص ١١٤-١١٥، وفيه شاهد نحوي وهو إبدال الألف واللام ميماً في قوله: بامسهم وامسلمة، وهي لغة حميرية، والأصل: بالسهم والسلمة.

(١) قوله: أي زيادة في (ب).

وجوابه؛ هو أنه لما وصف أهلها بالتكالب عليها، والتهالك في حبها، والحرص عليها وجعلهم بمنزلة الكلاب فيها، ألحق ذلك بما يناسبه، وهي الجيفة المنتنة التي تجتمع الكلاب عليها وتتهارش عند أكلها، وهذا من علم البيان يلقّب بتوشيح الاستعارة، وله موقع عظيم في البلاغة، وهو مما يزيد الكلام حسناً ورشاقة.

(**وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع**): وبعد انقطاع الدنيا على القرب والسرعة، و[1]يصيرون إلى الآخرة تنقطع العُلْقة[2]، ويتبرأ هذا من هذا كما[3] قال تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**﴾[البقرة:١٦٦].

(**والقائد من المقود**): والداعي من المدعو، حتى صار كل واحد منهم منقطعاً عن الآخر غاية الانقطاع.

(**فيتزايلون بالبغضاء**): زيَّلته فتزيل إذا فرَّقته، والمزايلة: المباينة، أي يتزايلون بغضاً وعداوة فيما بينهم.

(**ويتلاعنون عند اللقاء**): هذا يلعن هذا وهذا يلعن ذاك، وإنما قال: عند اللقاء؛ مبالغة في سوء حالهم حيث أقاموا اللعن والأذية فيما بينهم مقام المسرة، والتحية عند المواجهة.

(**ثم يأتي بعد ذلك**): إشارة إلى حالتهم هذه المكروهة.

(**طالع الفتنة**): أولها ومبدأها.

---

(١) الواو، سقط من (ب).
(٢) في نسخة أخرى: الغفلة.
(٣) قوله: كما، سقط من (أ).

(**الرجوف**): التي ترجف القلوب لها، أي تضطرب، ويشتد قلقها خوفاً منها.

(**والقاصمة**): ، من قولهم: قصم ظهره إذا كسره.

(**الزحوف**): الزحف هو: المشي إلى قدام بسرعة ونشاط.

(**فتزيغ قلوب**[1]): تميل عن الدين وتزول عنه.

(**بعد استقامة**): ثبوت كان منهم قبل حصولها.

(**وتضل رجال**): عن سواء[2] السبيل.

(**بعد سلامة**): عن الزيغ والضلال.

(**وتختلف الأهواء**): الخواطر والقلوب فزعاً منها.

(**عند هجومها**): عند وقوعها، والضمير للفتنة.

(**وتلتبس الآراء**): يختلط بعضها ببعض فشلاً وروعة.

(**عند نجومها**): نجم القرن[3] إذا طلع.

(**من أشرف لها قصمته**): خاض في أمرها قطعته.

(**ومن سعى إليها**): بالدخول فيها.

(**حطمته**): والحطم: الكسر، وسميت النار حطمة؛ لكسرها للظهور والعظام.

---

(١) في (أ): القلوب.
(٢) قوله: سواء، سقط من (ب).
(٣) في (ب): القران.

(يتكادمون فيها): الكدم: هوالعض بمقدم الأسنان.

(تكادم الحمير[1]): هذا يكدم هذا، وهذا يكدم ذاك.

(في العانة[2]): القطيع من حمرالوحش بمنزلة الثلة من الناس.

(قد اضطرب معقود الحبل[3]): تلاشى ما أبرم من الأمور المحكمة، والحبل المعقود[4] من أجلها.

(وعَمِيَ وجه الأمر): فلا يهتدى للصواب في أمرها، ولايدرى من أين تؤتى.

(تغيض فيها الحكمة): غاض الماء إذا ذهب، وأراد إما تذهب فيها الآراء المحكمة، وإما تطيش فيها أحلام أهل الحكمة فزعاً منها.

(وتنطق فيها الظلمة): أي ويكون من يتكلم فيها هم الظلمة، وهذا مما يؤيد الاحتمال الثاني في الحكمة.

(وتدقّ أهل البدو): الشطار وأهل السلاح والشجاعة، فإذا كان [هذا][5] حالها في هؤلاء فكيف في غيرهم[6] من أهل الأمصار وغيرهم، ولهذا خص البدو.

---

(١) في شرح النهج: الحُمُر.
(٢) في (أ): الغاية، وهو تصحيف.
(٣) في (ب): الحيل.
(٤) في (ب): والحيل المعقودة.
(٥) زيادة في (ب).
(٦) في (ب): فكيف حال غيرهم.

(بمسحلها): المسحل هو: المبرد، ويقال أيضاً: للخطيب المصقع، ويقال أيضاً: للحمار الوحشي، ومراده ها هنا المبرد، وتدقهم أي تجعلهم دقاقاً[1] كدقاقة الخشب، والحديد إذا برد بالمبرد[2].

(وترضهم): الرضُّ: الدقُّ، يقال: رضَّ النوى إذا دقّه.

(بكلكلها): كلكل الجمل: صدره.

(يضيع في غبارها الوُحدان): أراد أنها لشدتها وعظمها، وفخامة شأنها تبطل في أثنائها أعلام الرجال، الوحدان: الذين كل واحد منهم واحد زمانه وإنسان أوانه.

(ويهلك في طريقها الركبان): فإذا كان حال الركبان فيها الهلاك؛ فكيف حال من يمشي على قدمه، هوأسرع لامحالة إلى العطب والهلاك.!

(ترد): تطلع على أهلها.

(بمُرّ القضاء): بما قد سبق في علم الله تعالى مما تكرهه[3] النفوس، وتمرها من القتل والأخذ والسلب.

(وتحلب عبيط الدماء): دم عبيط إذا كان خالصاً لا يشوبه شيء من الكدورة؛ لما يكثرفيها من القتل، وإراقة الدماء على غير وجهها.

(وتثلم[4] منار الدين): المنار: علم الطريق، وأراد أنها تهدم أعلامه لما يحصل بسببها من الزيغ عنه وإهماله.

---

(١) في (ب): دقا.
(٢) قوله: بالمبرد، سقط من (ب)، وبرد الحديد بالمبرد والبرادة بالضم ما سقط منه (مختار الصحاح ص٤٦).
(٣) في (ب): تكره.
(٤) في (ب): ويثلم.

(وتنقض عقد[1] **اليقين)**: ما أبرم من العقود اليقينية.

(يهرب منها الأكياس): أهل الكياسة من المؤمنين الجامعين لخصال الفضل.

(ويديرها[2] **الأرجاس)**: ويتولى أمرها، ويدبِّرحالها الفسقة من الخلق.

(مرعادٌ مبراق): مبالغة فيما يحصل فيها من شدة الأمر، أخذاً لذلك من شدة الرعد والبرق والصواعق.

(كاشفة عن ساق): هذه الكلمة لا تستعمل إلا في الداهية العظيمة، والأمور المكروهة، كما قال تعالى في وصف القيامة: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[القلم:٤٢] كناية[3] عن عظم الأمر وتفاقمه.

(تقطع فيها الأرحام): الأقارب بالهجران، وترك المواصلة لهم.

(ويفارق عليها الإسلام): أي من كان مجتهداً فيها فقد برئ عن الإسلام، وخلى عنه.

(برينها سقيم): مهزول عن الدين لادين له.

(وظاعنها): الخارج عنها.

(مقيم): واقف عليها، وأراد أن الهارب عنها فهو[4] مقيم فيها

(١) في (أ): عند، وهو تحريف.
(٢) في شرح النهج: ويدبّرها.
(٣) في (ب): وكنى به.
(٤) قوله: فهو، سقط من (أ).

لا ينفعه هربه عنها؛ لا نتشارها وسعتها[1]، أو أن الهارب منها بجسمه وهو مريد لها بقلبه كا لمقيم لا ينفعه الهرب من الخطأ والخطر.

(بين قتيل مطلول): طل الدم فهو مطلول، إذا ذهب هدراً لا ثائر له.

(وخائف مستجير): بغيره لا يأمن وحده فيها.

(يَخْتِلون بعقد الأيمان): من الختل وهو: الخدع، يقال: ختله إذا خدعه؛ لما يظهرونه من التغليظ[2]، والتعقيد في الأيمان الكاذبة جمع يمين.

(وبغرور الإيمان): وبما يأخذون الناس من الغرر بإظهار النسك، والتقشف والعبادة والزهد، وغير ذلك مما يكون من أمارة الدين.

(فلا تكونوا): نهي وتحذير.

(أنصار الفتن[3]**)**: ناصرين لها ولأهلها.

(وأعلام البدع): بمنزلة الأعلام لكل خصلة مبتدعة في الدين تضاد السنة وتخالفها.

(والزموا): أمر وحث.

(ما عُقد عليه حبل الجماعة): فإن يد الله مع الجماعة، وكما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾[آل عمران:١٠٣] وأراد التمسك بالدين وأسبابه.

(١) في (ب): وسعيها.
(٢) في (أ): التغلظ.
(٣) في النهج: أنصاب.

(وبنيت عليه أركان الطاعة): لله ولرسوله؛ فإنها إنما تؤسس على التقوى، والتزام العرى الوثيقة.

(واقدموا على الله): من قولهم: قدم علينا من سفره، وأراد القدوم على القيامة.

(مظلومين): مأخوذة أموالكم مستحلة أعراضكم، فإن الله تعالى يكون هو المنتصف لكم، وكفى به ناصراً لكم[1] ومنتصفاً.!

(ولا تقدموا عليه ظالمين): لأحد من الخلق في عِرْضٍ ولا مال، فيكون الله تعالى هو المنتصف منكم، والآخذ لكم بإجرامكم.

(واتقوا مدارج الشيطان): مذاهبه التي يذهب فيها في الخدع للخلق والمكر بهم.

(ومهابط العدوان): إما المعاداة للخلق، وإما التعدي عليهم، فكله هلاك للدين، وإبطال له.

(ولا تدخلوا بطونكم لُعَق الحرام): اللعقة: ما يلعق أي مأكولاته ومطعوماته، وفي الحديث: «كل مغصوب حرام».

(فإنكم بعين من حرَّم عليكم المعصية)[2]: لا تخفون عليه، وهذه اللفظة من كلماته البديعة القصيرة، التي أنافت على الغاية في وصف الإحاطة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[آل عمران:١٢٠]،

(١) قوله: لكم سقط من (ب).

(٢) بعده في شرح النهج: وسهَّل لكم سبل الطاعة.

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس:١٢]، وكما قال النابغة الذبياني:

وإنَّك كالليلِ الذي هو مُدْرِكِي
وإن خلت أن المُنْتَأى عنك واسعُ[1]

ولقد أجاد فيما قال، ولكنه قاصر عن كلام أمير المؤمنين في المبالغة والرقة، فأما كلام الله تعالى فقد فاق على الكلامين جميعاً لذة وحلاوة، وبهجة وطلاوة.

(١) لسان العرب ٣/٥٦٠.

(١٤٣) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الأئمة

(الحمد لله الدال على وجوده بخلقه): أراد أن الدلالة على وجود الله تعالى هو حدوث الخلق؛ لما قد[١] تقرر في العقول وبدائهها أن المُحدَث، وهو[٢]: الحاصل بعد أن لم يكن فلا بد له من مُحدِث، إذ[٣] يستحيل في العقول أن يكون حاصلاً لا لأمر ولا من جهة مُحدِث، وكيف والعقول شاهدة بأن الواحد منّا لو دخل منزلاً فوجد فيه كوزاً[٤] فيه ماءٌ بارد فإنه يضطر لا محالة أنه لا بد له من واضع، ولا يخالجه في ذلك شك، فكيف ما يشاهده من أحوال العالم العظيمة من اختلاف الليل والنهار، وجري الشمس والقمر، والزروع والفواكه، والغيوم والأمطار، فيضطر لامحالة أنه لا بد لهذه الأشياء من مدبِّر وفاعل، تعالى شأنه وعظم سلطانه.

(وبِمُحْدَثِ خلقه على أزليته): يعني وإذا تقرر أنها مُحْدَثَةٌ وأن لها مُحدثاً فمُحدثُها لا بد من[٥] أن يكون أزلياً، وإلا كان مفتقراً مثلها إلى مُحْدِثٍ يُحدثه، و[في ذلك][٦] تسلسل الأمر إلى غير غاية، وقد تقرر

(١) قوله: قد، سقط من (ب).
(٢) في (ب): هو.
(٣) في (أ): أو وهو خطأ.
(٤) في (ب): يوجد فيه كوز.
(٥) قوله: من، زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.
(٦) سقط من (ب)..

في العقول بطلان وجود حوادث لا أول لها، فإذا بطل ذلك وجب القضاء بقديم لا أول له، وهو الله خالقها ومدبرها.

(وباشتباههم على أن لا شبه[١] له): المكونات الوجودية لا تنفك عن الاشتباه، ثم ذلك الاشتباه لا يخلو حاله إما أن يكون في الجنسية كاشتباه الإنسان والفرس والأسد في الحيوانية، أو يكون الاشتباه واقعاً في النوعية كاشتباه زيد وعمرو، وبكر وخالد في الإنسانية، أو يكون اشتباههما في الكمية والكيفية، وسائر المقولات العرضية، وكل هذه الاشتباهات مستحيلة على الله تعالى، لأنها كلها من توابع الجسمية والعرضية، وهما مستحيلان على الله تعالى، فلهذا قال: بجعله إياها مشتبهة لم يكن مشبها لها، إذ لو أشبهها لكان جسماً أو عرضاً مثلها، وذلك مستحيل عليه.

(لا تستلمه[٢] المشاعر): مشاعر الإنسان: حواسه؛ لأنها طريق للشعور، وهو العلم بمدركاتها كالسمع والبصر، وسائر الحواس فلهذا سميت مشاعر.

(ولا تحجبه السواتر): تغطيه الحجب الكثيفة المانعة عن البصر، والإدراك؛ لأن ذلك لو جاز لكان جسماً يحجب بغيره، وهو مستحيل عليه.

(لافتراق[٣] الصانع والمصنوع): اللام هذه هي لام التعليل، وأراد أن هذه الأحكام من امتناع الإدراك عليه، وامتناع الاشتباه به، وأنه

(١) في (ب): شبيه.
(٢) في (ب): لا تشمله، و في شرح النهج وفي نسخة أخرى: لا تستلمه كما أثبته، وفي (أ): لا تشتمله.
(٣) في (أ): لاقتران، وهو تحريف.

لا تستلمه[1] المشاعر من أجل أنها مصنوعات ومحدثات، ومن حق ما كان مصنوعاً أن يكون مخالفاً لصانعه، فإذا كانت المصنوعات أجساماً وأعراضاً، كانت العرضية والجسمية مستحيلة عليه تعالى.

(والحاد والمحدود): لأنه تعالى هو الذي حدَّ الأشياء، وجعل لها[2] حدوداً تنتهي عندها، وتقف عليها فلا بد من مخالفته لها.

(والرب والمربوب): لأنه إذا كان رباً لها فلا بد من تميزه عنها، وإلا استحالت الربوبية له.

(الأحد): أي الواحد من كل جهة، وعلى كل وجه.

(لا بتأويل عدد): أي[3] وليس معدوداً من جملة الأشياء؛ لأن الواحد أصل للأعداد من حيث كان يبتدأ[4] به في عدد الأشياء، فهو وإن كان واحداً فلا يتناوله العد[5] معها، وإلا لوجب أن يكون من جنسها.

(الخالق): إما الموجد كما تقوله الأشعرية، وإما المقدر كما يقوله أصحابنا المعتزلة[6].

(لا بمعنى حركة ونصب): أراد أنه وإن كان فاعلاً، فإنه في فعله لا يوجده[7] بحركة في نفسه وتعب كما يكون غيره من الفاعلين.

---

(١) في (ب): لاتشمله.
(٢) لها، سقط من (أ).
(٣) الواو زيادة في (ب)، وفي نسخة أخرى.
(٤) في (ب): يبدأ.
(٥) في (أ): العدد.
(٦) في نسخة أخرى: والمعتزلة.
(٧) في (أ): توجده.

(السميع): الحي الذي لا آلة له على ما يقوله المتكلمون، من أن السميع هو الذي يصح أن يدرك عند وجود مدركه، وظاهر كلامه ها هنا أنه لا فرق بين السميع والسامع، وظاهر كلام المتكلمين التفرقة بينهما، والكلام فيه قريب المأخذ.

(لا بأداة): أي لاأذن له فيكون سامعاً بها.

(البصير): إما الذي يصح أن يبصر على ما يزعمه أهل الكلام، وإما المبصر كما هو ظاهر كلامه.

(لا بتفريق آلة): تفريق الآلة ها هنا يعني به كيفية الإبصار، وفيه اختلاف بين المتكلمين، فعلى رأي أصحاب أبي هاشم لابد من تفريق الشعاع وامتداده نحو المرئي، وعلى رأي بعض النظّار من المعتزلة لا بد من الانطباع للمرئي في الحاسة، وعلى رأي الفلاسفة لابد من تكيف الهواء بنور العين في الهواء المتوسط بين العين والمرئي، إلى غير ذلك من الاضطراب في كيفية الإدراك لما تدرك العين، وعلى كل حال فإنه تعالى مبصر لا على هذه الكيفيات؛ لأنها إنما تكون مختصة بالعين، وهو محال في حق الله تعالى، فلهذا قال: (مبصر لا بتفريق آلة) يشير إلى ما قلناه.

(الشاهد): الرقيب على كل شيء، والعالم به، والمختص بحقائقه.

(لا بمماسة): أي أنه وإن علم الأشياء كلها فإنه غير مفتقر إلى مماستها.

(البائن): البعيد عن الأشياء.

(لا بتراخي مسافة): أراد أن كل شيء بان عن شيء آخر غيره

وبَعُدَ عنه، فإن ذلك إنما يكون لمسافة وَبُعْدٍ وتراخي، وبُعْدُه تعالى عن الأشياء ليس كذلك؛ وإنما هو يكون[1] باختصاصه بأوصافه الثابتة له لا غير.

(الظاهر): المنكشف بالأدلة والبراهين، وما خلق من المصنوعات الدالة على ظهوره، وثبوته في الوجود.

(لا برؤية): لأن ظهور الأشياء إنما يكون بالرؤية لها[2]، وهو تعالى مخالف لها فيظهربالعلم، ولا يرى بالحاسة لاستحالتها عليه؛ لأنه لا بد فيها من المقابلة، وهي مستحيلة عليه.

(الباطن): أراد إما العالم ببواطن الأشياء، وخفياتها وسرائرها، وإما الباطن عن إدراك الأبصار فلا تدركه.

(لا بلطافة): بمعنى[3] أنه وإن كان باطناً؛ فليس لطفه[4] من أجل أنه أصغر المقادير وأرقُّها[5]، كالجزء الذي لا يتجزَّأ، أو كالأشياء[6] اللطيفة، كالهباء[7] فإنها وإن كانت لطيفة لكنها أجسام، ويستحيل كونه جسماً.

(بان من الأشياء): تميَّز عنها وخالفها.

---

(١) قوله: يكون، زيادة في (ب).

(٢) في (أ): بها.

(٣) في (ب): يعني.

(٤) ظنن عليها في (ب) بقوله: كونه باطنا.

(٥) في (ب): وأدقها.

(٦) في (ب): أو كالأجسام.

(٧) الهباء: الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس. (مختار الصحاح ص٦٨٩).

(بالقهر لها): بأن قهرها وكانت مطيعة له، واقفة على حسب إرادته، وعلى وفق داعيته.

(والقدرة عليها): بالإيجاد، والإنشاء، والاختراع.

(وبانت الأشياء[1] منه): وكانت متميزة عنه على خلاف ذلك ونقيضه.

(بالخضوع له): الاستصغار لأمره، والتذلل له.

(والرجوع إليه): في الابتداء لها، والانتهاء منها، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[هود:١٢٣]، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[الشورى:٥٣].

(مَنْ وَصَفَهُ): بالصفات التي تؤذن بالجسمية كالحصول في الجهة والكون فيها[2]، أو تكون ذاته محلاً للأعراض، أو بالصفات التي تؤذن بالعرضية نحو حلوله في محل، أو غير ذلك من صفات الأجسام والأعراض.

(فقد حدَّه): لأنه إذا كان بهذه الصفات صار محدوداً لا محالة، له غاية وله نهاية، وشكل ومقدار، وانحصار وتعدد.

(ومن حدَّه): جعل له حداً بما ذكرناه.

(فقد عدَّه): جعله واحداً من هذه الأشياء المحدثة، وجعله مجانساً لها كمجانسة بعضها لبعض.

(ومن عدَّه فقد أبطل أزله): لأنه إذا صار مجانساً لها مشاكلاً لماهياتها

---

(١) قوله: الأشياء، زيادة من شرح النهج.

(٢) بعده في (ب): أو تكون فيها.

فقد صار مثلاً لها، فإذا كانت مُحدَثة كان مُحْدَثاً مثلها، وفي ذلك بطلان كونه أزلياً، فقد ظهر مصداق مقالته بهذا التقرير الذي ذكرناه.

(ومن قال: كيف): أي ومن سأل عنه بالكيفية فقال: كيف هو؟

(فقد استوصفه): إما طلب الوصول إلى كنه حقيقته وهو محال، وإما طلب أن يكيِّفه بشيء من هذه الكيفيات المحدثة الحسية[1]، وكله غير لائق بذاته.

(ومن قال: أين): أي ومن سأل عنه بالأينية، فقال: أين هو؟

(فقد حيّزه): أي جعله مختصاً بالحيز، والمكان والجهة؛ لأن أين سؤال عن جهة.

(عالم): في الأزل بالحقائق كلها التي هي بلا نهاية فإنه سيوجدها، وأنها ستكون[2] بتكوينه.

(إذ لا معلوم): موجود، لأن الأوقات[3] الأزلية يستحيل حدوث حادث فيها.

سؤال؛ المعلوم من حقيقة كون العالم عالماً، فكيف[4] أثبته عالماً، وأبطل معلومه؟

وجوابه؛ الأمر على ما قلته فإنه يستحيل في العقل عالم ولا معلوم هناك، وإنما أراد بالمعلوم في الأزل الأمور الموجودة؛ لاستحالة وجودها

---

(١) في (ب): الجسمية.
(٢) في (أ): وأنه سيكون.
(٣) في (ب): أوقات.
(٤) في (ب): وكيف.

كما ذكرناه، فأما أن يكون مراده إثبات عالم ولا معلوم هناك مطلق فقدره أشرف وأعلا من أن يقصد ذاك، وكيف وهو شيخ الصناعة الكلامية، واستاذ هذه العلوم الإلهية، في فنائه كان محط رحالها، وعليه كان تعويل[1] رجالها.

(وربٌّ): مالك للخلائق[2] كلها وإله لهم.

(إذ لا مربوب): يعني أنه مستحق للربوبية، والإلهية في الأزل، ولا مربوب هناك يوجد لاستحالة وجوده.

(وقادر): موصوف بالقادرية ومن حيث كانت قادريته هي ذاته وذاته حاصلة في الأزل، فلهذا حكمنا عليه بالقادرية في الأزل.

(إذ لا مقدور): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد إذ لافعل هناك في الأزل؛ لا ستحالة وجوده هناك.

وثانيهما: أن يريد أنه لا مقدور هناك؛ لأن من حق المقدور أن يكون[3] مما يصح إيجاده، ويكون ممكناً، وهذا غير حاصل في الأزمنة الأزلية فإنه لا يصح فيها حدوث حادث أصلاً، وفيه بحث دقيق يليق بالمقاصد الكلامية، وقد ذكرناه[4] بالكتب العقلية، وأنهينا فيه القول نهايته.

(قد طلع طالع): أراد بذلك ظهور رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) في (ب): يعول.
(٢) في (ب): للخلق.
(٣) في (ب): أن يكون ما يصح مما يصح إيجاده.
(٤) في (أ، ب): ذكرنا، وما أثبته من نسخة أخرى.

(ولمع لامع): بالخير والإرشاد إلى طريق الهداية.

(ولاح لائح): بمعالم الدين، وأحكام الشريعة.

(واعتدل مائل): أراد واستقام به من الدين ما كان مائلاً لولاه بتوحيد الله دون عبادة الأوثان، وبعبادته دون الإشراك بغيره، ولا اعتدال أعظم من هذا.

(واستبدل الله قوماً بقوم)[1]: بالمؤمنين عن[2] الكافرين، وبأهل الجاهلية أهل الشريعة المحمدية، وبمن عبد الطاغوت والأوثان من وحدَّ الله وعبد الرحمان.

(وبيوم يوماً): أيام الجاهلية وبدعها، أيام الإسلام وسننها، أوبأيام النيروز والسعانين[3] يوم الجمعة وأيام العيدين، أوبيوم عاشوراء شهر رمضان.

(وانتظرنا الغير): أراد بأهل مكة في أول زمان النبوة فإنهم كانوا يومئذ في ضيق وضنك منهم، ومشقة من علاجهم، فانتظروا بهم غِيَر الدهر وتقلباته فأدال[4] الله منهم وصغَّرهم، وأذلَّهم بالإسلام.

---

(١) في (ب) و شرح النهج: واستبدل الله بقوم قوماً.

(٢) في (ب): غير.

(٣) النيروز لفظ معرَّب وأصله فارسي وهو يعني أول يوم من السنة (وانظر القاموس المحيط ص٦٧٧)، والسعانين: عيد للنصارى وهو سرياني معرَّب، قال ابن الأثير في النهاية ٣٦٩/٣ ما لفظه: وفي حديث النصارى: ((ولا يخرجوا سعانين)) وهو عيد لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع وهو سرياني معرَّب، وقيل: هو جمعٌ، واحدُه سعنون. انتهى.

(٤) في (أ): فادل.

(انتظار المجدب المطر): فإن انتظاره له انتظار حاجة، والفرج يكون أكثر.

(وإنما الأئمة قوام الله على خلقه): يستقيم بهم أمر الله تعالى ونهيه، ويمضي بهم أحكام الشريعة، ويؤخذ بهم للضعيف من القوي، ويتقوى بهم الإسلام والدين قوة ظاهرة، ومن ثمَّ عظم أمرهم عند الله، وكانوا عنده في أعلى المراتب، وفي الحديث: ((السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مطرود ملهوف))[1].

(وعرفاؤه على[2] عباده): العريف هو: الرئيس لكل جماعة، وفي الحديث: ((لكل قرية عريف، والعرفاء في النار))[3].

(لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه): يشير بذلك إلى أن نصب الإمام واجب على المسلمين، فإنه يجب عليهم طلبه والاهتمام بأمره، ويجب عليهم معرفته لما عليهم فيه من التكاليف العظيمة، من نصرة الدين والجهاد معه لأعدائه، فمن قام بهذه الواجبات كان مستحقاً للجنة لا محالة.

(ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه): أراد أنهم إذا لم ينظروا في وجوب نصب الإمام أويكون قائماً، ولا ينصرونه ويعضدونه[4]، ولا يعرفون حاله، فإن ذلك يكون منهم تركاً لما وجب عليهم، ويحصل لهم الإثم[5] في ذلك، فلا يمتنع استحقاقهم للنار بذلك إذا كان عند الله كبيرة.

---

(١) رواه في مجمع الزوائد ١٩٦/٥، ومسند الشهاب ٢٠١/١، وشعب الإيمان للبيهقي ١٦/٦.

(٢) قوله: على، سقط من (أ).

(٣) رواه في مجمع الزوائد ٢٣٤/٥، وسنن البيهقي الكبرى ٣٦١/٦، وسنن أبي داود ١٣١/٣، ومصنف ابن أبي شيبة ٣٤٢/٥.

(٤) في نسخة أخرى: ويقصدونه.

(٥) في (ب): ويحصل بهم الألم.

(وإن الله خصهم بالإسلام): بإظهار أحكامه، وتقوية قواعده، وتأسيس أركانه، والنصرة له، والذب عنه[1]، والجهاد لأعدائه.

(واستخلصهم له): إما اختصهم الله لنفسه بأن أكرمهم ورفع درجاتهم عنده، وإما اختصهم للإسلام وجعلهم أمناء عليه، وكل ذلك عناية من الله لهم في كلتا الحالتين، يقال: استخلص هذا لنفسه إذا كان مختصاً به[2].

(وذلك): إشارة إلى الاستخلاص.

(لأنه اسم سلامة): الضمير للإسلام، أراد أن اشتقاق الإسلام من السلامة فسمي إسلاماً[3] من أجل ذلك.

(وجماع كرامة[4]): الجماع: ما ضمَّ أعداداً متفرقة، محمودة كانت أو مذمومة، كما ورد في الحديث: «الخمر جماع الإثم»[5] أي أنه جامع لخصال كريهة.

(اصطفى الله منهجه): اختار الله طريقه فجعلها من أيمن الطرق وأوضحها، وجعل أسبابه أقوى الأسباب وأوضحها.

(١) في (أ): منه، وفي (ب): عنه، وما أثبته من (ب).
(٢) قوله: به، سقط من (أ).
(٣) قوله: إسلاماً، سقط من (ب).
(٤) في (أ): وجماع إكرامه.
(٥) رواه في مسند شمس الأخبار ١٩٠/٢ وعزاه إلى مسند الشهاب، ورواه في نهاية ابن الأثير ٢٩٥/١، ومصنف ابن أبي شيبة ١٠٦/٧، ومسند الشهاب ٦٦/١، والزهد لهناد ٢٨٦/١، وأورده في موسوعة أطراف الحديث ٦٦٩/٤ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٥٤١/٨، ومشكاة المصابيح للتبريزي (٥٢١٢)، والدر المنثور للسيوطي ٢٢٥/٢، والترغيب والترهيب للمنذري ٢٥٧/٣، وكشف الخفاء للعجلوني ٤٦٠/١.

(وبيّن حججه): أظهرها وأوضحها للناظرين في صحتها واستقامتها، وجعله على وجهين:

(من ظاهر علم): أي علم ظاهر لا يحتاج إلى نظر واستدلال.

(وباطن حكم): أي وحكمة باطنة تحتاج إلى استثارة بدقيق[1] الأنظار وخفيها.

(لا تفنى غرائبه): أسراره ومعانيه الغريبة.

(ولا تنقضي عجائبه): أحكامه العجيبة، ومراتبه العالية، ومنازله الشريفة.

(فيه مرابيع النِّعم): المرباع هو: الربع، والمعشار هو: العشر، ولم يرد في الأعداد على هذا البناء سواهما، وجمعه مرابيع هكذا، قال قطرب[2]: وأحسب أن مراد أمير المؤمنين اشتقاقه من الربيع، وهو أحسن أيام السنة، والمربع هو: منزل القوم في الربيع.

قال لبيد:

رزقت مَرَابِيعَ النجوم وصابُها ... وَدَق الرواعد جودُها ورهامُها[3]

(١) في (ب): استثاره لدقيق.
(٢) هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، المتوفى سنة ٢٠٦هـ، نحوي عالم بالأدب واللغة من أهل البصرة من الموالي، وهو أول من وضع المثلث في اللغة، وقطرب لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه، وله تصانيف منها: معاني القرآن، والنوادر، والأزمنة وغيرها (انظر الأعلام ٩٥/٧).
(٣) في شرح المعلقات السبع للزوزني: فرهامها، انظر البيت فيه ص ٧٣. ومرابيع النجوم: الأنواء الربيعية، وهي المنازل التي تحلها الشمس فصل الربيع، الواحد: مرباع، والصوب: الإصابة، والودق: المطر، والجود: المطر التام العام، والرهام: جمع رهمة وهي المطرة التي فيها لين (راجع المصدر المذكور).

وأراد أنه أفضل النعم كما أن الربيع أفضل أيام السنة.

(**ومصابيح الظلم**): جمع مصباح، وهو: السراج.

(**لا تفتح الخيرات إلا بمفاتحه**[1]): جمع مفتح، أي أن الأعمال الصالحة لا يمكن تحصيلها إلا به من حيث كان أصلاً لها، وقاعدة لمهادها.

(**ولا تكشف الظلمات إلا بمصابحه**[2]): جمع مصبح، وأراد أن الظلمات الكفرية لا يمكن إزالتها وإبعادها إلا بالتلبس به واستعماله.

(**قد أحمى**[3] **حماه**): أي جعله الله حمىً لا يمكن استباحته[4] لأحد، وفي الحديث: «لا حمى إلا لله ولرسوله»[5].

(**وأرعى مرعاه**): أي جعله مرعى ينعم فيه أهله، من أهل الدين والتقوى.

(**فيه شفاء المشتفي**): أي الشفاء لمن اشتفى به من كل داء يصيبه.

(**وكفاية المكتفي**): أي وكفاية لمن استكفى به عن غيره من الأديان.

واعلم: أن كلامه في هذه الخطبة فيه دلالة على وجوب نصب الأئمة،

(١) في (أ): بمفاتيح، و في شرح النهج: بمفاتيحه.
(٢) في شرح النهج: بمصابيحه.
(٣) في (أ): حما.
(٤) في (أ): استساحته.
(٥) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٢٤١/٧، وعزاه إلى عدة مصادر منها: مسند أحمد بن حنبل ٧١/٤، ٧٣، والسنن الكبرى للبيهقي ١٤٦/٦، ومصنف ابن أبي شيبة ٣٠٣/٧، والمعجم الكبير للطبراني ٩٥/٨، وسنن الدارقطني ٢٣٨/٤ وغيرها.

ولا خلاف في وجوبه إلا ما يحكى عن شذوذ لا عبرة بهم، مسبوقون بالإجماع، وإنما الخلاف في طريقها، فقائل: بالعقل، وقائل: بالشرع، وقائل: بهما جميعاً، ولا خلاف بين من أوجبها أنها واجبة بالشرع، وأقوى برهان على ذلك من جهة الشرع، هو أن الصحابة رضي الله عنهم تركوا ماهو الأهم من دفن رسول الله، وغسله وأبكروا[1] إلى السقيفة، ثم أقبلوا على الاشتوار فلولا فهمهم لوجوب ذلك، وحرجهم بتركه لما فعلوا ذلك، فهذا دليل قاطع على وجوب نصبه لا محالة.

(١) حاشية في (ب) لفظها:
لكنه يقال: لادلالة فيما فعله أهل السقيفة من الإبكار والمسارعة إليها؛ لأن ذلك من بعض الصحابة، وفعل البعض ليس بحجة، وإنما الحجة من حيث اتفق كل الصحابة من حضرها ومن لم يحضرها على أنه لابد من إمام، فأما إيثار أهل السقيفة العقد لأبي بكر على دفن رسول الله ﷺ فلا كرامة، وأمير المؤمنين (عليه السلام)- اشتغل بتجهيز رسو الله ﷺ، فلو كان ما فعله أهل السقيفة هو الصواب لبادر إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)-، فتدبر إن كنت ممن يتدبر، وإلى الله المصير في يوم المحشر. تمت.

(١٤٤) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها الآخرة

(وهو في مهلة من الله): إمهال نفَّسه الله له، وهو تأخر الأجل وامتداده، وأراد ابن آدم.

(يهوي): هَوِي بالكسر يهوى بالفتح، إذا أحبَّ، وهوى بالفتح يهوي بالكسر إذا سقط أو سار، وأراد ها هنا أنه يسير:

(مع الغافلين): عن الله وعمَّا يتوجه من الطاعة له.

(ويعدو): بالعين، والغين[1] كلاهما وسماعنا بهما، وأراد أنه ينتقل.

(مع المذنبين): الجامعين للذنوب، الحاملين لها على ظهورهم فهو على هذه الحالة ينقلب:

(بلا سبيل قاصد): من غير أن يسير على طريق عادلة.

(ولا إمام قائد): له إلى الخير، والتزام أمر الله وطاعته.

(حتى إذا كشف لهم): حتى هذه متعلقة بمحذوف تقديره: فهم مستمرون على ما هم عليه من المخالفة حتى إذا ظهر لهم من الله.

(عن جزاء معصيتهم): من العقاب في الآخرة.

(١) فبالعين كما هو مثبت، وبالغين أي يغدو.

(واستخرجهم من جلابيب غفلتهم): جلابيب: جمع جلباب، وهو رداء غامر لمن ارتدى به، وأراد أن الله استخرجهم مع شمول الغفلة لهم في الدنيا، وانهماكهم في الذهول عمَّا يراد منهم فيها.

(استقبلوا مدبراً): إما أقبلوا إلى الدنيا مع إدبارها عنهم، وإما استقبلوا ندامة غير نافعة لهم الآن.

(واستدبروا مقبلاً): إما الآخرة أعرضوا عنها مع إقبالها، وإما تركوا الأعمال الصالحة مع تمكنهم من فعلها في الدنيا.

(فلم ينتفعوا بما أدركوا من طَلِبَتِهم): الطَلِبَة هي: الطلب، وأراد أنهم فيما أحرزوه من اللذات في الدنيا ما عادت عليهم بنفع.

(ولا بما قضوا من وطرهم): الوطر: الحاجة، أي ولا نفعهم ما قضوه من أوطارهم فيها؛ لفوات ذلك من أيديهم، وانقطاعه الآن عن أنفسهم.

(وإني أحذركم ونفسي هذه المنزلة): قدَّم في التحذير أنفسهم جرياً على عادته في المبالغة في النصيحة، وإبلاغ الموعظة، وعنى بهذه المنزلة ما أصبحوا فيه من انقطاع الدنيا ولذتها، وبقاء تَبِعَتِها، وإقبال الآخرة وثواب نعيمها، فنعو ذ بالله من الخذلان، وخسارة الأنفس.

(فلينتفع امرؤ بنفسه): ينفعها بالإقبال على ما يكون فيه إحراز الآخرة، والفوز بها.

(فإنما البصير): إما العاقل لأنه ذو بصر، وإما المبصر بعينيه[1] العظات.

(١) في (ب): بعينه.

(من سمع): هذه المواعظ، أو[1] أخبار الأولين من القرون الخالية.

(فتفكر[2]): فيها وفي عاقبة أمره، وما يؤول إليه حاله.

(ونظر): بقلبه في الأمور أو تأمل بعينيه[3] إلى تصرفات الدهر، وتقلباته بأهله.

(فأبصر): إما استبصر بعقله، أو أبصر[4] بعينيه.

(وانتفع بالعبر): جمع عِبْرة، وهو ما يراه من هذه المواعظ فإنها نافعة لمن اتعظ بها وتذكَّر[5] لمن أقبل عليها بقلبه.

(ثم سلك جدداً): طريقاً مستوياً.

(واضحاً): جلياً من مسالك الهدى، وطرق السلامة عن الهلاك والردى.

(يتجنب فيه الصرعة في المهاوي): جمع مَهْواة، وهي: الحفرة العميقة.

(والضلال في المغاوي): جمع مَغْواة، من قولهم: غوى عن الطريق إذا لم يهتد لصوابها وسلوكها، وغرضه من هذا كله هو الاستقامة[6] على الدين واتباع آثاره.

(ولم يعن على نفسه الغواة): أي أن السلامة إنما تكون بفعل

(١) في (ب): وأخبار.
(٢) في (ب): فيفكر.
(٣) في (ب): تقلبه في الأمور أو قابل بعينيه على تصرفات الدهر وتقلباته بأهله.
(٤) في (ب): أو أدرك بعينه.
(٥) في (ب): وتذكرة.
(٦) في (ب): استقامة.

ما ذكرناه، وبأن لا يكون عوناً لمن كان غاوياً، حائداً عن الطريق من الخلق، على نفسه بأفعال يفعلها إما:

(بتعسف في حق): بالعدول عن الحق، إما بأخذ حق غيره، وإما بالزيادة على حقه فيكون ظالماً في الحالين جميعاً.

(أو تحريف في نطق): كذب، إما في شهادة زور[1]، وإما يقول على الغير مالم يفعل[2].

(أو تخوف من صدق): أو يخاف خوفاً من الصدق فيدعوه ذلك إلى الكذب على الله، أو على رسوله، أو على المؤمنين فارتكاب هذه الخصال كلها مُعِيْنَةٌ لا محالة للغواة على النفس بإهلاكها.

(فأفق أيها السامع عن[3] سكرتك): لهذه المواعظ الشافية عن سكرة الغفلة.

(واستيقظ عن[4] غفلتك): اطلب اليقظة عن الإعراض بالتغافل عمَّا حذّرت منه.

(وأنعم الفكر[5]): من قولهم: نَعُمَ الشيء بالضم يَنْعَمُ نُعُوْمَةً إذا صار ناعماً ليناً، وأراد استقامة الفكر والتحذير عن الزلل فيه؛ فإنه كثير ما يعرض، ومن ثمَّ عظم الخطأ لسائر الفرق إلا من وفق الله وعصمه.

(١) في (ب): الزور.
(٢) في (ب): يقل.
(٣) في شرح النهج: من.
(٤) في (ب) وشرح النهج: من.
(٥) بعده في شرح النهج: واختصر من عجلتك.

(**فيما جاءك على لسان النبي الأمي**): من الحكم والمواعظ والإخبار عمَّا كان وعمَّا هو كائن في الكتاب والسنة، فإنهما كلاهما مأخوذتان عنه.

(**مما لا بد منه**): من الأرزاق والآجال والأمورالكائنة.

(**ولا محيص عنه**): من الأقضية والمقادير.

(**وخالف**): جانب.

(**من خالف ذلك**): واتبع خلافه، وعدل عنه.

(**إلى غيره**): فإنه باطل لا ثمرة له ولا طائل تحته.

(**ودعه وما رضي لنفسه**): من ذلك، وهذا فيه دلالة على وجوب الالتفات إلى صلاح الإنسان لنفسه، ووجوب إصلاح الخلق؛ إنما هو على طريق الكفاية، كما قال تعالى: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾[المائدة:١٠٥].

(**وضع فخرك**): افتخارك على الناس، فإن الفخر كله في تقوى الله دون غيره، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[الحجرات:١٣].

(**واحطط كبرك**): تكبرك وتعاليك على الناس، وفي الحديث: «ما من آدمي إلا وفي رأسه حَكَمَة[1] بيد ملك، فما تواضع إلا رفعه، ولا تكبر إلا وضعه».

(١) الحَكَمَة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه، تمنعه عن مخالفة راكبه (النهاية لابن الأثير١/ ٤٢٠)، والحديث في نهاية ابن الأثير، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف٩/ ٢٢٥ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٨/ ٣٥١، ٣٥٤، وكنز العمال برقم (٥٧٢٩) و(٥٧٤٣).

(**واذكر قبرك**): وحشته، وظلمته، وروائحه، ودوده، وبلاه وعظائمه.

(**فإن عليه ممرك**): بكرة وعشياً في الأرض، وعن قريب وأنت كائن فيه ومُضَمَّنٌ إياه.

(**وكما تدين تدان**): تجازي تجازى، أي كما تفعل من خيرأو شر يفعل بك مثله، قال تعالى: ﴿**أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾[الصافات:٥٣] أي مجزيون محاسبون.

(**وكما تزرع تحصد**): فمن يزرع الشر يحصد الندامة، ومن يزرع المعروف يحصد الكرامة.

(**وما قدمت اليوم**): من عمل سيء، أو حسن في الدنيا.

(**تقدم عليه غداً**): على جزائه في الآخرة من ثواب أوعقاب.

(**فامهد لقدمك**): مهَّد المكان إذا وطَّأه، أي وطِّئ الأرض لتستقر قدمك عليها كيلا يعظم عثارك، وهو مجاز ها هنا في الأعمال الصالحة.

(**وقدم ليومك**): أراد وقدم أعمالك من أجل يومك الذي توعد به وهو يوم القيامة.

(**فالحذر الحذر**): إغراء بالتحذير في الأمور كلها، وانتصابه بإضمار فعل أي الزم الحذر.

(**أيها السامع**): لما قلته[1] من هذه المزال[2] المردية والوقوع فيها.

(١) في (ب): قبله.
(٢) المزال جمع المزلّة بفتح الزاي وكسرها المكان الدحض وهو موضع الزلل. (مختار الصحاح ص٢٧٤).

(**والجدَّ الجدَّ**[1]): جدَّ[2] في الأمر إذا بالغ فيه، واهتم بحاله أي الزم الجدّ[3].

(**أيها الغافل**): عمّا يراد به من ذلك.

سؤال؛ أراه ها هنا خصَّ السامع بالتحذير، وخصَّ الغافل بالجدِّ، فما وجه التفرقة بينهما، وكل واحد منهما يحتاج إلى الحذر والجدِّ فيما هما[4] بصدده؟

وجوابه؛ هو أن إغفال الموعظة بعد سماعها إعراض عنها، وترك لها بعد وجوب الحجة عليه بها، فلهذا خصَّه بالحذر لما فيه من مزيد المبالغة في التحرز عن ذلك، بخلاف الغافل عن سماعها، فإنه لا محالة أقلّ جرماً لمَّا لم تجب عليه الحجة بسماعها، فلهذا خصَّه بالجدِّ في إزالة الغفلة والتحفظ عنها.

(**﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾**): عن هذه اللطائف، ويكشف عن هذه الأسرار البديعة.

(**﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾**[فاطر:١٤]): بها، عالم بحقائقها وتفصيلاتها، ولله درُّ أمير المؤمنين فما أشفى مواعظه [وأجلاها][5] لصدأ القلوب، وأعظم إزالتها لتطخية[6] الخواطر.

(**إن من عزائم الله**): عزم الأمر إذا قطعه، ولم يتردد فيه، قال الله تعالى: **﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾**[طه:١١٥] أو من واجباته التي أوجبها.

(١) في (أ): والحذر الحذر، وما أثبته من (ب)، ومن النهج.
(٢) في (أ): حذر.
(٣) في (أ): الحذر.
(٤) في (ب): هو.
(٥) زيادة في (ب).
(٦) الطخية: الكرب على القلب، والطخياء: الليلة المظلمة. (انظر القاموس المحيط ص ١٦٨٤).

(**في الذكر**[1] **الحكيم**): الكتاب المحكم المتضمن للحكم، أو السالم عن الزلل والقبيح[2].

(**التي عليها يثيب**): يعطى ثوابه.

(**وعليها يعاقب**): يكون عقابه في الآخرة.

(**ولها يرضى ويسخط**): يكتب رضاه وسخطه.

(**أنَّه لاينفع عبداً**): أن هذه هي[3] المفتوحة، وهي وصلتها في موضع رفع على الابتداء فلما دخلت أن كانت منصوبة بها، وعبداً منصوباً على المفعولية.

(**وإن أجهد نفسه**): بفعل الأعمال الصالحة وأتعبها بذلك وأنصبها.

(**وأخلص فعله**): عن كل ما يشوبه من الرياء وسائر المحبطات له.

(**أن يخرج من الدنيا لا قياً ربه**): أن هذه في موضع رفع على الفاعلية لقوله: ينفع.

(**بخصلة من هذه الخصال**): واحدة من هذه الكبائر.

(**لم يتب منها**): يكون نادماً على فعلها في الدنيا، لأن الندم والتوبة لا معصية معهما، وهما يمحوان كل كبيرة كفراً كانت أو فسقاً.

(**أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته**): أن في موضع جر بدلاً

(١) في (ب): في الذكر، كما أثبته وفي (أ): والذكر.
(٢) في (ب): والتنبيح هكذا وهو غامض.
(٣) هي، سقط من (ب).

من قوله: (بخصلة[1] من هذه الخصال) لأنه بيان له، أو عطف بيان عليه، ولهذا معنيان:

أما أولاً: فيريد الشرك بعبادة غير الله من وثن أو صنم.

وأما ثانياً: فيريد بالشرك الرياء بالعبادة فإنه يكون شركاً، لأنه إنما يفعل [من][2] تلك العبادة من أجل الغير فقد أشرك غير الله في عبادة الله؛ بأن فعلها لمكانه[3] كالعابد لغير الله.

(أو يشفي غيظه[4] بهلاك نفس[5]): كأن يقتل من لا جرم [له][6] تشفياً للغيظ ومساعدة للنفس في ذلك.

(أو يقر بأمرٍ فَعَلَه غيره): كأن يقول: أنا قتلت فلاناً، وهو يعلم أن غيره قتله فيقتل به، فيكون كالقاتل لنفسه بذلك لما كذب على نفسه.

(أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهاربدعة): أو تكون له حاجة إلى غيره لأفناء الناس فيطلب نجاحها من جهته، فلايمكنه ذلك إلا بإظهار بدعة في الدين وارتكابها.

(في دينه): نحو تبديل دينه بالخروج إلى غيره أو ارتكاب فسق لا خلاف في كبره، أو يدعو إلى بدعة يكون فيها ترك للسنة وإبطال لها.

(١) في (أ): خصلة.
(٢) سقط من (ب) وفي نسخة أخرى: إنما فعل من تلك..إلخ.
(٣) في (ب): لمكان غيره.
(٤) في (أ): عطفه، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من (ب) والنهج.
(٥) في (أ): نفسه.
(٦) في (أ): لا، وهو تحريف.

(أو يلقى الناس بوجهين): يحسِّن إلى هذا ما فعله من القبيح، ويقبِّح إلى هذا مافعله من الحسن، خدعاً ومكراً وتمرداً.

(أو يمشي فيهم بلسانين): يبلِّغ إليك من صديقك ما تكره سماعه منه، ويبلِّغ إلى عدوك فيك ما يحب سماعه منه، فهذه الخصال كلها مهلكة للدين قاطعة له، وظاهر كلامه ها هنا أنها كبائر؛ لأنه جعلها مع الشرك بالله، ولا يقرن بالكبيرة صغيرة[1] ليس مثلها؛ لأنه قال: لا ينفع معها شيء من الأعمال، ولن يكون الأمركما قال إلا وهي كبائر مهلكة لمن ارتكبها، لا شك في ذلك.

(اعقل ذلك): أي افهمه وتدبره؛ فإن من ذكرناه لك ممن هلك أو نجا بأفعاله مماثل لك ومشابه، فخف مما خافوه من ذلك، وارجُ ما كانوا يرجونه منه.

(فإن المِثْلَ دليل على شبهه): فلما بينهما[2] من علقة المشابهة كان دليلاً عليه.

(إن البهائم همُّها بطونُها): لا همَّ لها في شيء من الأمور إلا قضاء أوطارها من الشهوات من الأكل والشرب، وحطَّ عنها ما سوى ذلك.

(وإن السباع همُّها العدوان على غيرها): لا همَّ لها سواه لما خلقت عليه من الضراوة، وشكس الخلقة، فطبعها التعدي على غيرها كالأسد فإن همَّه الافتراس، وهكذا سائر السباع.

(١) في (أ): ولا يقرن بالكبيرة والصغيرة وليس مثلها.
(٢) في (ب): فلما وجد بينهما...إلخ.

(وإنَّ النساء همُّهُن زينة الحياة الدنيا): ولهذا قال صلى الله عليه وآله: «النساء حبائل الشيطان»[1]، وفي حديث آخر: «ما خلفت على أمتي أضر من النساء»[2]، ولقد صدق من قال[3]:

يُـرِدْنَ ثـراءَ المـالِ حيـثُ عَلِمْنَـهُ
وَشَـرخُ الشـبابِ عندهـنَّ عجيـبُ
إذا شـابَ رأسُ المـرءِ أو قـلَّ مالُـه
فلـيس لـه في ودِّهـنَّ نصيـبُ

فلا غرض لهنَّ إلا ما كان من زينة الدنيا، ومتاعها وغرورها.

(والفساد فيها): إما بالدعاء إلى أنفسهنَّ بالفجور والزنا، وإما بالدخول في الأطماع والمكاسب الخبيثة رغبة فيهنَّ، وإما من أجل تهييج الحرب[4] بدعائهن، فالفساد في الدين يدخل من هذه الأوجه وغيرها.

(انَّ المؤمنين مستكينون): خاضعون ذليلون، من الاستكانة وهي: الذلة لربهم.

---

(١) الحديث في مصنف ابن أبي شيبة ١٠٦/٧، ومسند الشهاب ٦٦/١، والزهد لهناد ٢٨٦/١، وأورده في موسوعة أطراف الحديث ١٠١/١٠، وعزاه إلى الترغيب والترهيب للمنذري ٢٥٧/٣، وكشف الخفاء ٤٣٦/٢، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ٩٦/٣.

(٢) الحديث بلفظ: «ما تركت على أمتي بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» في موسوعة أطراف الحديث وعزاه إلى مصنف ابن أبي شيبة ٦٥/١٥، والدر المنثور للسيوطي ١٨٠/٤، وتفسير ابن كثير ١٣٩/٥، قلت: وهو في صحيح مسلم ٤ رقم (٢٠٩٨)، والبخاري ٥ رقم (١٩٥٩)، وصحيح ابن حبان ٣٠٦/١٣، ٣٠٨، وسنن الترمذي ١٠٣/٥.

(٣) هو علقمة الفحل، وقد سبقت ترجمته.

(٤) في نسخة أخرى: الحزن.

(انَّ المؤمنين مشفقون): خائفون لله وجلون منه.

(انَّ المؤمنين خائفون): لعذاب الله وأليم سخطه.

سؤال؛ إنَّ المؤكدة إذا تكررت مصدَّرة في أول الجمل، فقد تأتي بالواو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الأعراف:١٦٧] وقد تأتي بغير واو، كما قاله ها هنا في هذه الجمل، فهل بينهما[1] تفرقة؟

وجوابه؛ هو أن الواو إذا جاء ت فإنها دالة على الجمعية، وإن لم يُؤْتَ بها كان كل واحد من هذه الجمل على استقلال وانفراد، من غير إشعار بالجمعية، وهذا يسمى التجريد، وقد جاء التجريد في الصفات، كقوله تعالى: ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾[الحشر:٢٤] وغير ذلك.

---

(١) في (أ): بينها.

(١٤٥) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الظاهر والباطن

(وناظر قلب اللبيب): الناظرهو: الحافظ للشيء، أي قلب اللبيب حافظ للأشياء متقن لها بخلاف قلب الأحمق.

(به يبصر أمده): الضمير للقلب، أراد أنه يعرف غايته ومنتهاه به.

(ويعرف غوره ونجده): الإغوارهو: السير في بطون الأودية، والإنجاد هو: السير في الأماكن المرتفعة، وهو كناية ها هنا عن معرفته بحال نفسه في جميع أموره كلها.

(داع دعا): إلى الحق ومنهاج الرشد.

(وراع رعى): أحسن رعاية، وأعظم حياطة لمن يرعاه، وأراد بذلك نفسه فإنه دعا الخلق إلى طاعة الله تعالى، وسار فيهم أحسن السير وأعدلها، ورعاهم بالعدل وإكمال الحقوق، كما يشهد له ظاهر سيرته، وكرم سجيته، وشريف شيمته.

(فاستجيبوا للداعي): لما يدعوكم إليه.

(واتبعوا الراعي): فإنه يدلكم على الخير.

ثم قال:

(قد خاضوا بحار الفتن): حكاية عن حال قوم آخرين خاضوا بحارها بما ارتكبوه من الشبهة.

(وأخذوا): فيما هم عليه من الحال.

(بالبدع دون السنن): بالأمورالمبتدعة والأهواء الضالة، وتركوا السنن وراء ظهورهم.

(وأرز[1] المؤمنون): أرز فلان بتقديم الراء على الزاي إذا تضامَّ[2] وتقبَّض أَرْزاً وأُرُوزاً، وأراد أنهم تجمَّعوا وانقبضوا لضعف حالهم وعلو غيرهم عليهم، وفي الحديث: «إن الإسلام ليأرِزُ إلى المدينة، كما تأرِزُ الحية إلى جحرها[3]» أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها، قال أبو الأسود الدؤلي[4]: فلان إن[5] سئل أرز، وإذا دعي اهتز- يعني إلى الطعام- يذمه بذلك.

---

(١) في (ب): أرز بغير الواو.

(٢) في (أ): تضامر.

(٣) ذكره في مجموع الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي عليهما السلام في مسائل عبد الله بن الحسن ٦٣٠/٢، وقال الإمام المرتضى في شرحه: فالأرز هو الثبوت في الموضع والوقوف فيه. انتهى، وورد الحديث في النهاية لابن الأثير ٣٧/١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٥/٩، وموسوعة أطراف الحديث ٤٧/٣ وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل ٤٢٢/٢، وجمع الجوامع للسيوطي(٥٤٠٧).

(٤) أبو الأسود الدؤلي هو: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكناني، المتوفى سنة ٦٩هـ، فقيه، فارس، شاعر، من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وشهد معه صفين، وهو واضع علم النحو، رسم له أمير المؤمنين شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه، وأخذ عنه جماعة، ومات بالبصرة، وله ديوان شعر (معجم رجال الاعتبار ص ٢١٧ ت٣٩٦).

(ونطق الضالون): عن الطريق الواضحة.

(المكذبون): بالله ورسوله، واليوم الآخر.

(نحن الشّعار): البطانة الخاصة وهي: ما يلي الجسم من الثياب.

(والأصحاب): أهل المودة والإخاء.

(والخزنة): للعلم الذي أودعه الله في قلب رسوله.

(والأبواب): لتلك الخزائن، إشارة إلى ما قاله الرسول: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[1].

(لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها): إما لا تؤخذ العلوم إلا من أهلها، وإما لا تؤتى المدائن التي للعلم إلا من أبوابها.

---

(٥) في (ب): إذا.

(١) حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» من الأحاديث المشهورة ورواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في كتاب معرفة الله عزوجل من مجموع رسائله ص ٥٣، وله شاهد أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٥٥٨/٢ برقم (١٠٧١) بلفظ: «أنا المدينة وعلي بابها، ولن تدخل عليٍّ مدينتي إلا من بابها»، وهو بلفظ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» أخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ٧١-٧٣ تحت الأرقام (١٢٠)، (١٢١)، (١٢٣)، (١٢٤)، (١٢٥) من طرق عن جابر بن عبد الله، وابن عباس، وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وأخرج الحديث ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق ٤٦٦/٢-٤٦٧ تحت الرقم (٩٩٣) وقوله: «فمن أراد المدينة»، في ابن عساكر: «فمن أراد مدينة العلم...»إلخ، وله فيه شواهد كثيرة انظرها من الرقم (٩٧١) إلى الرقم (١٠٠٧)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٦٥/١١، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥٢٦/٢ وعزاه إلى اثنين وعشرين مصدراً منها: مستدرك الحاكم ١٢٦/٣، والحاوي للفتاوى للسيوطي ١١٧/٢، وإتحاف السادة المتقين ٢٤٤/٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ١١٤/٩، وتفسير القرطبي ٣٣٦/٩، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ١٨٨/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٣٥٩/٧ وغيرها.
وانظر الروضة الندية في شرح التحفة العلوية للحافظ محمد بن إسماعيل الأمير ص١٣٧-١٤٠.

(فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً): لتسلقه لها[1] من غير بابها.

(فيهم): أراد أهل بيت النبوة.

(كرائم القرآن): إما فيهم نزلت آيات كريمة، وإما فيهم توجد معاني القرآن كريمة[2] لا يطلع عليها أحد غيرهم.

(وهم كنوز الرحمن): معادن الجوهر، تؤخذ منهم كل نفيسة في الدين وعلومه، فلهذا أضافهم إلى الله تشريفاً لهم، وكرامة لما لهم فيه من الاختصاص بهداية خلقه، وإظهارأحكامه، كما يقال: بيت الله، وحرم الله.

(إن نطقوا): بالعلم، وأحكام الشريعة.

(صدقوا): فيما يحكمون، ويعلّمون الناس من ذلك.

(وإن صمتوا): سكتوا عن الكلام حلماً وتوقراً.

(لم يسبقوا): فيما سكتوا عن حكمة لفقد علم غيرهم به، فلهذا يسكت عن الكلام في ذلك.

(فليصدق رائد أهله): الرائد هو: الذي يبعثه القوم ليطلب لهم الماء والكلأ، وأراد ها هنا أن الإ نسان إذا سمع الموعظة من أهلها فليتعظ بها، ولا يَخُنْ نفسه ولا يكذبها.

(وليحضر عقله): ليفهم ما يلقى إليه منها.

---

(١) لها، سقط من (ب).

(٢) في (ب): وإما فيهم تؤخذ معاني في القرآن كريمة.

(وليكن من أبناء الآخرة): ممن عمل للآخرة، وجعله ابناً إنما هو تجوّز واستعارة.

(فإنه منها قدم): أي من أجلها خلق، فإن الله تعالى ما خلق الخلق إلا من أجل عبادته[1]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] ليستحقوا بذلك الخلود في الجنة.

(وإليها ينقلب): لأجل الجزاء على الأعمال، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾[يونس:٢٣].

(فالناظر[2] بالقلب): في أمر دينه.

(العامل بالبصر): أي بالبصيرة النافذة.

(يكون مبتدأ عمله): أوائله.

(أن يعلم): يتحقق ويستيقن.

(أعمله عليه): باستعماله في غير وجهه.

(أم له): استعمله في وجهه، وعلى[3] رضوان الله كان صدوره، فهذا أول ما جعله[4] العاقل في عمله.

(فإن كان له): أي فإن كانت له ثمرة تعود عليه في الآخرة.

---

(١) في (أ): العبادة.

(٢) في (أ): والناظر.

(٣) في (ب): على، بغير الواو.

(٤) في (ب): فعله العامل، وفي نسخة أخرى: يفعله العامل.

(مضى فيه): استمر عليه وأكمله.

(وإن كان عليه): لم يقصد به وجه الله تعالى.

(وقف عنه): أحجم عن فعله إذ لافائدة فيه.

(فإن العامل[1] بغير علم): يهتدي به، ويكون مستضيئاً بنوره.

(كالسائر على غير طريق): فهو يخبط في سيره خبطاً لا غاية له، ولا منتهى لآخره.

(فلا يزيده بُعْده عن الطريق الواضح[2]): مجانبته لها، وانحرافه عنها.

(إلا بُعداً عن حاجته): لأنه إنما يصل إلى حاجته بسلوكه لطريقها، ومع المخالفة لا يقرب عنها، ولا يدنومن حصولها بحال.

(والعامل بالعلم): على البصيرة النافذة.

(كالسائر على الطريق الواضحة[3]): المؤدية إلى الغرض المقصود؛ لأنه قد بنى عمله على الأساس، وأحكمه غاية الإحكام.

(فلينظر الناظر): يتحقق حاله ويستيقن أمره.

(أسائر هو أم راجع): أراد أن كل من توجه إلى سفر من الأسفارفإنه يستعد للصدور، ويتأهب له أكثر من استعداده للرجوع، والمقصود من هذا هو أن الإنسان سائر إلى الآخرة، وليس راجعاً إلى الدنيا، فلا جرم فلتكن أهبته كثيرة إليها، ولا يخادع نفسه في ذلك.

---

(١) في (أ): وإن عامل.

(٢) قوله: الواضح، زيادة في النهج.

(٣) في النهج وفي نسخة أخرى: الواضح.

(واعلم أن لكل ظاهر باطناً على مثاله): أراد أن الباطن يكون مناسباً للظاهر ودالاً[1] عليه مماثلاً له وملائماً لحاله[2].

(فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه): أراد بذلك هو أن الله تعالى إذا أحسن ظاهرالإنسان بإكمال خلقه في حسن القدّ[3] والرشاقة التامة، والنضارة المعجبة، فهذا دليل على حسن عناية الله تعالى به، وحبه له، ومن صدق العناية وكمال المحبة، أن يجعل باطنه موافقاً لظاهره، بإفاضة الألطاف[4] الخفية عليه والتوفيقات المصلحية للعمل الذي يحبه ويرضاه، والاجتناب عمّا يسخطه من الأعمال، وعكس هذا أن الله تعالى إذا قبّح صورة الإنسان بأن جعل فيه الشناعة[5]، وسوء المنظر ففيه دلالة على عدم عناية الله به، وبغضه له، واللائق بعدم العناية والبغض والكراهة له، أن يحرمه لطفه ويمنعه الألطاف من أعمال الخير، ويكله إلى نفسه بالخذلان له فيفعل الأفعال الخبيثة السيئة فيكون ذلك موافقاً[6] لخبث ظاهره، ويؤيد ماذكرناه من هذا التأويل أمران:

أحدهما: استشهاده بكلام الرسول (عليه السلام) في قوله:

(حكاية عن الرسول[7]).

(«**إن الله يحب العبد، ويُبْغِضُ عمله**»): فمحبة العبد لأجل كمال خلقه وحسن صورته.

---

(١) في (أ): ودالة.
(٢) في (أ): بحاله.
(٣) القَدُّ: القامة.
(٤) في (ب): ألطافه.
(٥) في (ب): البشاعة.
(٦) في (أ): موفقاً، وفي (ب): موافقاً، وما أثبته من (ب).
(٧) هكذا في الأصل، وفي شرح النهج: وقد قال الرسول الصادق (صلى الله عليه وآله وسلم). فذكر الحديث.

(«**ويحب عمل العبد، ويُبْغِضُ بدنه**»): ومحبته للعمل لكونه مرضيّاً له، وبغضه للبدن من أجل شناعته وسوء منظره، وبغضه للعمل من أجل مخالفته لأمره ومباينته لرضاه، فمحبة البدن وبغضه لا يعقلان في حق الله تعالى إلا بمعنى الكمال والنقص مجازاً، كما أشرنا إليه؛ لأن خلافه محال، ويحتمل أن [تكون][1] محبته للبدن بمعنى أنه حبَّبه إلى الغير، وبغضه للبدن بمعنى أنه بغّضه إلى الغير مجازاً، ووجه الشاهد من كلام الرسول هو أنه تارة يحب العبد بحسن خلقه، ويكره عمله لقبحه، وتارة يكره بدنه لقبحه، ويحب فعله لحسنه، فإذا كان المحبة والكراهة منقسمة على هذا الاعتبار جاز أن يحبه ويحب فعله، وهذا هوالذي طاب ظاهره وباطنه، وجاز أن يكرهه ويكره عمله، وهذا هو الذي خبث ظاهره وباطنه، فالظاهر هو البدن، والباطن هو العمل.

وثانيهما: قوله بعد هذا:

(إن[2] لكل عمل نباتاً): أراد ثمرة، وفائدة، ومنفعة.

(وكل نبات لا غنى له[3] عن الماء): لأنه لا يبدو[4] رونقه ولا يظهر حسنه إلا به.

(والمياه مختلفة): فمنها المالح الزُّعاق، وهو الذي لا ينبت، ومنها العذب الفرات وهو المنبت.

---

(١) سقط من (ب).
(٢) في شرح النهج: واعلم أن لكل ...إلخ.
(٣) في (ب): به.
(٤) في (أ): يبدو، بدون: لا.

(فما طاب[1] سقيه): الماء الذي يسقى به، ولم يكن مالحاً زُعَاقاً.

(طاب غرسه): الذي يسقى[2] به، وكمل وبدت نضارته، وظهر حسنه.

(وحلت ثمرته): وكانت حلوة عذبة حسنة المطعم.

(وما خبث سقيه): ماؤه الذي يسقى به بأن كان مالحاً زُعَاقاً.

(خبث غرسه): الذي يشرب منه؛ لأنه يأخذ من أجزائه ويكتسب منه.

(وأمرَّت ثمرته): صارت مرَّة لا يمكن مذاقها؛ لما فيها من المرارة، ووجه الشاهد من هذا هو أنه جعل الماء والغرس والثمرة مثالاً للإنسان وعمله الصالح والطالح، ووجه المطابقة فيه لما قال[3] في الباطن والظاهر واضح جلي، فجعل الغرس وطيبه [والسقي عبارة عن حسن خلقة الإنسان، وجعل حلاوة الثمرة عبارة عن صلاح فعله، وجعل خبث الغرس][4] والسقي عبارة عن قبح الصورة، وجعل مرارة الثمرة عبارة عن فساد فعله ورداءته[5]، فنزَّلناه على هذا التنزيل ليكون مطابقاً لماذكره أولاً، وليحصل التطابق بين كلامه وكلام الرسول، كما ذكرناه، فهذا هو التأويل الذي تشهد له الأصول ويتطابق على صحته المنقول والمعقول، وأين[6] هذا عن هذيان الملاحدة من الباطنية حيث جعلوا كلامه هذا سُلماً يعرجون به إلى إبطال نصوص القرآن، وظواهر الشريعة ونصوصها،

(١) في (أ): طابت، وفي (ب)، والنهج كما أثبته.

(٢) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: يستقى.

(٣) في (ب) وفي نسخة أخرى: قاله.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ) و(ب)، وما أثبته من نسخة أخرى.

(٥) في (ب): وإرادته.

(٦) في نسخة أخرى: فأين.

على تهويسات لفقوها، وزخارف كذبوها، لم تقم عليها دلالة ولا برهان، ولا أُيِّدت بحجة ظاهره ولا سلطان، فحملوا العصا على الحجة[1]، والثعبان على البرهان، في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[الأعراف:١٠٧]، إلى كفريات مسترقة من الملاحدة الثنوية فتباً لتلك الأهواء! وبعداً وسحقاً لهذه الآراء! ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الإنشقاق:٢٠]، ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[المؤمنون:٧١]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[الصف:٨]، ويأبى الله إلا إتمام نوره على رغم أنافهم.

و[2]لقد أطنبنا عليهم في الرد لهذه المقالة، وأظهرنا فضائحهم[3]، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[القصص:٦٩].

(١) كتب فوقها في (ب): الحية.

(٢) في (ب): ولهذا.

(٣) اعلم أن للمؤلف (عليه السلام) كتابين في الرد على الباطنية أحدهما يسمى (الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام في الرد عليهم في الأسرار الإلهية والمباحث الكلامية)، والثاني يسمى (مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار) (انظر عن الكتابين أعلام المؤلفين الزيدية ص ١١٢٥، ١١٣٠)، والجزء الأول من كتاب الانتصار للمؤلف (مقدمة المحققين ص ١٠٨، ١٠٩).

(١٤٦) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها بديع خلقة الخفاش

وهو حيوان يطير بالليل، وسمي خفاشاً: إما لصغر عينيه، وإما لأنه لا يظهر إلا بالليل، وإنما خصَّها بالذكر[١] لما فيها من عجائب الخلقة، وبدائع الصنعة.

(الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف): انحسر الثوب عن الجسم إذا انكشف عنه، وأراد أن الأوصاف منكشفة ومتعطلة.

(عن كُنه معرفته): الكُنْهُ هو: الغاية، أي منقطعة عن الوصول إليها وإحراز ماهيتها.

(وردعت عظمته العقول): الردع هو: الكف، والعظمة هي: التعاظم والكبرياء، وأراد أنه كف العقول والبصائر عن الإحاطة به.

(فلم تجد مساغاً): مجرى يسهل الدخول فيه، والجري إليه والسعي.

(إلى بلوغ غاية ملكوته): ملكه أي بلوغ تلك الغاية متعذرفي العقول لا سبيل لأحد إليه.

(١) في (أ): خصاها بذكر، وفي (ب): خصها بالذكر كما أثبته.

(هو الله): الضمير راجع ها هنا إلى ما تقدم، أي الموصوف بالصفات الجليلة[١] هو الله.

(الحق): الذي لا حق سواه وما عداه فهو باطل.

(المبين): إما الظاهر بالأدلة، وإما ذو البيان.

(أحق وأبين): أي هو أظهر وأكشف.

(مما ترى العيون): تدركه الأبصار بأحداقها؛ لأنه ربما جرى في المبصرات لبس واضطراب وتغيّر في الإدراك.

سؤال؛ كيف قال ها هنا: إن العلم بالله أعظم حالاً من المدركات بالأبصار، وبعضهم أثبته وبعضهم نفاه[٢]، والمدركات لا سبيل لأحد من العقلاء إلى جحدانها ونفيها؟

وجوابه؛ هو أن المدركات القريبة يقع فيها الا ضطراب في الإدراك لها، ويحصل فيها اللبس الكثير، والمدركات البعيدة يستحيل إدراكها لبعدها، وحاله تعالى في القرب والبعد على سواء، بالإضافة إلى الأدلة العقلية، لا يختلف حال[٣] معرفته فلهذا كان أدخل في التحقيق، وأقوى من هذا الوجه.

(لم تبلغه العقول بتحديد): تناله وتصل إليه على جهة أن له حداً وغاية ومنتهى.

(١) في (أ): الحكمية.
(٢) في (أ): بقاه، وهو تصحيف.
(٣) في (ب): حاله.

(فيكون مشبهاً): لسائر[1] المكونات من حيث كان محدوداً مثلها، وقوله: فيكون منصوب لأنه جواب النفي.

(ولم تقع عليه الأوهام بتقدير): الأوهام هي: الظنون، أي ولم تقع عليه وقوع إحاطة على أن له قدراً.

(فيكون ممثَّلاً): بهذه المخلوقات في القدر والصورة، والباء في قوله: بتقدير وتحديد للمصاحبة، أي لم تبلغه ولم تقع عليه مصاحبة لتقدير فيه ولا تحديد لذاته مثلها في قولك: لم أبلغ هذا الأمر بجهد ولا تعب.

(خلق الخلق): أوجده واخترعه وقدَّره.

(على غير تمثيل): من خالق غيره، أو[2] لم يخلق قبلها خلقاً فيكون خلق هذه على مثاله وشكله.

(ولا مشورة مشير): يكتسبها منه ويأخذها من جهته.

(ولا معونة معين): تقوية[3] مقوي.

(فتم خلقه): كمل واستحكم.

(بأمره): بإرادته وقدرته وكمال علمه.

(فأجاب): حين دعاه للتكوين والوجود.

(ولم يدافع): أمره بالمخالفة له.

---

(١) في (ب): بسائر.

(٢) في (ب): إذ.

(٣) في (ب): بقوة.

(وانقاد): من غير تصعُّب في انقياده.

(ولم ينازع): يمتنع، أخذاً له من منازعة الفرس لصاحبهارأسها، وهو يجذبها بعنانها، وقوله: (لم[1] يدافع، ولم ينازع) من أنواع البديع، يلقب بالتجنيس الناقص؛ لأن الكلمتين لم يتجانسا إلا في بعض حروفهما لاكلها، وهذا كقول أبي تمام[2]:

يمدُّون من أيد عواصٍ عواصم   تَصُولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ[3]

وكقول البحتري:

فيا لك من حزم وعزم طواهما

جديد البلى تحت الصَّفا والصَّفائح

وهو من نادرالبلاغة وعجيبها.

(ومن لطائف صنعته): دقائق مصنوعاته، ومن هنا[4] للتبعيض، من قولهم: لطف الشيء إذا دق.

(وعجائب خلقته): والأمور المعجبة[5] من مخلوقاته.

---

(١) لم، سقط من (أ).

(٢) أبو تمام هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ١٨٨-٢٣١هـ الشاعر والأديب، أحد أمراء البيان، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) وتوفي بالموصل، في شعره قوة وجزالة، وله تصانيف منها: فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل وغيرها، وله ديوان شعر مطبوع (انظر الأعلام ١٦٥/٢).

(٣) أورده ابن أبي الحديد في الشرح ٢٨١/٨.

(٤) في (أ): هذا، وفي (ب): هنا كما أثبته، وفي نسخة أخرى: هذه.

(٥) في (ب): العجيبة.

(ما أرانا من غوامض حكمته[1]): ما هذه موصولة، وغوامض الحكمة: خفاياها التي لاتنتهي العقول إلى معرفتها.

(في هذه الخفافيش): في هذه متعلقة بأرانا جعلها ظرفاً للرؤية.

(التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء): يكفها ويجمعها عن التصرف والاضطراب هذا النور الباسط، أرادبه إما المنبسط نوره على كل شيء، وإما الباسط لكل شيء في تصرفه وذهابه، وتحركه واضطرابه.

(ويبسطها الظلام): أي وتكون متصرفة فيه، محكمة لأرزاقها من أجله.

(القابض لكل حي[2]): إذ كل شيء يكون مكفوفاً فيه لاسوداده، واستحالة الذهاب فيه، فلا حي إلا وهو ساكن فيه واقف عن الذهاب، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾[النبأ: ١٠-١١].

(وكيف عشيت أعينها): العشا: سوء البصر، يقال: ناقة عشواء إذا كانت لا تبصر.

(عن أن تستمد بالشمس المضيئة نوراً): أراد أن من العجب العظيم فساد أبصارها بما يكون من ملاقاتها للشمس، واستمدادها منها بخلاف سائر الأبصار فإنها لا يمكن إبصارها إلا باستمدادها من هذه الأنوار كلها.

(تهتدي به في مذاهبها): مداخلها ومخارجها، وطلب أرزاقها وإصلاح حالها.

---

(١) في شرح النهج: الحكمة.

(٢) في (أ): شيء.

(وتتصل بعلانية برهان الشمس): أي وأعشى أبصارها عن الاتصال بظهور سلطان الشمس.

(إلى معارفها): أوصالها وأطرافها، يقال: امرأة حسنة المعارف يعني الوجه واليدين.

(وردعها): كفّها.

(بتلألؤ ضيائها): تلألأ البرق إذا لمع، والضياء هو: النور، والضمير للشمس.

(عن المضي في سبحات إشراقها): عن[1] التصرف في أنوارها السابحة عند قوة نورها وغلبته.

(وأكنّها في مكامنها[2]): غطّاها في مواضعها الساترة لها.

(عن الذهاب): التصرف والاضطراب.

(في بلج ائتلاقها): البلجة: الإشراق، وفي الحديث: «كان رسول الله أبلج الوجه»[3] أي مشرقه، والائتلاق: اللمعان، يقال: تألق البرق إذا لمع، وأراد أن إشراق الشمس ولمعان ضوئها هو المانع لها عن الذهاب.

(فهي مسدلة جفونها): مرخية، من أسدل ثوبه إذا أرخاه أهداب عيونها.

---

(١) قوله: عن، سقط من (أ).

(٢) في (ب): أماكنها.

(٣) روي ذلك من حديث عن أم معبد، انظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني صـ ١٦١، والنهاية لابن الأثير ١/١٥١، والمستدرك للحاكم النيسابوري ٣/١٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/٥٦، والمعجم الكبير للطبراني ٤/٤٩.

(بالنهار على أحداقها): لما يبهرها من ضوء الشمس ونورها.

(وجاعلة الليل سراجاً تستدل به): تجعله دلالة لها.

(في التماس أرزاقها): في تحصيل ما قسمه الله لها[1] من الأرزاق.

(فلا يَرُدُّ أبصارها): يكفُّه ويرجعه.

(أسداف ظلمته): السدفة هي: الضوء والظلام، وهو من النقائض، وأراد ها هنا إطباق الظلمة وترادفها.

(ولا تمتنع من المضي فيه): لحوائجها وقضاء مآربها.

(لغسق دُجُنَّتِه): الغسق هو: أول الليل، والدُّجُنَّة: الظلام.

(فإذا ألقت الشمس قناعها): أراد طلوعها بمنزلة من يحسر عن رأسه قناعه.

(وبدت أوضاح نهارها): الوضح: الضوء والبياض، وأراد بدت أزاهيرها.

(ودخل إشراق نورها): أنوارها المشرقة المضيئة.

(على الضِّباب): جمع ضَبٍّ.

(في وجارها): بالجيم وهو: موضعها لأنها تسكن في المغارات، والمداخل الضيقة، وأراد بذلك[2] امتداد نورالنهار واستطالته.

(أطبقت الأجفان): أجفان أعينها وأشفارها[3].

---

(١) في (أ): بها، والصواب ما أثبته من (ب).
(٢) في (أ): في ذلك.
(٣) الأشفار، واحدها الشُّفر، وأشفار العين هي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر وهو الهُدْب. (مختار الصحاح ص٣٤١).

(على مآقيها): جمع موق وهو: طرف العين مما يلي الأنف، واللحاظ: طرفها مما يلي الأذن.

(وتبلغت بما[1] اكتسبته من المعاش): وجعلت لها بلغة ما تكتسبه[2] مما يعيشها ويقيتها.

(في ظلم لياليها): في متعلقة بقوله: اكتسبته؛ لأن الاكتساب إنما يكون في الليل دون النهار.

(فسبحان): يُنزَّه تنزيهاً، وانتصابه على المصدرية.

(من جعل الليل لها نهاراً و معاشاً!): تتصرف فيها بالورود والصدور لاكتساب المعاش.

(والنهار سكناً وقراراً!): تسكن فيه وتقرُّ على عكس ما تكون عليه [سائر][3] الحيوانات غيرها.

(وجعل لها أجنحة من لحمها): بخلاف غيرها من سائر الطير، فإن أجنحتها قصب وريش وعظام مشتبكة.

(تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران): ترتفع بها عند طيرانها.

(كأنها شظايا[4] الآذان): قطعها[5]، واحدتها شظية[6].

---

(١) في (أ): ما.
(٢) في (ب): ما تكسبه.
(٣) زيادة في نسخة أخرى.
(٤) في (ب): شطان.
(٥) في (أ): قطعتها.
(٦) في (ب): شطنة.

(غير ذوات ريش): أي لا ريش لها.

(ولا قصب): يتصل به الريش.

(إلا أنك ترى مواضع[1] العروق): المتصلة بها.

(بينة أعلاماً): واضحة، وأعلاماً انتصابه على التمييز بعد الفاعل أي واضحة أعلامها أو يكون حالاً بعد حال، أي واضحة معلّمة.

(لها جناحان): للطيران.

(لما يرقّا): ليسا رقيقين.

(فينشقّا): يتقطعا ويتخرقا، وحذف النون للنصب **لأنه** جواب النفي.

(ولما يغلظا): أي لا غلظ بهما.

(فيثقلا): عليها عند طيرانها.

(تطير): في الجو.

(وولدها لاصق بها): لا يفارقها أبداً كغيرها من الطير.

(لاجئٌ إليها): أي لا ملجأ له إلا هي.

(يقع إذا وقعت): يهبط معها إذا هبطت الأرض.

(ويرتفع إذا ارتفعت): عند طيرانها.

(لا يفارقها): لعدم استقلاله بحاله.

---

(١) في (أ): موضع.

(حتى تشتد أركانه): تتقوى أوصاله كلها.

(ويحمله للنهوض جناحه): ويكون آلة له عند الطيران به.

(ويعرف مذاهب عيشه): كيف يهتدي لاصلاح معيشته.

(ومصالح نفسه): في النفع ودفع الضرر.

(فسبحان الباري لكل شيء): الموجد للأشياء كلها.

(على غير مثال): يحتذي عليه، ويكون إماماً له فيما خلق وقدَّر وابتدأ وأحكم وصوَّر.

(خلا من غيره!): سبق وتقدم من مخالف له، فانظر إلى عجيب وصفه لهذا الجنس من المخلوقات، ما ألطفه وأدله على إحكام القدرة الباهرة.

(١٤٧) ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة الملحمة

(فمن استطاع عند ذلـك[1]**)**: يشير إلى كلام قد ذكره فيه اقتصاص للملاحم[2].

(أن يعتقل نفسه على الله فليعتقل[3]**)**: يحبسها في سبيل الله ولأجله، من قولهم: اعتقل لسانه إذا حبس عن الكلام، وأراد أنه يُقْتَلُ صابراً لله تعالى.

(فإن[4] **أطعتموني)**: [فيما آمركم به من أحكام الدين][5].

(فإني حاملكم إن شاء الله): بمشيئة الله، وإرادته وتقديره.

(على سبيل الجنة): التي من سلكها أوصلته[6] إليها.

(وإن كان ذا مشقة): صعوبة لما يعرض فيها من العوارض.

(شديدة): بالغة في الشدة مبلغاً عظيماً.

(١) في (ب): ذاك.
(٢) في (ب): الملاحم.
(٣) في (ب) والنهج: فليفعل.
(٤) في (ب): وإن.
(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٦) في (ب): أوصله.

(ومرارة[1]**)**: في طعمها.

(مريرة): مبالغة في مرارتها، كما يقال: كريم مكرم.

(وأما فلانة): يعني عائشة.

(فأدركها رأي النساء): أراد أنه استولى عليها لضعفها، وهو أنه كما قال صلى الله عليه وآله: «شاوروهنَّ وخالفوهنَّ»[2]، ولما فيهنَّ من ضعف العقل حيث كانت شهادة اثنتين منهنَّ بمنزلة شهادة رجل واحد.

(وضغن): حقد وغيظ.

(غلا في صدرها): تحرك واضطراب.

(كَمِرْجَل القَيْن): القين: الحداد، وإنما خصَّ مِرْجَلَهُ؛ لأنه يكون أغلى من سائر المراجل؛ لشدة وقيد النار تحته، يشير بذلك إلى ما كان قد وجدت في قلبها عليه في حديث الإفك[3] على استشارة رسول الله إياه فقال: (لم يضيق [الله][4] عليك النساء)[5] فلم يزل ذلك يحيك في صدرها حتى ماتت.

(ولو دعيت لتنال من غيري): من البغي عليَّ وقتالي، وتأليب الناس في حربي.

(١) في (ب) وشرح النهج: ومذاقه.
(٢) الحديث رواه في تحفة الأحوذي ٤٤٩/٦، وفيض القدير ٢٦٣/٤، وأورده في موسوعة أطراف الحديث ٢٨٣/٥ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٣٥٦/٥، وتنزيه الشريعة لابن عراق ٤/٢، والأسرار المرفوعة لعلي القاري (٢٢٢) و(٢٣٩) وغيرها.
(٣) عن حديث الإفك انظر الكشاف ٢٢١/٣-٢٢٧.
(٤) زيادة في (ب).
(٥) وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣/١٤.

(ما أتت إليّ): من ذلك الذي فعلته معي.

(لم تفعل): مخافة لله تعالى، وتعظيماً لحرمة الدين.

وروي أنه لما جاء ها الخبر وهي تطوف بالكعبة، فقالوا: قتل عثمان، فقالت: وَمَهْ؟ فقالوا: وبايع الناس أمير المؤمنين، فقالت: والله ليوم من عثمان خير من علي الدهر كله، مع أنها قد أنكرت على عثمان غاية الإنكار، وقالت لهم: اقتلوه[1].

(ولها بعد): الضمير لعائشة، وبعدها هنا ظرف مقطوع عن الإضافة، والتقدير فيه ولها بعد فعلها ما فعلته في حقي.

(حرمتها الأولى): وهو مكانها من رسول الله، وفضلها وتقدمها في العلم والصحبة.

(والحساب على الله!): فيما فعلته معي، ولله درُّه فما أكثر حلمه، وأكرم خلائقه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[المائدة:٥٤].

واعلم: أن هلاكها بخروجها على أمير المؤمنين غير خاف على أحد من العلماء، وأهل الفضل وفسقها بالبغي عليه وقتاله وحربه، لما قد تقرر بالبراهين ثبوت إمامته، والخارج عليه لا شك في بغيه وفسقه، ولكن الله عزَّ سلطانه تداركها بالتوبة والندامة رحمة من الله تعالى ولطفاً بها، ورعاية لحق رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) راجع المصدر السابق ٦/٢١٥-٢١٦.

وحكي أن رجلاً سأل الباقر[1] (عليه السلام) عن عائشة؟ فاستغفر لها.

فقال: أتستغفرلها وتتولاها؟

فقال: نعم؛ أما علمت أنها كانت تقول: ياليتني كنت شجرة، ياليتني كنت مدرة، وذلك توبة وندامة[2].

وروي عن الحسن البصري[3] أنه قال: قالت عائشة: لأن أكون جلست في منزلي من مسيري ذاك أحبُّ إليَّ من أن يكون لي عشرة أولاد من رسول الله، كلهم مثل ولد الحرث بن هشام وأثكلهم[4].

وروي عنها أنها قالت: لوددت أني عضو رطب[5]، وأني لم أسر

(١) هو الإمام محمد بن علي زين العابدين بن الحسين سيد الشهداء ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم السلام) الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر[٥٧-١١٤هـ]، من عظماء الإسلام وأئمة العلم والحديث والفقه، المشهورين الأعلام، سمي بالباقر لغزاره علمه، كان ناسكاً عابداً ناشراً للعلم، أخباره وفضائله كثيرة، وولد بالمدينة وتوفي بالحميمة، ودفن بالمدينة، وروى الحديث وروي عنه. (معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص ٣٩٤ ت(٧٧٥)).

(٢) المغني ٢٠/٢/٩٠، وأخرج الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في المناقب ٢/٣٤٧ برقم (٨٢٣) بسنده عن سليم مولى لعائشة قال: خرجت إلى مكة من المدينة فما كانت تمر بحجر ولا شجر ولا جبل إلا وقالت: يا ليتني كنت مثل هذا، وتبكي ندامة على ما صنعت.

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد، مولى أم سلمة [٢١-١١٠هـ] أحد الأعلام، كان إمام أهل البصرة، وهو من عظماء التابعين وكبارهم، اشتهر بعلمه وزهده وتقواه وهو من أشهر المحدثين، وأخباره كثيرة (المصدر السابق ص ١١٤ ت(٢١٢)).

(٤) المغني ٢٠/٢/٩٠، وأخرج الرواية الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في المناقب ٢/٣٤٧ برقم (٨٢٤) بسنده عن عبادة قال: قالت عائشة: والله لأن أكون قعدت فلم أكن خرجت مخرجي هذا [كان] أحب إليَّ من عشرة أولاد كلهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم مثل ولد الحارث بن هشام، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤/٢٤.

(٥) في (أ): عضور طلب، وهو غامض وغير واضح، وفي (ب) كما أثبته، وفي نسخة أخرى: غصن رطب.

في هذا الأمر[1] تعني يوم الجمل.

فهذه الأمور كلها وغيرها مما روي عنها فيها دلالة ظاهرة على توبتها وندامتها؛ وكيف لا وقوله تعالى في آخر آية الإفك: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال:٧٤].

وما روي عن عمار أنه قال: إنها زوجته في الدنيا والآخرة[2]؛ يدل على توبتها لامحالة قطعاً ويقيناً.

وقول أمير المؤمنين: لها حرمتها الأولى، ولوأصرت على فسقها لم يكن لما قاله وجه، فلا جرم وجب توليها[3] والترضية عنها، والاستغفار لها رضي الله عنها وأرضاها وعفا عنّا وعنها.

(**سبيل أبلج المنهاج**): أراد الإسلام والدين، وأراد واضح الطريق لمن سلكه.

(**أنور السراج**): سراجه منير لمن استضاء به.

(**فبالإيمان يستدل على الصالحات**): أراد أن من علمنا إيمانه فإنه دلالة لنا على أنه فاعل للأعمال الصالحة، [وآتٍ بها.

(**وبالصالحات يستدل على الإيمان**): ومن علمناه أتى بالأعمال الصالحة][4] فإنها تكون دلالة لنا على إيمانه لامحالة، فأحدهما دلالة

(١) المغني ٢٠/٢/٩٠.

(٢) انظر الرواية في المغني ٢٠/٢/٨٩، ٩١، والروضة الندية ص٦٧، عن البخاري، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٩/٢٠٠ والرواية فيه بدون نسبة لقائلها.

(٣) في (أ): تواليها.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ) وأثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

على الآخر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهذا يؤيد ماذهبنا إليه من أن الإيمان عبارة عن عمل القلب وعمل اللسان، وعمل الجوارح جميعاً، وهو مذهب أكثر السلف.

(**وبالإيمان يعمر العلم**): لأنه لاعمارة للعلم إلابالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وكل علم لم تكن هذه حاصلة فيه فهو خراب لافائدة وراءه، ولا طائل تحته.

(**وبالعلم يرهب الموت**[1]): أراد أن من علم الأمر وتحقق حال الآخرة واشتمالها على تلك الأهوال، وتضمنها للفجائع العظيمة؛ فإنه يرهب الموت لأنه هو أولها وبه يتحقق الأمر فيها.

(**وبالموت تختم الدنيا**): من حيث كان آخرها، وغاية أمرها ومنتهاها.

(**وبالدنيا تحرزالآخرة**): بالأعمال الصالحة التي يقع بها الفوز في الآخرة وإحراز ثوابها.

(**وإن الخلق لا مَقْصَرَ لهم عن القيامة**): الْمَقْصَرُ مَفْعَلُ من القصور، وهو: التأخر، وأراد أنهم لا يقصرون دون البلوغ إلى الآخرة، والحصول فيها.

(**مرقلين**): حال من الخلق، والإرقال هو: فوق السير ودون الجري.

(**في مضمارها**): المضمار: موضع ارتباط الخيل للسباق.

(**إلى غاية القصوى**): إلى منتهى الرجعة القصوى، أي أنها منتهى

(١) في (أ): بالموت.

الغايات وقصاراها، وإضافة الغاية إلى القصوى مثل إضافة مسجد الجامع فلا بد من تأوليها، كما أشرنا إليه.

(قد شخصوا): ظهروا.

(من مستقر الأجداث): من أماكن القبور ومواضعها.

(وصاروا إلى مصائر الغايات): إلى موضع غاية كل شيء، وهو الآخرة والقيامة.

(لكل دار أهل): فأهل الجنة هم أهل الطاعة، وأهل النار هم أهل المعصية.

(لا يستبدلون بها): أما أهل الجنة فلا يستبدلون لما هم فيه من النعم، وأما أهل النار فلا يستبدلون لخلودهم فيها.

(ولا ينقلون عنها): إلى غيرها فهم خالدون فيهما خلوداً لا انقطاع له.

(وإن الأمر بالمعروف): وهو كل ما كان مأموراً به عقلاً أوشرعاً.

(والنهي عن المنكر): وهوكل ما كان منهياً من جهة العقل أو الشرع.

(يخلقان[1] من خلق الله): إما بأن يقرر الله في العقول قبح هذا أوحسن ذاك، وإما بأن يرد الشرع بآي محكمات بمثل ذلك، وما هذا حاله فهو من خلق الله.

(وإنهما لا يقربان من أجل): فيكون ذلك داعياً إلى التأخر عن إنفاذهما والقيام بهما.

---

(١) كذا في (أ) و(ب)، وفي نسخة أخرى وفي النهج: لَخُلُقَانِ من خلق الله.

(ولا ينقصان من رزق): فيكون ذلك داعياً إلى تركهما، والمصانعة فيه.

(وعليكم بكتاب الله): إغراء لهم بملازمة القرآن والتعلق به.

(فإنه الحبل المتين): الشديد فلا ينقطع.

(والنور المبين): الضياء المنكشف.

(والشفاء): من جميع الأدواء.

(النافع): من الأسقام.

(والري): من عطش الأكباد، وظمائها.

(الناقع): القاطع للعطش، يقال: شرب حتى نقع أي شفى غليله.

(والعصمة): المانعة من الزلل.

(للمتمسك): بها.

(والنجاة): من[1] جميع الأسواء.

(للمتعلق): بها.

(لا يعوج): لا يعتريه[2] الميل ويلحقه.

(فيقام): فيحتاج إلى مقوِّم يقيمه من عوجه.

(ولا يزيغ): عن طريق الحق.

---

(١) في (ب): عن.

(٢) في (ب) وفي نسخة أخرى: يعتريه، بدون: لا.

(فيستعتب): يرجع عما يخالف الحق، من قولهم: أعتب فلان إذا رجع عن أمركان فيه إلى غيره.

(ولا يُخْلِقه): يدرسه.

(كثرة الرد): الترداد على الألسنة بخلاف سائر الكلامات، فإنه إذا كثر تكراره استركَّ وملَّ واسترذل.

(وولوج السمع): ودخوله في الأسماع لايخلقه[1] أيضاً.

(من قال به صدق): أراد أن كل قول كان[2] موافقاً له فهو صدق.

(ومن عمل به سبق): أراد ومن عمل على حكمه سبق إلى الجنة، أوكان سابقاً إلى الأعمال الصالحة المرضية المتقبلة[3]، والأفعال المبرورة.

وقام إليه رجل فقال له: أخبرنا عن الفتنة، هل سألت عنها رسول الله؟

(فقال (عليه السلام): لما[4] أنزل الله قوله: ﴿الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت:١-٢] **علمت أن الفتنة لا تنزل فينا ومعنا رسول الله بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها)**؟

فقال: (((يا علي، إن أمتي سيفتنون بعدي))).

(فقال[5]: يا رسول الله، (أليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد

---

(١) في (أ): لا يلحقه، وفي (ب) وفي نسخة أخرى: لا يخلقه، وهو الصواب كما أثبته منهما.
(٢) قوله: كان، سقط من (أ).
(٣) في (أ): المتقلبة وهو تحريف، وفي (ب) كما أثبته.
(٤) في (ب): إنه لما.
(٥) في النهج: قلت.

من المسلمين من استشهد): قتل منهم من قتل في سبيل الله مثل حمزة، وغيره من الشهداء.

(وحيزت عني[1] الشهادة): أُخِّرت إلى حيث أراد الله وعلم من حالها.

(فشق ذلك عليَّ): تأخرها عني، وصرفها في ذلك اليوم.

(فقلت لي: ((أبشر فإن الشهادة من ورائك)) فقال لي رسول الله:

((إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذاً!)) فقلت: يا رسول الله: ليس هذا من مواطن الصبر): لأن الصبر إنما يكون على المكاره، والأمور المنفِّرة.

(ولكن هذا من مواطن البشرى): بالجنة.

(والشكر): على حصول الشهادة.

قال: ((ياعلي، إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع)).

(قلت: يارسول الله، فبأي المنازل أنزلهم؟): أي حكم أسير بهم، وأعاملهم به إذا كانوا على هذه الصفة.

(أبمنزلة ردة): كفر ورجوع عن الإسلام والدين.

(أو بمنزلة فتنة): افتتان بما ذكر والإسلام مسترسل عليهم.

---

(١) في (ب): عنا.

(**فقال لي «بمنزلة فتنة»**)[1]: وفي هذا وجهان:

أحدهما: أنَّ ارتكابهم لهذه المعاصي يكون فسقاً، وإن لم يكن كفراً.

وثانيهما: أن يريد أنَّها معصية يجب إنكارها على صاحبها، وإن لم تكن فسقاً ويعزَّر على فعلها، كما يقال[2] في حال من جامع امرأة أو قبَّلها، فأما الكفر فقد قال: إنَّها لا تكون كفراً ولا رِدَّة، وكم من المعاصي ما لا يعلم حاله في كونه كبيرة كفراً أو فسقاً، فيجب التوقف في ذلك حتى يظهر دليل.

(١) حديث إخبار الرسول ﷺ لأمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه سيجاهد المفتونين، رواه الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) في مسائل القاسم رقم (٢٦١) في المجلد الثاني من مجموعه ص٦٤٠-٦٤٣. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٠٦/٩ في ذكر هذا الخبر الوارد في الخطبة ما لفظه: وهذا الخبر مروي عن رسول الله ﷺ، قد رواه كثير من المحدثين، عن علي (عليه السلام) ثم ذكر الخبر انظره فيه، وفي مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام).

(٢) في (ب): نقول.

(١٤٨) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أحوال الآخرة

(**الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره**): فيه وجهان:

أما أولاً: فأن يريد [أن][1] الإنسان إذا أراد ذكر الله تعالى بالصفات الشريفة، وتقديسه بالأسماء الحسنة، فلا بد من تقديم ذكر الحمد، كما يفعل في الخطب والمواعظ.

وأما ثانياً: فأن يريد أن الإنسان لا يمكنه أن يقول لله[2] إلا بعد أن يقول الحمد.

(**وسبباً للمزيد من فضله**): إما بالزيادة[3] من النعم، كما قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:٧]، وإما بالزيادة[4] في الآخرة لأجل استحقاقه بالشكر والحمد.

(**ودليلاً على آلائه**): لأن إيجاب الحمد إنما يكون في مقابلة النعم في أكثر أحواله وأغلبها، فلهذا كان دليلاً على الآلاء.

(١) سقط من (أ).

(٢) في (أ): الله.

(٣) في (ب): الزيادة.

(٤) في (أ): لزيادة.

(وعظمته): لأن الحمد هو الثناء الحسن، وهو إنما يستحقه إما لمكان اختصاصه بالصفات الإلهية، وإما لمكان نعمته الظاهرة والباطنة، وكل هذا دلالة على عظمته وجلاله.

(عباد الله، إن الدهر يجري بالباقين): يذهب بهم إلى الموت والقبر.

(كجريه بالماضين): كما ذهب بالماضين من القرون إلى ذلك.

(لا يعود ما قد ولّى منه): من أيامه الماضية أبداً.

(لا يبقى[1] سرمداً ما فيه): هذا فيه تقديم وتأخير، ومعناه لا يبقى ما فيه من أموال ونفائس، وخير وشر، وغم وسرور، وفرح وترح، سرمداً أي ينقضي يوماً فيوماً، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، وحقباً بعد حقب إلى الغاية التي قدرها الله وقضاها.

(آخر أفعاله كأوله): في النقص والزوال، والعدم والانقطاع.

(متشابهة أموره): يرفع ناساً ويضع آخرين، ويعطي أقواماً ويمنع أقواماً، فهذا تشبيه[2] في المنع والحرمان، وهذا يشبه ذاك في الزيادة والنقصان، فأموره وحوادثه متماثلة من هذا الوجه.

(متظاهرة أعلامه): إما حدوده وغاياته، ومقاديره ظاهرة لا لبس فيها على أحد، وإما أراد أعلامه وحوادثه في الناس ظاهرة لا يمكن كتمانها.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: ولا يبقى.

(٢) في نسخة أخرى: فهذا يشبه هذا في المنع والحرمان، والعبارة في (ب): فهذا يشبه هذا في الزيادة والنقصان...إلخ.

(فكأنكم بالساعة تحدوكم): تحثكم وتزجركم إلى القيامة، والحدو[1] هو: حث[2] الإبل على السير.

(حدو الزاجر لشوله[3]): مثلما يحدو الزاجر، وهو الذي يحث الإبل على السير ويزجرها، والشول هي: النوق التي قد خف لبنها، وارتفعت ضروعها وأتى عليها من[4] مدة النتاج تسعة[5] أشهر أو ثمانية أشهر، فهي خفيفة عند السير سريعة فيه من أجل ذلك، وهو: جمع شائلة على غير قياس. فأما الشائل بعدها[6] فهي التي تشول ذنبها عند لقاحها، وجمعه شوَّل مثل راكع وركَّع.

(فمن شغل نفسه): جعلها مشغولة مستغرقة.

(بغير نفسه): بغير ما يعنيه أمره.

(تحير في الظلمات): لا يدري أين سلك[7] ولا كيف توجه.

(وارتبك في الهلكات): الارتباك هو: الاضطراب في الأمر والتحير فيه، والهلكات: جمع هلكة وهي الأمور المتلفة.

(ومدّت به شياطينه في طغيانه): إما من الإمداد، وهو: الزيادة من مدَّ الدواة وأمدَّها إذا أصلحها وهيَّأها للكتابة، وأراد على هذا أن الشياطين

(١) في النسختين: والحدي، ولعل الأصح كما أثبته.

(٢) في (أ): حب، وهو تصحيف.

(٣) في شرح النهج: بشوله.

(٤) قوله: من، سقط من (أ).

(٥) في شرح النهج: سبعة أشهر ...إلخ.

(٦) في نسخة أخرى: لغيرها.

(٧) في (أ): يسلك.

وأضافهم إليه لمزيد الاختصاص بهم في انقياده لهم[1] واحتكامه لآرائهم، هم الذين زادوه تمادياً في الضلالة وإسراعاً إليها، وإما أن يكون من المدد وهو الإمهال والتسويف، وعلى هذا يكون معناه أن شياطينه قرَّبوا عليه الحال وطوَّلوا له المسافة، وهوَّنوا الأمر في التمادي في الضلالة والانهماك فيها.

(وزيَّنت له سيء أعماله): بالإغواء والوسوسة.

(فالجنة غاية السابقين): الذين سبقوا بفعل الخيرات، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[الواقعة:١٠] أي أنهم[2] لا غاية لهم إلا هي، وأنها منتهى البغية لهم.

(والنار غاية المفرِّطين): المتساهلين في أمر الدين، المخلِّين بأحكامه، التاركين لها.

(اعلموا[3] عباد الله): الملتزمين للطاعة لله.

(أن التقوى دار حصن عزيز): من سكنها وتلبس بها كان عزيزاً، والحصن استعارة.

(والفجور دار حصن ذليل): من فعله وتلبس به كان ذليلاً عند الخلق، لا وزن له عند الله.

(لا يمنع أهله): عما ينالهم من ريب الدهر وحوادثه.

---

(١) في (أ): بهم.
(٢) في (ب): أنه.
(٣) في (ب): واعلموا.

(ولا يحرز[1] من لجأ إليه): اعتصم به واتكل عليه.

(ألا): هذه للتنبيه.

(وبالتقوى تقطع حُمَةُ الخطايا): الحُمَةُ بالتخفيف هي: حمة العقرب، والحية وهي: سمها[2]، والحُمَّةُ بالتشديد هي: معظم الحر[3] وأشده[4]، وسماعنا في الكتاب بالتخفيف، ولعله مراده.

(وباليقين تدرك الغاية القصوى): من إحراز رضوان الله وهي البغية والمراد، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة:٧٢].

(عباد الله، الله الله): تحذير، ونصبه بإضمار فعل تقديره خافوا الله.

(في أعز[5] الأنفس): حرف الجر متعلق بفعل محذوف تقديره: واجتهدوا في أعز[6] الأنفس.

(عليكم): أراد أن علو حقها مختص بكم ومتعلق بكم.

(وأحبها إليكم): و[7]أكثرها محبة إليكم وهي نفس كل واحد منكم.

(فإن الله قد أوضح سبيل الحق): بما قرر[8] من الأدلة، وأزاح العلل، ومهَّد ذلك تمهيداً بالغاً.

---

(١) في (أ): ولا يجر.
(٢) في (ب): وهي الحية وهي سمهما.
(٣) في النسختين: الجسد، وهو تحريف.
(٤) في (ب): وأشره.
(٥) في (ب): إعزاز.
(٦) في (ب): إعزاز.
(٧) الواو، زيادة في (ب).
(٨) في (أ): قدر.

(وأنار طرقه): جعلها نيرة يستضيء فيها من سلكها.

(فشِقوة لازمة): الشِّقوة بالكسر هي: الحالة من الفعل كالرِّكبة، والشَّقوة بالفتح: المرة الواحدة من الشقاء، وسماعنا بالكسر، وأراد فشقوة لازمة لصاحبها، وإنما جاز[1] الابتداء بها وهي نكرة لأجل وصفها، كما قال تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾[البقرة:٢٢١].

(أو سعادة دائمة): لصاحبها، وأراد أنه لا بد من أحد الأمرين بعد إبانة الطرق وإيضاحها، كما قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[هود:١٠٥]، وقوله تعالى[2]: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[التغابن:٢].

(فتزودوا): فخذوا الزاد.

(في أيام الفناء): وهي أيام الدنيا المنقطعة.

(لأيام البقاء): وهي أيام الآخرة لأنها دائمة لا آخر لها.

(قد دللتم على الزاد): بما أوضح لكم من الطاعات واجبها ومسنونها، وأمرتم بالكف عن القبائح كلها.

(وأمرتم بالظعن): الارتحال من الدنيا، وأعلمتم بالانقطاع عنها.

(وحثثتم على المسير): بما أُرِيتُم من اخترام الأعمار وانقطاعها بالآجال.

(فإنما أنتم كَرَكْبٍ وقوف[3]): جمع راكب مثل صاحب وصحب، وهو قليل في جمع فاعل.

---

(١) في (ب): أجاز.

(٢) قوله: تعالى، زيادة في (ب).

(٣) في (أ): وقوف، وهو تصحيف، و في (ب): ركب وقوف، وما أثبته من شرح النهج.

(لا يدرون): (لا يشعرون)[1].

(متى يؤمرون[2] بالسير): ينادى فيهم بالرحيل فيرتحلون.

(ألا): للتنبيه.

(فما يصنع بالدنيا من قد خلق للآخرة): أراد إذا كان مخلوقاً للآخرة لا للدنيا وهو مرتحل عنها وهي لامحالة منقطعة عنه، فأي شيء يصنع بها والحال هذه.

(وما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه): وإذا كان المال منقطعاً عنه مسلوباً عن يديه فليت شعري ما صنعه به.!

(وتبقى عليه تبعته): نقاش حسابه فيم أنفقه؟ ومن أين أخذه.؟

(وحسابه!): والمحاسبة عليه.

(عباد الله، إنه ليس لما وعد الله من الخير مَتْرك): الضمير للشأن، وأراد أن من تحقق ما وعد الله أولياءه من النعيم المقيم واللذة الدائمة ومرافقة أنبيائه في الجنة فإنه لا ينبغي لأحد أن يتركه، ويذهب عنه، والمترك[3] هو الترك نفسه.

(ولا فيما نهى عنه من الشر مَرْغَب): أي من علم ما أعدَّه الله لأعدائه من العقاب الدائم والويل، ومرافقة الشياطين والأبالسة في النار، فإنه لا محالة لا يرغب في المنهيات ولا يقربها أبداً.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) في (ب): تؤمرون بالمسير.

(٣) في (أ): والمتروك.

(عباد الله، احذروا يوماً تُفحص فيه الأعمال): فحصت عن الأمر إذا تحققته واستبينته[1]، وأراد أنه يوم تبلى فيه السرائر، وتتحقق فيه الأحوال كلها.

(ويكثر فيه الزلزال): الزَّلزلة وفَعلال بالفتح مصدر زلزل، وهو قليل لا يأتي إلا في المضاعف، ومن قلته أنه لا يأتي بالفتح إلا وقد أتى فيه الكسر نحو زِلزال وزَلزال وقِلقال وقَلقال.

(وتشيب فيه الأطفال): من هوله وفجيعته، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا**﴾[المزمل:١٧] وإذا أرادوا العبارة عن الأمر الهائل، قالوا: هو أمر تشيب منه الصبيان، كما قالوا: أشاب الصغير فراقه لثدي أمه.

(واعلموا عباد الله): وإنما كرر هذه اللفظة بالنداء والمخاطبة إيقاظاً لهم عن الغفلة، وتعريضاً لهم إلى أن من كان عبداً فمن شأنه وأمره المواظبة على خدمة السيد والحرص على ملازمة رضاه.

(إن عليكم من أنفسكم رَصَداً[2]): رقيباً وحارساً، وأصله المصدر، ولهذا لم يثنَّ ولا[3] يجمع لذلك.

(وعيوناً من جوارحكم): العين هو: الحافظ أيضاً، وعين الأميرهو: الذي يخبره بأخبارالبلدان والأقاليم، ويكون رقيباً له، يشيربذلك إلى أن هذه الجوراح شاهدة على الإنسان بأفعاله، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النور:٢٤].

---

(١) في (ب): واستبنته.

(٢) في (ب): و في شرح النهج: إن عليكم رصداً من أنفسكم.

(٣) في (ب): ولم.

(وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم): يشير بذلك إلى الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[الانفطار:١٠-١٢].

(وعدد[1] أنفاسكم): إما مقدار تنفسكم في الدنيا ومدة لبثكم فيها، وإما مقدار جريان النَّفَسِ في الحلق ويعدُّونها واحدة واحدة.

(لا يسترُكم منهم ظلمة ليل داج): أي لا يغطيِّكم منهم ظلام الليل إذا أظلم.

(ولا يُكِنُّكم منهم باب ذو رتاج): الكنُّ: ما ستر الإنسان وغطّاه، وباب مرتج إذا كان مغلقاً أي لا يحول بينكم وبينهم باب ذو غلق.

(وإن غداً من اليوم قريب): يريد إما يوم القيامة، وإما الموت؛ لأن كل واحد منهما يكون في الأزمنة المستقبلة.

(يذهب اليوم بما فيه): من خير وشر، وعمل صالح وفاسد.

(ويجيء الغد لا حقاً به): على أثره، لا فاصل بينهما، بالمجازاة بالأعمال صالحها وطالحها.

(فكأنَّ كل امرئ منكم): جميع الخلائق.

(قد بلغ من الأرض منزل وحدته): وهو القبر؛ لأن كل واحد من الخليقة لا بد من حصوله فيه وحيداً لا أنيس معه.

(ومحط حفرته): وحيث يكون محطوطاً في حفرته.

---

(١) في (أ): مقدار أنفاسكم.

(فيا): حرف نداء، والمنادى فيه محذوف تقديره: فياقوم.

(له من بيت وحدة[1]): اللام ها هنا متعلقة بفعل محذوف تقديره: اعجبوا له، ومن بيت تميز كقولك: عجبت له رجلاً[2]، وعجبت له من رجل.

(ومنزل وحشة): يستوحش منه لفظاعته.

(ومفرد غربة!): ومكان يفرد فيه صاحبه غريباً عن أهله.

(وكأن الصيحة قد أتتكم): أراد إما نفخة الصور، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ﴾[الزمر:٦٨]، وإما أن يريد نداءهم من قبورهم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِى مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[ق:٤١]، وهي الصيحة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[ق:٤٢].

(والساعة قد غشيتكم): بأهوالها وفجائعها وعظائمها.

(وبرزتم لفصل القضاء): ظهرتم لا تخفى فيكم[3] خافية، كما قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[إبراهيم:٤٨].

(قد زاحت عنكم الأباطيل): ذهب عنكم الأقاويل الباطلة والزخارف الموهومة التي لا تنفع، ولا يجدي ها هنا إلا القول الحق، والأباطيل جمع لا واحد له ملفوظ به، وإنما كأنه[4] جمع لإبطيل لأن باطلاً لا يجمع على أباطيل.

(١) قوله: وحدة سقط من (أ).
(٢) في (أ): عجيب له من رجلاً، وهو خطأ، والصواب كما أثبته من (ب).
(٣) في (ب): منكم.
(٤) في (أ): كان، والصواب ما أثبته من (ب).

(واضمحلت عنكم العلل): الفاسدة والمعاذير الباطلة.

(واستحقت بكم الحقائق): أراد أنها ظهرت حقائق أعمالكم من خير وشر، فصيرتكم مستحقين لجزائها من ثواب أو عقاب، وجعلتكم مستوجبين لذلك من الله.

(وصدرت بكم الأمور مصادرها): وذهبت بكم الأعمال مذاهبها؛ مما يجازى عليها من ثواب أو عقاب، ويكون مستحقاً بها: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[فصلت:٤٦].

(فاتعظوا بالعبر): جمع عبرة، وهو: ما ترون من آثار من مضى قبلكم.

(واعتبروا بالغِيَر): بتغيرات الدهر وصروفه وعوارضه على أهله.

(وانتفعوا بالنذر): جمع نذير وهم: الأنبياء والعلماء، كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوا﴾[النحل:٢] وقال تعالى: ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[القمر:٣٦].

(١٤٩) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها القرآن

(أرسله على حين فترة من الرسل): يعني الرسول (عليه السلام) وقد ذكرنا حال هذه الفترة التي كانت بين الأنبياء فيما مضى، فلا وجه لتكريره.

(وطول هَجعة من الأمم): الهَجعة: نوم الليل، وأراد أن إرساله كان على طول نوم وغفلة عن الحق وانقطاع عن سبله.

(وانتقاض من المبرم): المبرم: الخيط الذي أحكم فتله، وأراد وبطلان أمرالدين كله وفساد [ما][1]أحكم منه.

(فجاءهم بتصديق الذي بين يديه): من الكتب السماوية كا لتوراة والإنجيل وما كان قبلها من الكتب المنزلة على الأنبياء.

(والنور المقتد ى به): الذي يكون إماماً لمن اتبعه واهتدى بهديه.

(ذلك): [إشارة][2]إلى قوله: الذي بين يديه.

(القرآن): أي هو القرآن الذي بين أظهركم وتتلونه في المحاريب وتقرأونه.

(فاستنطقوه): فاطلبوا منه النطق بالحكمة التي تضمنها.

---

(١) سقط من (أ).
(٢) سقط من (أ).

(ولن ينطق): نفي على جهة الاستغراق، إذ لا آلة له فينطق بها لكونه جماداً.

(ولكن أخبركم عنه): استدراك لما كان نفاه من النطق عنه، أي ولكن العلماء ينطقون عنه ويخبرون وأنا أخبركم عنه.

(ألا وإن فيه علم ما يأتي): من الأمور المستقبلة، والأحكام الحادثة.

(والحديث عن الماضي): عن الأمم الماضية، والقرون الخالية، وقصص أنبيائهم، وما فعلوه وفعل بهم.

(ودواء دائكم): والدواء الذي يتداوى به من الجهل[1]، وهو ما تضمنه من العلوم والحكم والآداب.

(ونظم ما بينكم): من التفرق في الأهواء والتشتت في المذاهب والآراء.

ثم ذكر حال بني أمية:

(فعند ذلك): يشير إلى استحكام أمرهم وقوة دولتهم.

(لا[2] يبقى بيت مَدَر): في المدن والقرى.

(ولا وَبَر): هذه الخيام التي يستعملها البدو.

(إلا وأدخله الظَّلَمَة ترحة): حزن وغمّ بأخذ الأموال على غير وجهها وسوم الخسف لأهلها.

(وأولجوا فيه نقمة): المصائب العظيمة.

---

(١) قوله: من الجهل، سقط من (ب).
(٢) في (ب): فلا.

(فيومئذ): التنوين ها هنا عوض من جملة محذوفة، و[1]قد تقدم ما يرشد إليها، وأراد فيومئذ[2] دخول الظلمة واستعظام أمرهم وغير ذلك.

(لا يبقى لكم في السماء عاذر): يقبل منكم العذر إذا اعتذرتم، من قولهم: عذره إذا قَبِلَ عذره.

(ولا في الأرض ناصر): من ينصركم على ما أنتم عليه من الذل والأخذ.

(أصفيتم بالأمر غير أهله): أصفاه بالأمر إذا آثره به، وأراد أعطيتم الخلافة غير أهلها.

(وأوردتموه غير مورده): وضعتموه[3] في غير موضعه.

(وسينتقم[4] الله ممن ظلم): أي ويجعل الله النقمة على الظلمة.

(مأكلاً بمأكل، ومطعماً بمطعم): أراد [أن][5] النَّصَفَةَ من الله تعالى تكون على جهة المساواة والاقتصاص مثلاً بمثل، فيجازي بمآكل الظلم ومشارب الظلم.

(من مطاعم العلقم): وهو شجر طعمه مرّ.

(ومشارب الصبر والمقر): ما مرَّ من الأشربة، ويكون أيضاً لباسهم:

(لباس[6] شعار الخوف): الشِّعار: ما يلي الجسم من الثياب.

(ودثار السيف): والدِّثار هو: ما فوقه من الثياب أيضاً.

---

(١) الواو، سقط من (أ).
(٢) في نسخة أخرى: فيوم.
(٣) في (ب): وضيعتموه.
(٤) في (أ): وسينقم.
(٥) سقط من (أ).
(٦) في (أ): لباسهم.

(وإنما هم مطايا الخطيئات): الحمَّالون لأثقالها.

(وزوامل الآثام): الزاملة: بعير يستظهر به الرجل، يحمل طعامه ومتاعه عليه.

(فأقسم): أراد بالله؛ لأن القسم لايكون إلا به، وهو أجل من يحلف به، وفي حديث ابن عمر: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[1]، وفي حديث آخر: «إذا حلفتم فاحلفوا بالله أوفاصمتوا»[2].

(ثم لأقسم): بالله مرة ثانية تأكيداً في اليمين ومبالغة فيها.

(لتَنْخَمَنَّها أمية من بعدي[3]): أراد بذلك خروج الخلافة من أيدي بني أمية وعدم عودها إليهم، والمعنى ليخرجونها ويلفظونها.

(كما تلفظ النخامة): [وأراد بذلك إما سرعة خروجها من أيديهم كخروج النخامة][4]، وإما أن يكون سهولة خروجها من أيديهم أيضاً.

(ثم لا تذوقها ولا تتطعم بطعمها): أي لا يتنعمون فيها بمذاق

---

(١) رواه الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) في أصول الأحكام، من كتاب الأيمان والكفارات، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٠/٢٠٠، والهيثمي في موارد الظمآن ١/٢٨٦، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠/٢٩، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٨/٢٣٩ وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل ٢/٦٧، ٨٧، ١٢٥، ومشكاة المصابيح للتبريزي (٣٤١٩)، وفتح الباري ١٠/٥١٦، وكنز العمال رقم (٤٦٣٢٨) وتفسير ابن كثير ٤/٣٤٢ وغيرها.
(٢) له شاهد رواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام ٤/٢٨٢ عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» ثم ذكر رواية أخرى للحديث مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال: هذه من روايات البخاري ومسلم، وللباقين نحواً من ذلك.
قلت: ورواه في أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان بلفظ: «من حلف فليحلف بالله أو ليصمت».
(٣) في (ب) و في شرح النهج: من بعدي، كما أثبته، وفي (أ): بعدي، بدون حرف الجر: من.
(٤) ما بين المعقوفين، سقط من (أ).

ولا مطعم، كما كانوا من قبل.

(ما كرَّ الجديدان): ما اعتقب الليل والنهار، كما قال ابن دريد:

إنَّ الجديدين إذا ما استوليا على جديدٍ أدْنَيَاهُ للبَلى

(ولقد أحسنت جواركم): مجاورتي لكم[1] ببذل النصيحة لكم والقيام فيكم بأمر الله تعالى.

(وأحطت بجهدي من ورائكم): أي كان رعايتي لكم بمنزلة من جعل لكم حائطاً من وراء أظهركم يحوطكم به، لا تؤتون من ورائكم.

(وأعتقتكم من ربق الذل): واحدتها ربقة، وهي: عرى تجعل لأولاد الضأن.

(وحَلَق الضيم): الضيم: الظلم، وأراد إما حلق الظلم وهي المعاملة به، وإما حلق الظلم جمع حلقة مثل نعمة ونعم.

(شكراً مني للبر القليل): أي فعلت ذلك معكم شكراً مني لما يلحقني من بركم القليل.

(وإطراقاً): أطرق إذا سكت وخفض بصره إلى الأرض.

(عمّا أدركه البصر): رأته عيني.

(وشهده البدن): من سوء المعاملة والنكوص عند الأمر والمخالفة لي.

(من المنكر الكثير): من الأمر الذي ينكره العقل، وتأباه الطبائع[2] العالية، والنفوس الأبية من المعاملة لمثلي به.

---

(١) في (ب): مجاوراتكم.

(٢) في (ب): الطباع.

(١٥٠) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها الدنيا

(أمره قضاء وحكمة): جميع ما أمر به فهو قضاء لا يمكن ردُّه، وحكمة لا خطأ فيها ولافساد يلحقها.

(ورضاه أمان): من سخطه وعقابه.

(ورحمة): لطف في فعل الصالحات من الأعمال.

(يقضي بعلم): بما يعلمه، والباء هذه إما للحال أي يقضي عالماً بكل ما يقضيه، وإما للمصاحبة كقوله: خذ هذا بهذا، وأراد أن علمه مصاحب لقضائه لا ينفك عنه.

(ويغفر[1] بحلم): يجري على حد ما ذكرناه فيما قبله من تفسير الباء ومعناها.

(اللَّهُمَّ، لك الحمد على ما تأخذ): من الأموال والنفوس بالموت والإهلاك.

(وتعطي): من ذلك كله، أو على ما تأخذ من الأعمال وتقبلها، وعلى ما تعطي من جزائها بالثواب.

---

(١) في النهج: ويعفو.

(**وعلى ما تعافي**): تمنُّ بالعافية وإعطائها.

(**وتبتلي**): بإنزال الآلام والأسقام.

(**حمداً**): منصوباً على المصدرية، وقد صار عوضاً عن الفعل بحيث لا يجوز ذكره معه كقولك: سقياً ورعياً وغير ذلك من المصادر.

(**يكون أرضى الحمد لك**): أدخل الثناءات الحسنة في رضاك.

[(**وأحب الحمد إليك**): أعظم ما يكون من المحبة إليك وأدخلها في ذلك][1].

(**وأفضل الحمد عندك**): أدخله في الفضل، وأعلاه في الدرجة.

(**حمداً يملأ ما خلقت**): من السماوات والأرضين.

(**ويبلغ ما أردت**): من الثناء والإعظام لك.

(**حمداً لا يحجب عنك**): ثناؤه.

(**ولا يقصر دونك**): أمده.

(**حمداً لا ينقطع عدده**): على تكرر الأزمان والأوقات.

(**ولا يفنى مدده**): أي زيادته، من الإمداد وهو: الزيادة.

(**فلسنا نعلم كنه عظمتك**): لقصورنا عن ذلك وعجزنا عنه، وهذا منه تصريح بأن عظمة الله تعالى لا تعلم لأحد من البشر.

---

(١) ما بين المعقوفين، سقط من (ب).

(**إلا أنَّا نعلم**[1] **أنَّك حي قيوم**): هذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً على معنى أنه مندرج تحت الكنه، وهذا كقولك: أنا لا أعرف غاية حالك[2] إلا أني أعرف أنك مؤمن، ويحتمل أن يكون منقطعاً على معنى أن الكنه غير معلوم لأحد من الخلق، ويكون المعنى، لكن[3] العلم بأنك حي قيوم حاصل لنا، كقولك: ما له ابن إلا أنه باع داره.

(**لا تأخذك سنة ولا نوم**): السِنَةُ: أوائل النوم وهو الذي يسمى النّعاس، والنوم هو: ذهاب العقل والإدراكات كلها.

وفي حديث موسى (عليه السلام) أنه سأل الملائكة، وكان السؤال من قومه كطلب الرؤية: أينام ربنا؟

فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً، ولا يتركوه ينام، ثم قال له: «خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما، وألقى الله عليه النعاس فضرب أحدهما بالأخرى فانكسرتا، ثم أوحى إليه: قل لقومك هؤلاء: إني أمسك السماوات بقدرتي، فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا»[4].

(**لم ينته إليك النظر**[5]): وهو تحديق الأعين ومقابلتها، إذ لو كان الأمر كذلك لكنت ذا جهة.

---

(١) في (ب) و في شرح النهج: نعلم، كما أثبته، وفي (أ): لنعلم.

(٢) في (ب): لا أعرف ما حالك.

(٣) قوله: لكن، سقط من (أ).

(٤) رواه في الكشاف ١/٣٢٧-٣٢٨، ومجمع الزوائد ١/٨٣، ومسند أبي يعلى ٢١/١٢، وتاريخ بغداد١/٢٦٨.

(٥) في النهج: نظر.

(**ولم يدركك البصر**[1]): إذاً لكنت من جنس هذه المرئيات، ولكنت مقابلاً لها في جهة[2] من جهاتها كسائر المدركات منها.

(**أدركت الأبصار**): كما قال تعالى: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**﴾[الأنعام:١٠٣].

(**وأحصيت الأعمال**): أحاط بها بالكتب والعلم، كما قال تعالى: ﴿**وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**﴾[الجن:٢٨].

(**وأخذت بالنواصي والأقدام**): عقوبةً وانتقاماً[3] لأهل معصيتك وعداوتك، كما قال تعالى: ﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**﴾[الرحمن:٤١].

(**وما الذي نرى من خلقك**): تدركه أبصارنا من هذه المخلوقات الباهرة، وما هذه استفهامية، وما بعدها يكون خبراً لها، والتقدير: وما الذي نراه فهو حقير مستصغر بالإضافة إلى قدرتك.

(**ونعجب له من قدرتك**): وتعجب له العقول من كمال قدرتك.

(**ونصفه من عظيم سلطانك**): وتنطق الألسنة بوصفه من عظم[4] استيلائك.

(**وما تغيَّب عنّا منه**): من جميع ذلك كله وستر عنّا.

---

(١) في النهج: بصر، وكذا في نسخة ذكر في هامش (ب).

(٢) قوله: في جهة، سقط من (ب).

(٣) في (أ): وانتقام.

(٤) في (ب): عظيم.

(**وقصُرَت أبصارنا عنه**): ورجعت متقاصرة عن بلوغ غايته.

(**وانتهت عقولنا دونه**): وكانت العقول متناهية دون غايته.

(**وحالت سواتر الغيوب**): وكانت العلوم الغيبية حائلة:

(**بيننا وبينه**): فلا[1] سبيل إلى علمه، وما في قوله: ما تغيَّب موصولة بمعنى الذي، والتقدير: والذي تغيب عنّا وتقصر عنه أبصارنا:

(**أعظم**): من ذلك وأكبر[2]، وإنما ترك ذكر متعلق أعظم للعلم به، كما قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾[طه:٧] وكقول القائل: الله أكبر أي أكبر من كل كبير.

(**فمن فرَّغ**[3] **قلبه**): عن مزدحم الأشغال.

(**وأعمل فكره**): آناء الليل، وأطراف النهار.

(**ليعلم كيف أقمت عرشك**): ليتحقق على أي حال كانت استقامته، وكيف ها هنا معمولة لأقمت، والعلم ها هنا، إما بمعنى المعرفة فيكون له مفعول واحد، أو على ظاهره فيكون لها[4] مفعولان، والجملة الاستفهامية سادة مسدهما أي ليعلم أن[5] استقامة عرشك حاصلة.

---

(١) في (ب): ولا.

(٢) في (أ): وأكثر.

(٣) في (أ): فرَّ، وهو تحريف. وفي (ب) كما أثبته.

(٤) في (ب): له.

(٥) قوله: أن، زيادة في (ب).

(وكيف ذرأت خلقك): فرقتهم في أقطار الأرض وأقاليمها، وبرها وبحرها وسهلها وجبلها.

(وكيف علقت في الهواء سماواتك): من غير قرار يوثقها، ولا عمد يدعمها مع انبساطها العظيم، وامتداد أطرافها.

(وكيف مددت على مَوْر الماء أرضك): قد تقدم من كلامه أن الأرض مدحوة على الماء، وأن استقرار الماء إنما هو على الريح، وهذا من عجيب القدرة أن الماء ينافي الأجزاء الأرضية، وأن بلة الماء تفرق التئام الأرض، ومع ذلك فإنها استمسكت بقدرة الله عليه، فسبحان الجامع بين الأضداد، والمؤلف بين المتباعدات.!

(رجع طرفه حسيراً): كالّاً عن الإحاطة بذاك.

(وعقله مبهوراً): مغلوباً من بهره إذا غلبه، من قولهم: بهر النهار ضوء القمر، وبهر الشفق نورالهلال.

(وسمعه والهاً): دهشاً ذاهباً، من الوله وهو: ذهاب العقل.

(وفكره متحيراً): لا يستطيع ذهاباً ولا تصرفاً، في النظر والارتياء.

ثم قال:

(يدعي بزعمه أنه يرجو الله): أراد أن الإنسان يقول من جهة لسانه: إنه يرجو الله تعالى، ويؤمِّل خيره ومعروفه، وينتظر عوارف إحسانه.

(كذب[1] والعظيم!): في مقالته هذه في زعمه هذا، فإن كان ما قاله

(١) في (أ): وكذب.

حقاً ومقالته صدق[1]:

(فما باله لايتبيَّن[2] رجاؤه في عمله): أراد أن كل من كان رجاؤه صادقاً محققاً فإنه يعمل عملاً صالحاً يكون واصلاً به إلى مرجوه من عمل الطاعات، وكل من كان خائفاً خوفاً محققاً فإنه يكون عاملاً بما[3] تقتضيه حقيقة الخوف من الانكفاف عن المعصية، وما ترى من يرجو إلا مقصراً في الطاعة، وما ترى من يخاف إلا موافقاً للمعصية، وفي هذا دلالة كافية على عدم التحقق فيهما جميعاً.

(فكل من رجا عُرِف رجاؤه في عمله، [وكل رجاء][4] إلا رجاء الله فهو[5] مدخول): أراد أن كل رجاء فإنه يظهر حكمه وتثمر حقيقته من كل راجٍ -ما خلا رجاء الله-؛ فإنه لا حكم له ولا حقيقة لثبوته، فهو مدخول أي مشوب ليس خالصاً، أخذاً من قولهم: دخل في بني فلان أي ليس منهم، أو فيه مكر وخديعة، من قولهم: هذا الأمر فيه دخل أي خديعة ومكر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾[النحل:٩٤].

(وكل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول): أي كل خوف فحكمه يظهر إلا خوف الله فإنه لا حكم له ظاهر، وهو معلول أي غير صحيح.

(١) في (ب): ما قاله حقاً محققاً، ومقالته صدقاً.
(٢) في (ب): لايبيّن.
(٣) في (أ): ما.
(٤) سقط من (ب)، ومن شرح النهج.
(٥) في النهج: فإنه.

(يرجو الله في الكبير، ويرجو العباد في الصغير): أراد أن العبد إنما رجاؤه لله في الجنة والفوز بنعيمها ولذاتها، وذلك أكبر ما يكون وأعظمه، ويرجو العباد في أحقر ما يكون من الدنيا ومتاعها، ثم مع ذلك يختلف حال الإنسان فيخضع لمخلوق في طلب الحقير ويتواضع له، ولا يتواضع لله تعالى بالطاعة ويخضع لجلاله.

(فيعطي العبد): من التعظيم والإجلال.

(ما لا يعطي الرب!): من ذلك مع أنه[1] كان أحق لذلك وأهلاً له.

(فما بال الله جل جلاله[2]): تعجب من صنع العبد في ذلك.

(يُقصَّر به عمّا يُصنع لعباده!): يعطي دونما يعطي العباد من ذلك، ويكون حقه دون حقهم.

(أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً): فلأجل هذا قصَّرت في حاله لأنك على غير معلوم من رجائك.

(أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً!): أو لا يكون أهلاً لإعطاء ما ترجوه، وكلاهما باطل لا حقيقة له فهذه حالة الرجاء.

(وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده): واحداً من أمثاله ومخلوقاً يشبهه[3].

(أعطاه من خوفه): من القلق والانزعاج وتغير الحال والفشل، وزوال النوم.

(١) في (ب): مع كونه كان أحق بذلك.
(٢) في شرح النهج: ثناؤه.
(٣) في (ب): شبهه.

(ما لا يعطي ربه): من ذلك.

(فجعل خوفه من العباد نقداً): بمنزلة النقد في المواظبة عليه، والعمل بمقتضاه.

(وخوفه من خالقهم[1] ضماراً): غير موثوق به، والضمار: كل ما لا يوثق به من وعد ودين.

(ووعداً): غير موثوق بصحته[2]، والسبب في صحة ماقاله من الخوف والرجاء، أما الخوف فلأمرين:

أما أولاً: فلأجل كرمه ورحمته الواسعة.

وأما ثانياً: فلأجل [ما][3] يُرَى من حلمه عن العصاة، وتأخير النقمة عنهم، فلهذا كان خوفه من الله تعالى رجاء لما ذكرناه، فأما العباد فإنما دأبهم تشفي الغيظ، وعدم الرحمة والرأفة ومعاجلة الا نتقام، وأما الرجاء فلأن الخلق إنما كانت عطيتهم مع حقارتها ليس مراعاة لمصلحة، وإنما هي لطلب[4] النفع [فيفعل في مقابلة][5] تلك العطية ما يكون سبباً في مثلها وحصولها.

(وكذلك): أي ويشبه ما ذكرناه من إيثار[6] حق غير الله على حق الله.

(١) في (أ): حالهم، وما أثبته من (ب)، وفي النهج: خالقه، والعبارة في (ب): وخوفهم من خالقهم ضماراً.
(٢) في (ب): بمجيئه.
(٣) سقط من (أ).
(٤) في (ب): بطلب.
(٥) لفظ ما بين القوسين في (أ): فيعقل في مقالته، وما أثبته من (ب) لوضوحه.
(٦) في (ب): إيثاره.

(من عظمت الدنيا في عينه): استعظمها وأكبرها في نفسه.

(وكَبُر موقعها من[1] قلبه): حتى خالطته، والتبسته وعظمت عليه.

(آثرها على الله تعالى): استأثر بالشيء إذا اختص به، وآثر هذا على غيره إذا رآه أحق من غيره، قال الله تعالى: ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[النازعات:٣٨].

(فانقطع إليها): بالمحبة وتهالك في طلبها فلا غرض له سواها.

(وصار عبداً لها): مشغولاً بخدمتها، بمنزلة عبد مشغول بخدمة سيده.

(ولقد كان في رسول الله [ﷺ][2] كاف لك): الكافي يحتمل أن يكون صفة على ظاهره أي أمر كافي لك، ويحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الكفاية، قال:

كَفَى بِالنَّأْيِ مِن أَسْمَاءَ كَافِي

(في الأسوة): أي القدوة، وأراد أن أمر رسول الله في الدنيا ونبذها واطّراحها هو الغاية في الاقتداء، والتأسي بأمره فيها.

(ودليل لك[3] على ذم الدنيا وعيبها): فإنه عابها وذمَّها بفعله وقلبه ولسانه لما فيها من بلاويها.

(وكثرة مخازيها): جمع مخزاة وهي الذل والهوان، قال جرير:

وإن حمًى لم نحمه غير فُرْتِنا
وغَيْر ابن ذي الكِيرَيْن خزيان ضائعُ[4]

---

(١) في (أ): في.
(٢) زيادة في شرح النهج.
(٣) لك، زيادة في النهج.
(٤) لسان العرب ٨٢٩/١.

[والفُرْتُ: الشدة][1].

(ومساويها): جمع مسواة، وهي السوء

(إذ قُبِضَتْ عنه أطرافها): إذ ها هنا ظرف زمان، والعامل فيه قوله: كافٍ، إذا قلنا: إنه صفة، فأما إذا قلنا: إنه مصدر فلا يجوز تعلقه به؛ لما في ذلك من الفصل بين المصدر ومعموله بالأجنبي، ولأنه لايعطف عليه إلا بعد تمامه بصلته ومتعلقاته، وإنما يكون متعلقاً بما تعلق به خبركان في قوله: في رسول الله.

(وَوُطِّئَتْ لغيره): ممن أوتيها[2] من أهلها.

(أكنافها): جوانبها وأراد التمكن من لذاتها، والتنعم في طيباتها.

(وَفُطِمَ عنه[3] رضاعها): منع عن ارتضاعها[4]، ولم يمكّن منه.

(وَزُوِيَ عن زخارفها): الزخارف هي: الزينة، وأمره (عليه السلام) في رفض الدنيا واطّراحها ظاهر لا شك فيه من عيفتها ونبذها واطّراحها.

ويحكى أنه دخل يوماً على فاطمة فناولته رغيفاً من شعير، فقال: «إنّه لأول طعام دخل فمَّ أبيك منذ ثلاثة أيام»[5].

وعن عائشة أنها قالت: (كانت تمضي علينا أيام وما لنا طعام[6]؛

---

(١) سقط من (أ).
(٢) في (ب): أودّها.
(٣) في نسخة أخرى: من، و في شرح النهج: عن.
(٤) في (ب): ارتضاعه.
(٥) رواه في مجمع الزوائد ٣١٢/١٠، ومسند أحمد بن حنبل ٢١٣/٣، والترغيب والترهيب ٩٢/٤.
(٦) في (ب): ومالنا من طعام.

إلا الأسودان: الماء والتمر)[1].

(وإن شئت ثنَّيتُ بموسى كليم الله): وإنما قال: كليم الله؛ لأن الله تعالى اختصه بأن كلمه من غير واسطة، بأن خلق الكلام فسمعه موسى وفهمه وعقل عن الله أمره، كما قال تعالى: **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾**[النساء:١٦٤].

(إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص:٢٤]**، والله ما سأله إلا خبزاً يأكله)**: يعني لم يسأله شيئاً من زخارف الدنيا ولذاتها؛ وإنما سأل أحقر الأشياء وأدناها، وهو قرص خبز.

(لأنه كان يأكل بقلة الأرض): حشائشها[2]، فلهذا كان مشتهياً لأكل الطعام، وأراد إني لأجل شيء تنزله عليَّ غث أوسمين أوغيره من أنواع ما يؤكل مفتقر محتاج إلى أكله.

(ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه): شفَّ الشيء إذا رقَّ، والشفيف: الرقيق من كل شيء، والصفاق هي: الجلدة السفلى التي تحت الجلدة التي عليها الشعر.

(لهزاله)[3]: ضعفه.

(١) له شاهد أخرجه الإمام المرشد بالله (عليه السلام) في الأمالي الخميسية ١٧٠/٢ بسنده عن عائشة من حديث وفيه: «قالت: وكان يأتي علينا الشهر ما نستوقد فيه ناراً إنما هما الأسودان: التمر، والماء ...إلخ. وانظر قريباً منه النهاية لابن الأثير ٤١٩/٢.

(٢) في (ب): خشاشها، وفي نسخة: خشايشها.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٣٠/٩ في ذكر تفسير أمير المؤمنين (عليه السلام) لقوله تعالى: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ قال ما لفظه: وبالتفسير الذي فسر (عليه السلام) الآية فسرها المفسرون، وقالوا: إن خضرة البقل كانت ترى في بطنه من الهزال، وإنه ما سأل الله إلا أكلة من الخبز. انتهى. وانظر الكشاف ٤٠٦/٣.

(وتشذب لحمه): تفرقه وتقطعه، والتشذيب: التقطيع، من قولهم: شذبت النخلة إذا قطعتها.

(وإن شئت ثلَّثتُ بداود صاحب المزامير): صاحب الأصوات الحسنة الطيبة الرشيقة التي كأنها مزامير، لما يظهر من طيبها وسلوسة نغماتها.

(وقارئ أهل الجنة): أحسنهم قراءة، وأجودهم نغمة فيها.

سؤال؛ الجنة لا مشقة فيها، والقراءة يلحق بفعلها المشقة، فكيف قال: قارئ أهل الجنة؟

وجوابه؛ أنه[1] يحتمل أن يقال: إن معناه أقرأ من يدخل الجنة، ويحتمل أن تكون القراءة من جملة ما يلتذ به أهل الجنة، ويرتاحون إليها، وتكون من جملة الملاذ الطيبة.

(فلقد كان يعمل سفائف[2] الخوص بيده): السفيفة: إناء من خوص، والخوص: ورق النخل.

(ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها؟): عرضها في السوق لتباع.

(ويأكل قرص شعير[3] من ثمنها): زهداً في الدنيا، ورغبة عنها، وتقرباً إلى الله تعالى أن يأكل من كدِّ يده.

ويحكى أن داود (عليه السلام) لما ملك على بني إسرائيل، كان يخرج متنكراً

(١) قوله: إنه سقط من (ب).

(٢) في (أ): شفائف، وهو تصحيف.

(٣) في النهج: الشعير.

فيسأل[1] الناس عن نفسه، فقيَّض الله له ملكاً على صورة آدمي، فسأله عن سيرته؟ فقال: نعم الرجل هو، لولا خصلة فيه، فريع[2] داود فسأله عن ذلك فقال: لولا أنه يطعم عياله من بيت المال، فسأل ربه عند ذلك أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال، فعلمه صنعة الدروع[3].

(وإن شئت قلت في[4] عيسى بن مريم): فإنه نبي من أنبياء الله أكرمه الله تعالى.

(فلقد كان يتوسد الحجر): عند نومه لا يوطئ له مهاد للنوم.

(ويأكل الخشن[5]): من الطعام، وهو خلاف الطيب النفيس.

(ويلبس الخشن): من الثياب، وهو الصوف.

(وكان إدامه الجوع): الإدام: ما يؤكل به الخبز من لحم أو غيره، وفيه وجهان:

أما أولاً: فبأن يريد أنه لا يأكل من الخبز شبعه، بل يأكل مقدار ما يبقى معه جوعه، فلما كان الجوع مصاحباً للأكل، كان الجوع كأنه إدام لما كان من حق الإدام أن يصاحب الخبز.

وأما ثانياً: فبأن يكون مراده أن يكون الإدام مما يرغب[6] فيه عند

(١) في (ب): فسأل.
(٢) أي فزع.
(٣) الكشاف ٣/٥٨١.
(٤) في (ب) وفي نسخة أخرى والنهج: في، كما أثبته، وفي (أ): وعيسى.
(٥) في شرح النهج: الجشب.
(٦) في (ب): رغب.

الأكل، فلما كان عيسى راغباً في الجوع عند أكله للخبز كرغبة غيره في الإدام كان كالإدام له.

(وسراجه بالليل القمر): أراد أنه لا بيت له فيسرج عند إيوائه إليه، وإنما سراجه ما ليس سراجاً لأحد وهو القمر، كما يقال: الدنيا مال من لا مال له.

(وظلاله في الشتاء): مسكنه في أيام البرد، والظلال: ما أظلك من سحاب وغيره، فيكون أكناناً له، وأراد أنه يقعد[1] في أيام البرد في أول النهار.

(في مشارق الشمس): حيث تشرق، وفي آخر النهار.

(في مغاربها): حيث تكون غاربة، وإنما خصَّ أيام الشتاء لفرط بردها المؤذي.

(وفاكهته وريحانه): الفاكهة: ما يستطرف ويأتي في نادر الأوقات، والريحان هو: الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾[الرحمن:١٢] فالفاكهة والرزق في حقه إنما هو:

(ما تنبت الأرض للبهائم): من الحشائش من أجل البهائم، وذكره للبهائم تعريف بأنه لا فرق بينه وبين البهائم في المعيشة، واستحقاراً بها[2].

(ولم تكن له زوجة تفتنه): تكون فتنة له ومحنة وبلوى، أو يُفتَنُ بها وتكون سبباً لشغله عن الآخرة.

(١) في (أ) و(ب): يفعل، وفي نسخة أخرى: يقعد كما أثبته.
(٢) في نسخة أخرى: لها.

(ولا ولد يحزنه): يلحقه الهم والحزن بسببه، ولأجل ما يصيبه من الألم والغم.

(ولا مال يلفته): يصرف وجهه عن الإقبال إلى الآخرة، والاشتغال بها، من قولهم: لفت وجهه عني إذا صرفه، قال الله تعالى: ﴿**لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾[يونس:٧٨]، وفي الحديث: «إن من أقرأ الناس للقرآن منافقاً لا يدع واواً ولا ألفاً إلا لفته بلسانه، كما تلفت البقرة الخلى بلسانها»[1] أي يلويه بلسانه.

(ولا طمع يذله): إذ لا أذلّ للرقاب المتصعبة من طلب المطامع.

(دابته رجلاه): يمشي بهما بمنزلة المركوب من الدواب.

(وخادمه يداه): يستعمل[2] بهما ما يعود عليه نفعه، فهذه حال هؤلاء الأفاضل من الأنبياء في الدنيا وحالها عندهم.

(فتأسَّ بنبيك الأطيب الأطهر [ﷺ][3]): أي تعزَّى بهم، وتأسَّى بحالهم وليكونوا لك قدوة، والأسوة ها هنا [ما][4]تأسَّى [به][5]الحزين وتسلَّى به[6]، وأراد البالغ في الطهارة عن كل الأرجاس والبالغ في الطيب عن المدانس[7] كل مبلغ، فلا غاية هناك إلا وقد وصلها.

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢٥٩/٤، ولسان العرب ٣٧٩/٣، وأورده ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥٦/٢ من قول حذيفة، وكذا في مختار الصحاح ص٦٠٠-٦٠١.

(٢) في (ب) وفي نسخة أخرى: يشتغل

(٣) زيادة في شرح النهج.

(٤) زيادة في (ب).

(٥) زيادة في (ب).

(٦) لفظ العبارة في نسخة أخرى: ما يأتسي به الحزين ويتسلى به.

(٧) في (ب): المداس.

(فإن فيه أسوة لمن تأسى): القدوة العظمى لمن اقتدى به، والهداية الكبرى لمن اتبعه.

(وعزاءً لمن تعزَّى[1]): وتسلية لمن تسلَّى بحاله.

(وأحب العباد إلى الله من[2] تأسى بنبيه [والمقتص لأثره][3]): أقربهم إليه وأرضاهم عنده، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[آل عمران:٣١]، وقوله تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[النساء:٨٠]، والضمير إما لله، وإما للتأسي فكلاهما محتمل.

(قضم الدنيا قضماً): القضم هو: الأكل بأطراف الأسنان، وأراد منه قلة الأكل وقلة الرغبة؛ لأن كل من رغب في أكل طعام فإنه يأكله بجميع أسنانه.

(ولم يعرها طرفاً): ولم يلحظها بجفن عينه، أي لم يلتفت إليها في حالة من الحالات، وأراد أنه لم يسمح لها[4] بإعارة نظرة مبالغة في ذلك.

(أهضم أهل الدنيا كشحاً): الكشح: ما بين الخاصرة إلى الأضلاع، وأهضمهم أي أدقّهم.

(وأخمصهم من الدنيا[5] بطناً): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أضمرهم بطناً، ومنه قولهم: بطن مخمص إذا كان ضامراً.

---

(١) في (ب): تأسي.

(٢) في النهج: المتأسي.

(٣) زيادة في (ب) و في شرح النهج.

(٤) في (ب): بها.

(٥) قوله: من الدنيا، سقط من (ب).

وثانيهما: أن يريد أجوعهم، أخذاً من المخمصة وهي المجاعة.

(عرضت عليه الدنيا): حيث قيل له: «أتحبُّ أن أجعل لك بعدد شجر تهامة ذهباً، أو أعطيك جميع خزائن الأرض، ولا[1] ينقص من أجرك شيئاً».

(فأبى أن يقبلها): بقوله: «أجوع يوماً فأسألك، وأشبع يوماً فأشكرك»[2].

(وعلم[3] أن الله أبغض شيئاً): حيث يقول: «ما تقرَّب إليَّ المتقربون بمثل الزهد في الدنيا»[4].

(فأبغضه): حيث قال: «حبُّ الدنيارأس كل خطيئة»[5].

(وحقَّر شيئاً): بقوله: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[العنكبوت:٦٤].

---

(١) في (ب): ثم لا ينقص.

(٢) له شاهد أخرجه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص ٧٦ بسنده يبلغ به إلى الإمام علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أتاني ملك فقال: يا محمد، انَّ ربك يقرئك السلام، ويقول: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهباً، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: يا رب، أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك».

(٣) في (أ): واعلم.

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٢٣٢/٢، والقضاعي في مسند الشهاب ٣٢٧/٢، وله شاهد بلفظ: «ما عبد الله بشيء أفضل من الزهد في الدنيا» أخرجه الموفق بالله في الاعتبار ص ٤٨ بسنده عن عمار بن ياسر.

(٥) رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام) في تكملة الأحكام صـ ١٠٨، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٢٠/٤، وعزاه إلى مصادر عدة منها: إتحاف السادة المتقين ١٣١/٣، ٣٥٤/٧، وكنز العمال برقم (٦١١٤)، والدر المنثور للسيوطي ٣٤١/٦، والأسرار المرفوعة ١٧٩، وكشف الخفاء ٤١٢/١، ٤١٣ وغيرها.

(فحقَّره): حيث قال: «لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة ما سُقي منها كافر[1] شربة»[2].

(وصغر شيئاً): بقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥].

(فصغَّره): حيث قال: «الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل[3] قلعة» إلى غير ذلك مما يؤذن من كلامه بحقارتها وهونها.

(ولو لم يكن فينا): من سقوط الهمة، وركة العزيمة.

(إلاحبنا ما أبغض الله): بالإرادة لها، والمثابرة على تحصيلها على أي وجه.

(وتعظيمنا): بما كبر في أعيننا من وزنها.

(ما صغَّر الله): من حالها وأمرها.

(لكفى به شقاقاً لله): مخالفة لأمره، والشقاق هو: الخلاف والعداوة.

(ومحادَّة عن أمر الله): [المحادة][4]: منعك مايجب عليك منه، ومنه إحداد المرأة و هو امتناعها من الزينة بعد موته، وحددته[5] عن كذا

---

(١) في نسخة أخرى: كافراً بالنصب على أنه مفعول به للفعل سقى، والتقدير: ما سقى الله منها كافراً.

(٢) أخرجه الإمام المرشد بالله (عليه السلام) في الأمالي الخميسية ١٦١/٢ بسنده عن علي (عليه السلام) واللفظ في آخره: «ما سقى الكافر منها شربة من ماء»، ورواه الإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار وسلوة العارفين ص ٦٧ بلفظ «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة من ماء» وانظر تخريجه في الاعتبار.

(٣) في (أ): ومنزلة، والحديث رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٢٨١/٥..

(٤) زيادة في (ب).

(٥) في (ب): يقال: حددته...إلخ.

إذا منعته عنه، ثم إنه مع تصريحه بكراهتها من لسانه يفعل أفعالاً تؤذن أيضاً ببغضها.

(ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض): من غير مائدة تنصب لطعامه، كما يفعله الأعاجم.

وعن بعض الصالحين أنه قال: (أربعة أحدثت بعد النبوة: الموائد، والمناخل، والأشنان[1]، والشبع).

(ويجلس جلسة العبد): وهو أن يجلس رافعاً لأخمص قدميه إلى فوق، ويضع إليتيه عليهما ويجعل بطنه على فخذيه ويحني ظهره، وقد قال (عليه السلام): «إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد»[2].

(ويخصف بيده نعله): الخصف: تسوية ما انقطع من سيور الحذاء.

(ويرقع بيده ثوبه): لا يرقعه غيره من ورائه، كما يفعله المترفون.

(ويركب الحمار العاري): عن الإكاف[3] والسرج.

---

(١) في نسخة أخرى: والأستار.

(٢) ذكره في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٢٦/٣ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٢١٤/٥، ١١٦/٧ وتأريخ أصبهان لأبي نعيم ٢٧٣/٢، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٣٤/٩ بلفظ: «إنما أنا عبد آكل أكل العبيد، وأجلس جلسة العبيد». وأخرجه بلفظ المؤلف هنا الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩/٩، ومعمر بن راشد في الجامع ٤١٧/١٠، وأبو يعلى في مسنده ٣١٨/٨، والإمام أحمد بن عيسى (ع) في أماليه ٣٤٩/٢ بسنده عن جعفر بن محمد، عن أبيه.

(٣) الإكاف: البَرْذَعَة -بالفتح، وهو الحلس الذي يلقى تحت الرَّحْل.

(ويردف خلفه): المرأة من نسائه والصبي والرجل، كل ذلك يفعله تواضعاً لله، وإزالة للكبر عن نفسه والخيلاء.

(ويكون الستر على باب بيته): الستر: ثياب تستر بها الأبواب مبالغة في التستر، وعلى هذا حمل قوله تعالى: ﴿حِجَاباً مَّسْتُوراً﴾[الإسراء:٤٥]، أي حجاباً مجعولاً عليه ستارة.

(فتكون فيه[1] التصاوير): جمع تصوير [كتقدير[2]] وتقادير، وأراد به صورة الحيوانات لأنه هو المكروه، وما عدا ذلك ليس مكروهاً.

(فيقول: يا فلانة[3]): لبعض نسائه.

(غيبيه عني): أزيليه عن بصري ورؤيتي.

(فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا): زينة الدنيا المنقطعة.

(وزخارفها): الزخرف: الذهب، وكل مموّه يقال له: زخرف.

(فأعرض عن الدنيا بقلبه): صرف قلبه عن لذاتها وزينتها.

(وأمات ذكرها من[4] لسانه): فلم يذكرها قط إلا بما يكون ترغيباً عنها، وتحقيراً لها وتصغيراً لحالها.

(وأحب أن تغيب زينتها من[5] عينه): كما ذُكِرَ في هذه القصة في تغييب الستر.

---

(١) في (أ): له.

(٢) سقط من (أ).

(٣) في شرح النهج: فيقول يا فلانة لإحدى أزواجه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٤) في (ب): عن، وفي شرح النهج: من نفسه.

(٥) في (ب): عن.

(**لكيلا يتخذ منها رياشاً**): الرِيَاش هو: اللباس الفاخر.

(**ولا يعتقدها قراراً**): [أراد][1] أن يكون موضع قرار يستقرفيه.

(**ولا يرجو فيها مقاماً**): لانقطاعها وزوالها.

(**فأخرجها من النفس**): بأنه لم يجعل لنفسه فيها ميلاً ولا محبة.

(**وأشخصها من قلبه**[2]): بنسيانها واطِّراحها والإعراض عنها.

(**وغيَّبها عن البصر**): فلا يحب رؤيتها.

(**وكذلك**): الإشارة إلى البغض لها أي ومن أجل ذلك:

(**من أبغض شيئاً**): كرهه ونفر عنه.

(**أبغض أن ينظر إليه**): بعينه.

(**وأن يذكر عنده**): ويبغض ذكره أيضاً.

(**ولقد كان في رسول الله**): في معاملته لها وإعراضه عنها، كما ذكرنا آنفاً.

(**ما يدلك على مساوئ الدنيا**): هونها وحقارتها.

(**وعيوبها**): جمع عيب: وهو ما ينقص به الإنسان، ويُذمُّ عليه من الأفعال.

(**إذ**[3] **جاع فيها**): أصابه الجوع.

(**مع خاصته**): مع قربه إلى الله، ورفيع منزلته عنده.

---

(١) زيادة في نسخة أخرى.

(٢) في نسخة: القلب، وفي شرح النهج: عن القلب.

(٣) في (ب) وشرح النهج ونسخة أخرى: إذ، كما أثبته، وفي (أ): إذا.

(**وزويت عنه**): قُبِضَت، من زويته عنه إذا قبضته.

(**مع عظم**[1] **زلفته**): الزلفة: القربة، وأراد منزلته القريبة.

(**فلينظر ناظر بعقله**): فيما ذكرناه من قبضها من رسوله، وزوالها[2] عنه.

(**أكرم الله محمداً بذلك**): القبض والانزواء.

(**أم أهانه!**): أم هذه هي المتصلة، كقولك: أقام زيد أم قعد، وجوابها إنما يكون بتعيين[3] أحد الفعلين لا غير، وليس جوابها بنعم أولى ها هنا.

(**فإن قال: أهانه**): بما فعله من ذاك.

(**فقد كذب والعظيم**): أراد قسماً بالعظيم، ولقد صدق فإن الله تعالى رفع منزلته على جميع منازل الأنبياء، وشرَّفه وكرَّمه، وأعطاه من الكرامة ما لم يعط أحداً من الأنبياء، وما هذا حاله فليس إهانة.

(**وإن قال: أكرمه**): بما فعل من ذلك، وإذا كان الأمر[4] كما قلناه:

(**فليعلم أن الله قد أهان غيره**): أسقط رتبته عنده، ولم يجعل له وزناً عنده، ولا رفع له قدراً.

(**حيث بسط الدنيا له**): بما مكّنه من لذاتها، وأعطاه من طُرَفِها ومحاسنها.

---

(١) في شرح النهج وفي نسخة أخرى: عظيم.

(٢) كذا في النسخ، ولعله: وانزوائها.

(٣) في (ب): بتعين.

(٤) قوله: الأمر، سقط من (ب).

(وزواها عن أقرب الناس إليه[1]): وهو رسوله، وأعظم من يكون عنده منزلة وأرفع قراراً[2].

(فتاسى متأسٍ بنبيه [واقتص أثره][3]): خبر ومعناه الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[آل عمران:٩٧].

(وولج مولجه): ودخل مدخله في طرح الدنيا، والإعراض عنها.

(وإلا): إذا لم يفعل ذلك من ترك التأسي، والإعراض عن اتباعه.

(فلا يأمن الهلكة): أن يهلك بالمخالفة، كما قال (عليه السلام): «من رغب عن سنتي فليس مني» والهلكة تكون من وجهين:

أما أولاً: فلأنه بإعراضه عمَّا جاء به الرسول، وانحرافه عنه يكون مشاقًا له ومخالفاً لما أتى به فيتناوله الوعيد، بقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾[النساء:١١٥].

وأما ثانياً: فلأنه باتباع الدنيا، والإغراق في حبها وطلبها، عكس ما جاء به الرسول، لا يأمن العطب بانهماكه في حبها، حتى يأتيه الموت وهو على غفلة من أمره، فإتيان الهلاك من هذه الجهة.

(فإن الله جعل محمداً علماً للساعة): هذا الكلام مخالف لما قبله وليس ملائماً له، ولهذا جاء بالفاء دلالة وإشعاراً بذلك، فإنها إنما تأتي فاصلة بين الكلامين، ومؤذنة بأن الثاني[4] مخالف للأول مغاير له كما ترى،

(١) في نسخة أخرى، وشرح النهج: منه.
(٢) في (ب) وفي نسخة أخرى: قدراً.
(٣) زيادة في (ب) و في شرح النهج.
(٤) في (ب): بأن الثاني كما أثبته، وفي (أ): بالثاني.

وإنما كان[1] علماً لها لأنه خاتم الأنبياء، كما قال (عليه السلام): «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار إلى الوسطى والمسبحة.

(ومبشراً بالجنة): لأهل الطاعة، كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾إلى آخر الآية[2][البقرة:٢٥].

(ومنذراً بالعقوبة): لأهل المعصية، كما قال تعالى: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[البقرة:١١٩].

(خرج من الدنيا خميصاً): لاشيء معه من الدنيا، ومن لذاتها.

(وورد الآخرة سليماً): عن تبعاتها ومساويها.

(لم يضع حجراً على حجر): أراد لم يبنِ فيها بناءً، ولاشيَّد قصوراً، ولا عمرفيها عمارة.

(حتى مضى لسبيله): حتى ورد السبيل الذي لا بد لكل حي من سلوكه وهو الموت، وكان له صلى الله عليه وآله تسع حجر لكل واحدة من نسائه بيت، وكان الواحد ينال سقف كل بيت منها بيده؛ لقصر سمكه وخضوعه إلى الأرض.

(وأجاب داعي ربه): لما دعاه لجواره، والكون معه في داره.

(فما أعظم منّة الله عندنا): نعمته علينا.

(١) في (أ): يكون، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(٢) تمام الآية الكريمة: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ صدق الله العظيم.

(حين أنعم علينا به): بعثه[1] فينا، وكان[2] هادياً[3] لنا.

(سلفاً نتبعه): متقدماً نكون[4] على أثره، وانتصابه على الحال من الضمير في قوله به.

(وقائداً لنا نطأ على عقبه!): نتبعه من غير مخالفة، وقوله: نطأ على عقبه من الكلام البليغ الذي جمع بين قصر اللفظ، وتقارب حجمه وبلاغة المعنى.

(والله لقد رقعت مدرعتي هذه): المدرعة: جُبَّةٌ من صوف، ورقعها تلفيقها مرة بعد مرة.

(حتى استحييت من راقعها): إما من تكرر ذلك عليه مراراً كثيرة، وإما من كونه ترقيع ما لايمكن رقعه، فلعل الحياء يقع على[5] أحد الوجهين أو كلاهما.

(ولقد قال لي قائل!): من الناس لما كثر ترقيعها، وعافتها النفوس وكرهتها؛ لهونها وحقارتها.

(ألا تنبذها): تطرحها عنك، وتزيلها عن جسمك.

(فقلت: اعزب عني): ابعد شخصك عن مقابلتي، ثم تمثل بقوله:

(عند الصباح يحمد القوم السُرى): السُرى هو: سير الليل،

---

(١) في (ب): نعمته.

(٢) في (ب): فكان.

(٣) في (أ): هدياً.

(٤) في (ب): يكون.

(٥) قوله: على، سقط من (أ).

وأراد عند أن يصبحوا في مكان بعيد [قد][1] قصدوه، يحمدون سيرهم لبلوغهم ذلك الموضع وبعده.

(ويتجلى[2] عنهم غيايات الكرى): وليس المصراع الثاني من نسخة الأصل، والغياية بيائين كل واحدة منهما بنقطتين من أسفلهما، وهو[3]: الظلمة، والكرى هو: النعاس، وأراد ويتجلى عنهم[4] ظلم النعاس ونصبه وتعبه، وأما الغيابة بباء بنقطة من أسفلها فهو: قعر البئر، قال الله تعالى: ﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾[يوسف:١٠] ولا وجه له[5] ها هنا.

---

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب): وتجلى.

(٣) في (ب): وهي.

(٤) في (ب): عليهم.

(٥) في (أ): لا، وهو خطأ، والصواب: له.

(١٥١) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا

(بعثه بالنور المضيء): بالهداية إلى الدين الواضح.

(والبرهان الجلي): الذي لا لبس عنه على الناظر فيه.

(والمنهاج البادي): الطريق الظاهر الذي لا يخفى على أحد سلوكه.

(والكتاب الهادي): القرآن فإنه يهدي إلى كل خير من أمور الدين والدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ﴾[الشورى:٥٢].

(أسرته خير أسرة): أسرة الرجل: عشيرته ورهطه، والأَسْرُ: الشدة والقوة، قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾[الإنسان:٢٨] وإنما سموا أسرة لأن الرجل يتقوّى بهم ويشتد أمره.

(وشجرته خير الشجر): لما حصل فيها من البركة، وأراد بني هاشم، ومن أجل هذا وضعت فيهم النبوة والإمامة.

(أغصانها معتدلة): مستقيمة ثابتة غير معوّجة، من قولهم: اعتدل الشيء إذا كان مستقيماً، ومنه قوله: ﴿فَعَدَلَكَ﴾[الإنفطار:٧] على القراءتين[1] جميعاً أي أقامك وثبتك.

(وثمارها متهدّلة): متدلية لثقلها، وكثرة حملها وعظمها.

(١) الأولى بالتخفيف كما ورد في النص، والثانية بالتشديد أي: ﴿فعدّلك﴾.

(مولده بمكة): موضع ولادته كان بمكة؛ لأنها موضع آبائه ومسقط رأسه، وفيها كان ابتداء نبوته، وكانت أحب البقاع إليه.

ويحكى أنه لما عزم على الخروج من مكة بالإذن له بالمهاجرة، خرج إلى الحزورة[1] موضع بالقرب من الكعبة، التفت إلى البيت وقال: «[والله][2] إنّك لأحبُّ البقاع إليَّ، ولولا أنَّ أهلك أخرجوني منك[3] ما خرجت»[4].

(وهجرته بطيبة): يريد بالمدينة، وكانت كثيرة الوباء، فلما هاجر إليها قال: «اللّهُمَّ، بارك لنا في مدِّها وصاعها، وانقل حماها إلى الجحفة»[5].

(علا بها ذكره): ظهر وفشا، وسار مع الليل والنهار، حتى طبق الأقاليم والآفاق.

(وامتدّ بها صوته): قوي فيها أمره، وكل ذلك كناية عن ثبوت الوطأة، ونفوذ الكلمة واستحكام الأمر في الدين والإسلام؛ لأن ذلك ما كان إلا بعد مهاجرته، وسلّه للسيف.

(أرسله بحجة كافية): لا زيادة عليها في البلاغ، أو كافية لمن استدلّ بها.

(١) الحزورة: هو موضع بمكة عند باب الحناطين، وهو بوزن قسورة (وانظر النهاية لابن الأثير ١/٣٨٠).

(٢) زيادة في (ب).

(٣) قوله: منك، سقط من (ب).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/٣٠٥، وابن عبد البر في التمهيد ٦/٣٢، ٣٣، وروى قريباً منه العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام ٣/١٦١ وعزاه إلى سنن ابن ماجة.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٢ (١٠٠٣)، وابن حبان في صحيحه ٩/٤١، ١٢/٤١٤، وأحمد بن حنبل في مسنده ٦/٦٥. وهو بلفظ «اللهم، بارك لنا في صاعها وفي مدها» في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢/٢٢٧، وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل ٦/٦٥، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٨٤.

(وموعظة شافية): من أدواء الكفر والنفاق، أو من غِلّ الصدور وجزعها.

(ودعوة متلافية): متداركة للخطايا، من قولهم: تلافيته عن السقوط، أي تداركته[1]، ورواية من رواه بالقاف خطأ لا وجه له.

(أظهربه): الضمير للرسول (عليه السلام)، ويحتمل أن يكون للقرآن أيضاً؛ لتقدم ذكرهما جميعاً، وهو إلى الرسول أظهر لأنه أقرب المذكورين.

(الشرائع المجهولة): أي ما كان يجهله الناس، ولا يعلمونه لولاه.

(وقمع به): أي أذلَّ وأخزى.

(البدع): الكفريات المخترعة.

(المدخولة): إما المعيوبة، وإما المشوبة[2] بالاختلاط، وطعام فيه دَخَلٌ إذا كان مشوباً بغير جنسه.

(وبين [به][3] الأحكام): أنواع التحليلات، والتحريمات كلها.

(المفصولة): إما المنقطعة عن أحكام الشرك، من قولهم: فصل الأمر إذا قطعه، وإما الموضحة، من قولهم: فصَّل الأمر إذا أوضحه وبيَّنه، فأحكام الدين كلها محتملة للأمرين.

(فمن يبتغ[4] غير الإسلام ديناً): يطلب ديناً مخالفاً له من الأديان،

---

(١) في (أ): تداركم، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من (ب).
(٢) في (ب): المشوشة.
(٣) زيادة في نسخة أخرى والنهج.
(٤) في (أ): يتبع.

وانتصاب ديناً على التمييز، كقولك: مررت بغيرك رجلاً.

(تتحقق شِقوته): بكسر الشين أي تظهر حالته في الشقاء، وبفتحها يظهر شقاؤه[1] وتتضح خسارته، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٨٥].

(وتنفصم عروته): ينقطع متمسكه، خلافاً لما قاله تعالى في الاستمساك به: ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة:٢٥٦].

(وتعظم كبوته): كبا إذا سقط، أي تكثر[2] سقطته بذلك.

(ويكن مآبه): هذه الأفعال كلها مجزومة؛ لأنها جوابات للشرط، وهو قوله: ومن يبتغ، والمآب: الرجوع.

(إلى الحزن الطويل): الذي لا انقضاء له.

(والعذاب الوبيل): الشديد، وهو: الخلود في النار في أنواع العذاب وألوانه.

(وأتوكل على الله): إنما جاء بلفظ المضارع لأمرين[3]:

أما أولاً: فيحتمل أن يكون أول الخطبة (أحمد الله) لكنه طرح، وعلى هذا يكون عطفاً عليه.

وأما ثانياً: فبأن يكون استئنافاً على تقدير[4]: وأنا أتوكل على الله، فيكون جملة ابتدائية مستأنفة.

---

(١) في نسخة أخرى: تظهر شقاوته.
(٢) في (ب): تكبر.
(٣) في (أ): لأمر، وهو خطأ.
(٤) في (أ): تقديره.

(**توكل الإنابة إليه**): انتصابه على المصدرية المؤكدة، والإنابة: الرجوع [ومعناه: أتوكل توكل رجوع وإنابة، أو توكل من رجع وأناب][1].

(**وأسترشده**): أطلب الرشد منه.

(**السبيل**): الطريق الواضح[2].

(**المؤدية إلى جنته**): الموصلة إليها.

(**القاصدة إلى محل رغبته**): قصده إذ أتاه، وأراد التي تأتي بصاحبها إلى أمكنة الرغائب والخيرات.

(**أوصيكم عباد الله**): أعهد إليكم، وأحثكم وآمركم.

(**بتقوى الله وطاعته**): إتقاء الله وخوفه في السر والعلانية، والانقياد لأمره بالطاعة، وامتثال مراداته.

(**فإنها النجاة غداً**): أي الفوز يوم القيامة.

(**والمنجاة أبداً**): على جهة الدوام والاستمرار، والنجاة والمنجاة مصدران[3] من نجا ينجو نجاة ومنجاة إذا فاز.

(**رهّب**): بالوعيدات الشرعية، وأراد الرسول.

(**فأبلغ**): بالغ في ذلك أشد المبالغة.

(**ورغّب**): بما وعد من الوعود الثقيلة[4].

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٢) في (ب): الواضحة.
(٣) في (أ): والمنجاة مصدر من...إلخ.
(٤) في نسخة أخرى: النقلية.

(**فأشبع**[1]): فأكثر، من قولهم: فلان متشبع بما ليس عنده أي مستكثر بما ليس معه.

(**ووصف لكم الدنيا**): بأوصافها الذميمة الدالة على حقارتها وهونها.

(**وانقطاعها**): عن أيديكم، وانفلاتها منكم، وزوالها عنكم.

(**وانتقالها**): إلى غيركم، وتابع ذلك وكرره على آذانكم مرة بعد مرة.

(**فأعرضوا عما يعجبكم فيها**): من لذاتها، ونعيمها، وغضارتها.

(**لقلة ما يصحبكم منها**): من أجل ما تعلمون من عدم ما يكون معكم منها، وليكن ذلك سبباً للكراهة والإعراض، فإنها:

(**أقرب دار من سخط الله**): إذ ليس يعقل إلا داران في الوجود الدنيا والآخرة، وهذه الدار هي أقرب من الآخرة، لأن الآخرة بعدها، ولم يُعْصَ الله تعالى إلا فيها، لأن الآخرة منزهة عن العصيان فلهذا كانت أقرب دار.

(**وأبعدها من رضوان الله**): لأنها إذا كانت قريبة من السخط فهي لا محالة أبعد من الرضوان.

(**فغضّوا عنكم عباد الله**): انقصوا، من غضَّ بصره إذا نقصه، ولم ينظر به بكماله.

(**غمومها**): أحزانها، اخفضوها[2]، واطرحوها.

---

(١) في النهج: فأسبغ.
(٢) في (أ): احفظوها وهو تصحيف.

(وأشــغالها): جمـع شـغل، أي ومـا يشـغل منهـا عـن طلـب الآخرة وتحصيلها.

(لما قد أيقنتم به): اللام متعلقة بغضُوا، أي وغضُكم إنما هو من أجل ما قد تحققتم به:

(من فراقها): مفارقتها، وزوالها عنكم.

(وتصرف حالاتها): اختلافها، من تصريف الرياح وهو اختلاف مهابِّها.

(فاحذروها حذر الشفيق): أي كونوا منها على حذر، حذر من هو مشفقٌ على نفسه، محبٌّ لنجاتها وخلاصها.

(الناصح): لها بالزجر والاتعاظ.

(والمجدّ): غير الهازل.

(الكادح): الساعي بالكدِّ والجهد في ذلك.

(واعتبروا): واتعظوا.

(بما قد رأيتم من مصارع العرب[1] قبلكم): كيف أهلكوا بالموت، وصرعوا في لحودهم[2]، ودفنوا فيها، وتعاقبت عليهم أحوال في التغير والبلاء.

(قد تزايلت أوصالهم): أعضاؤهم الموصلة بالتقطع.

(وزالت أسماعهم وأبصارهم): حواسهم التي يسمعون ويبصرون بها بالتراب والبلاء.

---

(١) كذا في النسختين، وفي نسخة أخرى وفي النهج: القرون.
(٢) في (ب): نجودهم.

(وذهب شرفهم وعزهم): انقطعا بالموت، وخمول الذكر.

(وانقطع سرورهم ونعيمهم): ذهب ما كان يلحق أفئدتهم من السرور بالنفائس، والتحف والطُّرف، وما كان يلحق أجسامهم من النعيم والراحة.

(فبُدّلوا بقرب الأولاد): فَجُعِلَ لهم، وعُوضُوا عن قرب الأولاد، وفرحهم بهم بعدهم [عنهم][1]، وهو:

(فقدها، وبصحبة الأزواج): مصاحبتها والأنس إليها والمودة لها، زوالها وانقطاعها، وهو:

(مفارقتها): وهذا من الطباق المحمود عند فرسان علماء البيان، وهو ذكر النقيضين في القرب والبعد.

(لا يتفاخرون): بكثرة مال، ولاعدد عشيرة.

(ولا يتناسلون): بكثرة الأولاد، والصهور.

(ولا يتزاورون): مع قرب التجاور.

(ولا يتجاورون[2]): يفعلون أفعال الجيران[3] من التباذل، والتناصر، والتعاضد.

(فاحذروا عباد الله): إنما كررذكرالحذر مبالغة في ذلك، وتأكيداً لأمره.

(حذر[4] الغالب لنفسه): عن الانقياد لهواه والقاهرلها عن اتباعه.

---

(١) زيادة في (ب).
(٢) في (ب) و في شرح النهج: ولا يتحاورون، بالحاء المهملة.
(٣) في (ب): الخيرات.
(٤) في (أ): حذار.

(المانع لشهوته): عن أن تكون مستولية عليه فتهلكه.

(الناظر بعقله): في عواقب الأمور وأحوالها وما تؤول إليه.

(فإن الأمر): في جميع[1] ما ذكرته من أحوال الدنيا وانقطاعها، ودوام الآخرة واستقرارها.

(واضح): جلي لالبس فيه على أحد.

(والعلم قائم): العلم واحد الأعلام، وهي: منارات الطرق، وأراد أن أعلام الدين واضحة قائمة لااعوجاج فيها، ولالبس على سالكها، وهو مجاز هاهنا.

(والطريق جدد[2]): أي مستوي لازيغ فيها ولاميل.

(والسبيل قصد): أي مستقيم عادل.

وفي هذه الخطبة من الوعظ المحيط بالأغراض الدينية، والمستولي على المقاصد الأخروية، في ذم الدنيا وصفة أحوال من مضى مافيه شفاء الأمراض والعلل، ويرتاح القاصد إليه في شربه بين العلِّ والنهل[3].

---

(١) في (ب): في جميع ذلك ما ذكرته.

(٢) في (أ): جدة، وفي النهج و(ب): والطريق جدد، كما أثبته، والمعنى الذي في النهج مقارب لما هنا؛ لأن المعنى فيه أي طريق سهل واضح.

(٣) العلل: الشرب الثاني، وعَلّه أي سقاه السقية الثانية، والنَّهَل: الشرب الأول.

(١٥٢) ومن كلام له عليه السلام لبعض[1] أصحابه، وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال له:

(يا أخا بني أسد): وكان السائل أسدياً.

(إنك لقلق الوضين): الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب، جعله ها هنا كناية عن خفة حلمه وطيش عقله، كما جعلوا قولهم: كثير الرماد كناية عن كرمه، ورحب المقلد كناية عن طول قامته.

(ترسل): كلامك.

(في غير سَدَدٍ): صواب ورشد.

(ولك بعد): هذا يعدُ[2] ظرف من ظروف الزمان مقطوع عن الإضافة وهو مبني على الضم، وتقدير مضافه: ولك بعد كل حق لك.

(ذِمامَة الصِّهر): الذِّمامة بكسر الذال المنقوطة من أعلاها هي: الحرمة، والصِّهر هم: أهل بيت المرأة وأقاربها.

عن الخليل قال: ومن العرب من يجعل الصهر من أقارب الزوج

---

(١) في (ب): ولبعض.

(٢) في (ب): بعد هذا.

وأهله[1]، ويحكى أن السائل كان من أقارب ليلى بنت مسعود ابن خالة امرأة أمير المؤمنين[2].

(وحق المسألة): وفي الحديث: «من كتم علماً وهو يعلمه ألجمه الله بلجام من نار»[3]، والمعنى أن لك حق الصهورية[4] والمسألة بعد كل حق، فلهذا توجهت إجابتك وتعيَّن علينا حقها.

(وقد استعلمت فاعلم): وقد طلبت الإعلام عمَّا سألت عنه، فافهم ما أقول لك:

(أما الا ستبداد علينا بهذا المقام): أما أخذهم علينا الإمامة.

(ونحن الأعلون نسباً): المختصون بأشرف الأنساب وأعلاها؛ لقربنا من رسول الله، وانتصاب نسباً على التمييز.

(١) مختار الصحاح ص ٣٧٢ عن الخليل بلفظ: قال: ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعاً.

(٢) ذكر الرواية هذه الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ- وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٤٢/٩ في شرح قوله: (ولك بعد ذمامة الصهر) ما لفظه: لأن زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ كانت أسدية، وهي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمصاهرة المشار إليها هي هذه. انتهى.

(٣) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٤٦/١، ٥٤، ٥٥ بسنده عن أبي هريرة بلفظ: «من سئل عن علم فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار» وله فيه شاهد بلفظ مقارب عن ابن عباس ص٥١، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٢٠٥ بسنده عن أبي سعيد الخدري بلفظ: «من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»، والحديث بلفظ: «من كتم علماً عنده ألجمه الله بلجام من نار» رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص١٥٦ (وانظر تخريجه فيه) وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥١٩/٨-٥٢٠.

(٤) في (ب): الصهرية.

(والأشدون بالرسول نَوْطاً): النوط: ما يناط بغيره ويعلق به كالقدح والعلبة وغير ذلك، وأراد ها هنا وأعظم الخلق تعلقاً بالرسول، وأقربهم إليه.

(فإنها كانت): الضمير للإمامة.

(أثرة): الأثرة هي: الاسم من الا ستئثار.

(شحت عليها): حرصت عليها.

(نفوس قوم): ولهذا عداه[1] بعلى؛ لأن الحرص من لوازم الشح.

(وسخت عنها): أي طابت[2] عنها.

(نفوس آخرين): يشير بكلامه هذا إلى أن الصحابة بعد موت الرسول (ﷺ) انقسموا، فقائلون: إن الإمام هو أمير المؤمنين، كالزبير، وسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وغير هؤلاء من جلة الصحابة وأكابرهم، وآخرون قالوا: إن الإمام هو [أبو][3] بكر مثل عمر، وأبي عبيدة بن الجراح، وغيرهما من الصحابة، فلهذا قال:

(شحت عليها نفوس قوم، وسخت بها نفوس آخرين).

(ونعم الحَكَمُ الله): فإنه العالم بمن [هو][4] أهل لها، وقائم بأحكامها.

(والمعود إليه يوم[5] القيامة): المرجع إليه هو الوقوف بين يدي الله في ذلك اليوم، وفيه قطع الخصومة وفصل الشجار، وكلام أمير المؤمنين

(١) في (أ): أعداه.

(٢) في (أ): طاب.

(٣) سقط من (أ).

(٤) زيادة في (ب).

(٥) قوله: يوم، سقط من (أ).

دالٌّ على موجدة في صدره على القوم فيما كان منهم من الا ستئثار، من غير أن يصدر منه قول أوفعل يثلم الدين، ويكون قاطعاً للموالاة، وهذا هو الذي عليه أفاضل أهل البيت وعلماؤهم، و[هو][1] يحكى عن زيد بن علي أنه قال: البرآءة من أبي بكر وعمركالبرآءة من علي، إن شئت فتقدَّم، وإن شئت فتأخر.

ويحكى عن الباقر أيضاً أنه قال: من شكَّ فيهما كمن شك في السنة، بغض أبي بكر وعمر نفاق، وبغض الأنصار نفاق، إنه كان بين بني عدي وبني تيم، وبين بني هاشم شحناء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام تحابُّوا، حتى كان أبو بكر يشتكي خاصرته، فيسخن علي يده في النار، ثم يضمد بها على خاصرة أبي بكر حباً له، ونزل القرآن: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾**[الحجر:٤٧].

وعنه أيضاً أنه سئل عن أبي بكر وعمر؟، فقال: مسلمان هما رحمهما الله، فقال له السائل: أتولاهما وأستغفر لهما؟، فقال: نعم، فقال: أتأمرني بذلك؟ فقال: نعم، ثلاث مرات، فما أصابك من ذلك فعلى عنقي، ووضع يده على عنقه.

وأحاديث كثيرة في توليهما، وهذا هو المعتمد عليه عند أكابر أهل البيت[2].

---

(١) سقط من (ب).

(٢) وقال الإمام إبراهيم بن محمد المؤيدي في الإصباح ص١٦٤-١٦٥، في هذا الموضوع نفسه قال ما لفظه: فإن كثيرا من الآل متوقف كما حكي عن الحسين وعبد الله بن الحسن وأولاده الأربعة، قيل: وهو الأشهر عن زيد بن علي وابنيه يحيى وعيسى وأحمد بن عيسى والصادق والباقر، والأشهر أنه رأي أهل البيت وشيعتهم، فهؤلاء لم يسمع منهم سب ولا ترضية ولا تبريء مع التجرم، ذكره في الشريدة وهو الذي ذكره أبو الحسين وأصحابه المتأخرون. انتهى.
وقال العلامة المجتهد الكبير، مجد الدين بن محمد المؤيدي أيده الله في كتابه مجمع الفوائد =

في القسم الثاني من (طبعة دار الحكمة اليمانية - اليمن - صنعاء) الطبعة الأولى سنة١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ما لفظه تحت عنوان مع الإمام يحيى بن حمزة في الرسالة الوازعة: (في صفح (١٣) من الرسالة الوازعة للإمام يحيى بن حمزة (عليه السلام): المسلك الأول: وساق فيه إلى أن قال: ولا شك أن التكفير والتفسيق من أعظم الأحكام، فإذا لم تكن فيهما دلالة قاطعة ولا برهان بيِّن وجب التوقف. يقال: فلم لم تتوقف أيها الإمام كما قضيت أنه الواجب. انتهى.
قوله في صفح (١٤): وجوب الموالاة، يقال: قد سبق قوله: وجوب التوقف، وسيأتي للإمام (عليه السلام) في صفح (٣٥) أن التوقف أولى، وهو لا يتفق مع هذا، وسيأتي له أن دلالة إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) قاطعة والحق فيها واحد، وأنها ليست من مسائل الاجتهاد، وأن من خالفها مخطئ لمخالفته للدلالة القاطعة، فكيف يصح مع هذا أن نبقى على الأول وهو وجوب الموالاة، وغاية ما يمكن أن المعصية محتملة للصغر والكبر، وذلك يوجب التوقف لا القطع على الصغر، إذ لا دليل عليه، ولا البقاء على الأصل لوجود الناقل عنه، فتأمل فهذا هو الحق والإنصاف، ولا يغني جمع الروايات الباطلة الملفقة والقعقعة والإرجاف والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.
وقوله في الصفح المذكور في المسلك الرابع: وما كان منه (عليه السلام) من المناصرة والمعاضدة لأبي بكر في أيام قتال أهل الردة ...إلخ. يقال: أما قتال أهل الردة فقد كان قتالاً عن حوزة الإسلام، فهو واجب على كل مسلم وفي كل حال ومع إمام وغير إمام، وعلي (عليه السلام) هو إمام الهدى، فكيف لا يذب عن الدين الحنيف، وذلك هو الذي أوجب سكوته، ومصالحة القوم التي وردت بلفظها في رواية البخاري وغيره فطلب مصالحة أبي بكر، ولهذا قال: فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الإسلام رجعت ...إلخ.
وفي صفح (١٥) قوله: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، اعلم أن هذا وأمثاله لا يصح لمخالفته للنصوص المتواترة المعلومة القاضية بأن أمير المؤمنين وسيد المسلمين (عليه السلام) خير هذه الأمة وأفضلها وأعظمها عند الله منزلة، وهي مناقضة لما سبق للإمام يحيى (عليه السلام) ويأتي من أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لما خصه الله من الفضائل الظاهرة التي لم يحزها أحد بعده، ولا كانت لأحد قبله، وأن إمامته ثابتة بالنص عليه وعلى ولديه، وأن فضله على غيره من الصحابة أظهر من نور الشمس إلى آخر الكلام السابق.
وقوله في صفح (٢٤): الحكم الأول أن الإمام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو علي بن أبي طالب ...إلخ، الحكم الثاني: أن دلالة إمامته قاطعة والحق فيها واحد وليست من مسائل الاجتهاد، فمن خالفها فلا شك أنه مخطئ لمخالفته للدلالة القاطعة إلى آخره.
فمثل هذه الروايات الملفقة المتهافتة لا تقاوم الأدلة المعلومة من الكتاب والسنة، وليس ذلك مما يخفى على الإمام، وإنما أراد النكير والإرهاب على أهل الجرأة والسباب بغير دليل، والذي يظهر أن فيها دساً على الإمام، فحاشاه عن مثل هذه المناقضة التي لا تصدر عن من له أدنى نظر، وحسبنا الله ونعم الوكيل. انتهى. وساق الكلام في ذلك إلى أن قال: فمثل هذا =

وعن سالم بن أبي حفصة[1] قال: دخلت على جعفر بن محمد أعوده وهو مريض، فقال: اللّهُمَّ، إنّي أحبُّ أبا بكر وعمر وأتولاهما، اللّهُمَّ، إن كان في نفسي خلاف ذلك فلا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة.

فأين هذا عن هذيان الروافض والجارودية!، فالله حسبهم فيما قالوه، ومكافأتهم على ما نقلوه وكذبوه!.

ثم تمثل أميرالمؤمنين ببيت امرئ القيس:

(وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حُجُراتِهِ وَلَكِن حَدِيْثاً مَا حَدِيْثُ الرَّواحِلِ)[2]

يروى[3] أن امرئ القيس هرب من عدو له، واستجار رجلاً آخر من طي، فأغير على إبل الطائي، فخرج مغيراً على رواحل لامرئ القيس في طلب إبله، فلما رجع الطائي وكان الأمر في رواحل امرئ القيس أهم عنده من رواحل الطائي، فقال هذا البيت، ولنذكر إعرابه وموضع الشاهد منه.

أما إعرابه فهو ظاهر، النهب: ما يؤخذ قهراً، صيح به: أي أعلم به

الكلام المتهافت لا يمكن صدوره عنه (عليه السلام)، وهو مما يحقق الوضع في كثير من هذه الرسالة، وهو يناقض نصوصه الصريحة حتى في هذه الرسالة نفسها. (انظر المرجع المذكور ص٣٤٢ـ٣٤٥).

(١) هو سالم بن أبي حفصة العجلي الكوفي، أبو يونس، محدث، رأى ابن عباس، وروى عن الشعبي وعطاء وطائفة، وعنه السفيانان، ومحمد بن فضيل، وهو الذي يقول: وددت أني كنت شريك علي (عليه السلام) في كل ما كان فيه، وقد نال منه القوم بسبب تشيعه كما هو دأبهم وديدنهم. (انظر ميزان الاعتدال ١٦٢/٣-١٦٤، ومعرفة الثقات ٣٨٢/١).

(٢) أورد البيت من جملة أبيات لأمرئ القيس ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٤٤/٩، والبيت أورده في لسان العرب ٥٧٢/١.

(٣) في (ب): يحكى.

وشهر، والحجرات: النواحي، وانتصاب حديثاً بفعل[1] مضمر دلَّ عليه الكلام تقديره: اذكر حديث الرواحل، وما هذه زائدة، وحديث الرواحل بدل من حديثاً، أبدل المعرفة من النكرة.

وأما موضع الشاهد منه فإنما أورده أمير المؤمنين متمثلاً به، وغرضه من ذلك دع أمر الإمامة وحديثها فقد مضى وتقدم، ولكن أذكر حديث ابن أبي سفيان معاوية وأهل الشام؛ فإن ذلك أعظم في الدين وأدخل في الأعجوبة.

(**وهلمَّ الْخَطْب في ابن أبي سفيان**): هلمَّ اسم من أسماء الأفعال يعدَّى تارة بنفسه، كقوله تعالى: ﴿**هَلُمَّ شهداءكم**﴾[الأنعام:١٥٠] وتارة بإلى كقوله تعالى: ﴿**هَلُمَّ إلينا**﴾[الأحزاب:١٨] وأراد ذكر الْخَطْب في ابن أبي سفيان فهو أعجب لوضوح الأمرفيه، ومنازعته لي وشقاقه وخروجه عليَّ محارباً.

(**فلقد أضحكني الدهر**): ضحكت من عجائبه.

(**بعد إبكائه**): بعد بكائي من حوادثه وفجائعه.

(**ولا غرو والله**): أي ليس عجباً مثل هذا العجب لفظاعته، وعظم شأنه.

(**فياله خطباً**!): يا هذه حرف للنداء، ومناداه محذوف أي ياقوم، وله متعلق بفعل تقديره: اعجبوا له من خطب ما أعظم حاله، وانتصاب خطباً على التمييز.

(**يستفرغ العجب**): أي يطلب فراغ العجب فلا يفرغه، وإن بذل

---

(١) في (أ): لفعل.

مجهوده لعظمه، من قولهم: استفرغت مجهودي إذا بذلته، وهو مجاز لإضافة الفراغ إلى الخطب.

(ويكثر الأود): أي الا عوجاج لتفاحشه، من قولهم: تأود العود إذا كان معوجاً أو يكثرالثقل لتفاقمه، من قولهم: آدني الحمل إذا أثقلك.

(حاول القوم): معاوية وأهل الشام من أتباعه، والمحاولة هي: المزاولة للشيء والاشتغال به.

(إطفاء نورالله من مصباحه): عنى بذلك نفسه، وأرادإبطالهم قواعد الدين، وهدم مناره باستظهارهم عليَّ وقهرهم لي.

(وسدَّ فوَّاره من ينبوعه): وإذهاب ما يظهر من أحكام الشريعة من جهتي، ويحصل من ذلك من علمي واجتهادي، والفوَّار: عبارة عن حركة الماء، والينبوع: عين النهر، فالإطفاء، والنور، والمصباح، والفوَّار، والينبوع استعارات رشيقة لما ذكرناه.

(وجدحوا بيني وبينهم شِرْباً وبيًّا[1]): جدح الشراب إذا خاضه، والشِّرب بالكسر هو: المشروب، قال الله تعالى: **﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ﴾**[الشعراء:١٥٥]، وسماعنا ها هنا به، والوبيء: المهلك، من شربه لوبائه، وجعل ذلك كناية عن اشتباك الحرب ونشبها[2] بينهم فإنها مهلكة للأموال والأرواح، فلا وباء أعظم من ذلك ولا أوخم.

---

(١) في النهج: وبيئاً.

(٢) في (ب): وسببها.

(فإن ترتفع[1] عنَّا وعنهم محن البلوى): برجوعهم عن الحرب واستبصارهم الخطأ في ذلك.

(أحملهم من الحق على محضه): على صريحه وجيده مما أريهم من الصواب والسيرة الحسنة في قولي وفعلي، والهداية إلى الطريق الواضحة.

(وإن تكن الأخرى): وهو استمرارهم على البغي والشقاق لي ومخالفتي في الأمر كله.

(**﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾**)[فاطر:٨]: أراد فلا تقطع نفسك وتذهبها تحسراً عليهم.

(**﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾**)[فاطر:٨]: من ذلك، وهذه الآية وردت على جهة التسلية لرسول الله؛ لما علم من حاله التحزّن الشديد والأسف الكثيرعلى إيمان قومه، وهذا كقوله: **﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾**[الكهف:٦] أي مهلكها من أجل عدم إيمانهم، وقد استعملها أمير المؤمنين في أهل البغي، كما وردت في شأن الكفار، حذو[2] النعل بالنعل من غير مخالفة، وهذه عادة له في استعمال القرآن، كما مرَّ في مواضع.

---

(١) في (أ): ترفع.

(٢) في (أ): حذوا، وهو تصحيف.

(١٥٣) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها بديع الخلقة الإنسانية، وعجيب تركيبها

(الحمد لله خالق العباد): إما موجدهم من العدم، و إما المقدِّر لتركيب هذه الصور العجيبة لهم.

(ساطح المِهاد): باسط الأرض المجعولة مهاداً، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهَاداً﴾ و﴿مهداً﴾[١] [طه:٥٣] أي سهلاً سلساً لا عناء فيه ولا تعب.

(ومسيل الوهاد): جمع وهدة وهي: ما اطمأنَّ من الأرض، كالشعاب والأودية والأخاديد، أي وأسالها لمنافع الخلق.

(ومخصب النِّجاد): جمع نجد وهو: ما ارتفع من الأرض، وأخصبها أي جعل فيها الكلأ والمرعى نقيض الجدب، وهذا من القدرة الباهرة أي أنه جعله مخصباً مع أن الماء لا يستقر عليه لعلوه وارتفاعه.

(ليس لأوليته ابتداء): أي هو أول ومع كونه أولاً، فإنه لا ابتداء لأوليته، ولا نهاية لها ولا حد، إذ لو كان لأوليته ابتداء لكان محدَثاً، وهو محال حدوثه.

---

(١) يعني أن هناك قراءتين في الآية الشريفة إما: ﴿مِهَاداً﴾ وإما ﴿مَهْداً﴾.

(ولا لأزليته انقضاء): أراد أنه إذا تقرر أنه لاأول له فليس له زوال، ولا له آخرفيكون منقضياً؛ لأن أوليته لذاته، وما كان موجوداً لذاته استحال عليه الانقضاء والعدم.

(هو الأول لم يزل): أي لم يتجدد له وجود.

(والباقي بلا أجل): والدائم الوجود الذي لا أمد لوجوده فيكون معدوماً عند وجود ذلك الأمد، ويكون غاية له.

سؤال؛ قوله: هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل، مثل قوله: ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، فما الفائدة بالتكرار وما وجه ذلك؟

وجوابه؛ هو أن أمير المؤمنين صار فارس البلاغة وأمير حلبتها، وإمام الفصاحة وإنسان مقلتها، وليس أخلو إما أن أجعل كلامه هذا من باب التكرار، كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[القمر:١٦]، وإما أن أجعله من باب حسن التصرف، والتفنن في أساليب النظم، وكلاهما محتمل في كلامه هذا، وواقعان في البلاغة أحسن المواقع وأعلاها، فإن الله تعالى أورد قضية[١] موسى وفرعون في غير آية في كتابه على أنحاء [لهم][٢] مختلفة، وأساليب متفرقة دالّة على حسن التصرف وأنيق البلاغة.

(خرّت له الجباه): بالسجود لعظمته.

(ووحّدته الشّفاهُ): أقرَّت له الألسنة بالتوحيد.

---

(١) في (ب): قصة.

(٢) سقط من (ب).

(حد الأشياء عند[1] خلقه لها): جعل المكونات حدوداً تقف عليها، وغايات تنتهي إليها (لا تزيد عليها)[2]، فتكون مجاوزة لها، ولا تنقص عنها فتكون متأخرة عنها، كما أشار إليه في غير آية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]، وقال: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[الفرقان:٢]، وقال: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[الطلاق:٣]، وقوله: عند خلقه لها، يشير به إلى أن هذه التقديرات والإحكامات لازمة لوجودها، غير متأخرة عنها وقتاً واحداً، ولو تأخرت عنها لكانت غير محكمة فخلقها على هذه الكيفية.

(إبانة لها من شبهها): بان الأمر إذا ظهر، والإبانة مصدر بان[يبين إبانة][3]، وانتصابها إما على المصدرية مفعولاً من أجله، وإما على الحال أي مبيناً، والمعنى خلقها لتكون متميزة عمَّا يشبهها.

(لا تقدِّره الأوهام): بكسر الدال وضمها من التقدير، وفي الحديث: «إذا غمَّ عليكم الهلال فَاقْدِرُوا له ثلاثين»[4] بهما جميعاً، وأراد إما أنه ليس له تقدير فهي لا تقدره، وإما أراد أنه[5] لا تقف على حقيقته.

---

(١) في (أ): غير، وهو تحريف.

(٢) العبارة التي بين القوسين هي مكررة في (أ).

(٣) سقط من (أ).

(٤) أورد قريباً منه الإمام القاسم بن محمد (ع) في الاعتصام في كتاب الصيام٢/٣١٤، من حديث عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غمَّ عليكم فاقدِروا له» وقوله: «فاقدِروا» فيه بكسر الدال، وعزاه إلى مالك، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي، وأخرجه أبو داود في سننه ٢/٢٩٧، وعبد الرزاق في مصنفه ٤/١٥٦.

(٥) كتب فوقها في (ب): أنها.

(بالحدود والحركات): فإن من شأن مايقع عليه الوهم أن يكون من قبيل المحسوسات التي لها حدود وحركات.

(ولا بالجوارح والأدوات): أي وليس بذي جارحة، وجوارح الإنسان: أعضاؤه وأوصاله، ولاذي أدوات[1] وأدوات الإنسان: سمعه وبصره؛ لأنها آلة في إدراك السمع والبصر فيكون مقدراً بالوهم بل هو خارج عن هذه الأشياء كلها، مباين لها بالحقيقة والماهية.

(لا يقال له: متى؟): لأنها سؤال عن الأزمنة المبهمة، وما كان سابقاً على الأزمنة وجوده، فلا يسأل عنه بمتى، وأيضاً فلو تعلقت الأوقات به لكان محدوداً بها فيكون له ابتداء، وإذا كان له ابتداء فله انتهاء وهو متعالي عن الحد بالابتداء والانتهاء.

(ولا يضرب له أمد بحتى): أراد أن حتى دالة على الغاية، ومعناها لا يصدق عليه؛ لأنه يعلم[2] إذا كان دائم الوجود فلا أول لوجوده ولا آخر لوجوده، فلا وجه للأمد والغاية في حقه فهما منتفيان.

(الظاهر): في وجوده[3] بالأدلة والبراهين.

(لا يقال له: ممَّ؟): فلا يسأل عن ذاته بما يدل على الجنسية وهو: ما[4]، إذ لاجنس له فلا يسأل عن جنسه، أو أنه ظاهر فلا يستفهم عنه بظهوره[5] وتجليه.

---

(١) في (أ): ولا أداة.

(٢) في (ب) وفي نسخة أخرى: لأنه قال.

(٣) في (أ): وجود، وهو تحريف.

(٤) في (ب): مما.

(٥) في (ب): لظهوره.

(والباطن): عن إدراك العيون وتصور الأوهام.

(لا يقال: فيم): أي لايستفهم عنه بالمكان والجهة لتعاليه عنهما، فلا يقال: في أي شيء هو؟.

(لا شبح فيُتقصَّى): الشبح عبارة عن كل جسم، وقوله: فيُقتصَّى فيه روايتان:

أحدهما: بالصاد المهملة أي يطلب أقصاه، وأراد أنه ليس بشبح يطلب أقصاه أي غاية حده.

وثانيهما: بالضاد بنقطة من أعلاها، فيكون معناه يزول ويعدم لأن التقضي هو الزوال.

(ولا محجوب): أي وليس محتجباً بشيء من الأشياء.

(فيحوى): فيكو ن الحجاب حاوياً له محيطاً به.

(لم يقرب من الأشياء بالتصاق): أراد أنه لم يقرب منها من الجهة فيكون ملاصقاً لها، كملاصقة الأجسام بعضها لبعض.

(ولم يبعد عنها بافتراق): أراد أنه وإن بَعُدَ عنها [فليس بُعْدُه عنها بأن فارقها، وحالت الجهات والفراغات بينها وبينه ومع بُعْدِه عنها][1] فإنه:

(لا[2] يخفى عليه من عباده شخوص لحظة): شخوص البصر وهو[3]

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(٢) في شرح النهج: ولا يخفى.

(٣) في (ب): هو.

فتح العين من غير أن يطبقها، و[1] اللحظة هو النظرة الواحدة بمؤخر العين.

(ولا كرور لفظة): فعلها مرة بعد مرة، قال الشاعر:

كَيْفَ البقاءُ مع اختلافِ طبائع ... وكُرُوْرِ لَيْلٍ دائم وصَبَاح

(ولا ازدلاف ربوة): الازدلاف هو: التقدم، والرَّبوة: الموضع المرتفع، بفتح الفاء وضمها.

(ولا انبساط خطوة): ولا خطوة ممتدة، والا نبساط هو: الامتداد، أي أن هذه الأمور كلها غير خافية عليه.

(في ليل داج): الداجي هو: المظلم، قال الراجز:

فَقَدْ دَجَا الليلُ فهيا هيا

(ولا غسق ساج): الغسق: ظلمة أول الليل، والساجي هو: الساكن، قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[الضحى:١-٢] أي سكن.

(يتفيأ عليه القمر المنير): يتقلب عليه، قال تعالى: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾[النحل:٤٨] والضمير في عليه راجع إلى الليل، ومعنى منير أي ذو نور.

(وتعقبهُ الشمس ذات النور): أي وتكون عقيبه أي بعده[2] طلوع الشمس ذات الضياء المشرق على الآفاق كلها، والضميرفي تعقبه راجع إلى الليل.

---

(١) في (أ): وأن اللحظة.

(٢) في (أ): بعد.

سؤال؛ أراه خالف بين وصف القمر والشمس، فقال: المنير في القمر، وقال: ذات النور في وصف الشمس، وكل واحد منهما موصوف بالإنارة؟

وجوابه من وجهين:

أما أولاً: فلأنه أراد المطابقة في التسجيع لأن الشمس مؤنثة، والقمر مذكر، فلو قال: والشمس المنيرة لم يتفقا في التسجيع فلهذا قال: ذات النور.

وأما ثانياً: فلأن قوله: ذات النور أبلغ من قوله: المنيرة، فلما كان نور الشمس أبلغ وأظهر وصفها بأبلغ الصفات، كما قال تعالى: ﴿**حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**﴾[النمل:٦٠]، وقال: ﴿**ذَاتَ لَهَبٍ**﴾[المسد:٣]، و ﴿**ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾[الطارق:١١]، و﴿**ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾[الطارق:١٢]، مبالغة في ذلك، بخلاف ما لو قال: ناراً متلهبة[1]، وحدائق متبهجة لم يكن كذلك.

(في الكرور والأفول): أي هي غير خافية عليه في طلوعها وغروبها.

(وتقلب الأزمنة والدهور): اختلافها وجريها.

(من إقبال ليل مقبل): من هذه مفسرة لتقلب الأزمنة، أي أن تقلبها يكون بإقبال الليل.

(وإدبار نهار مدبر): وقوله: إقبال مع قوله: مقبل، وإدبار مع قوله: مدبر، من أنواع البديع يلقب بالتجنيس المطلق، وقد مرَّ نظائره والاستشهاد عليه، ومنه قوله:

وَمَا زالَ معقولاً عِقَالٌ عن الندى ... وما زال محبوساً عن المجد حابسُ

(١) في (ب): ملتهبة، وحدائق مبتهجة.

وهو تعالى سابق:

(قبل كل غاية ومدة): متقدم عليها فلا غاية ولامدة إلا وهي متأخرة عن وجوده.

(وكل إحصاء وعِدّة): أي وهو متقدم على كل إحصاء وعلى كل عدة من الأعداد.

(تعالى): بالصفات الإلهية.

(عما ينحله المحددون[1]): يعطيه أهل التحديد من نحله إذا أعطاه، أي يعطونه من الصفات الدالة على كونه محدوداً، كا لمجسمة وأهل الجهة والمثبتين له في الأماكن، فهؤلاء كلهم قد حدَّوه ونحلوه.

(من صفات الأقدار): الأمور المقدرة المحدودة وهي الأجسام.

(ونهايات الأقطار): وما نحلوه أيضاً من أن تكون الأقطار محيطة به بجهاتها وحاوية له بنهاياتها.

(وتأثّل المساكن): مجد أثيل أي راسخ، والتأثل هو: اتخاذ أصل المال، وأراد أن تنفى عنه اتخاذ هذه المساكن والرسوخ فيها والكون في جهاتها.

(وتمكّن الأماكن): أي واستقراره في الأماكن وحصوله فيها على جهة المكانة والاستقرار.

(فالحد بخلقه[2] مضروب): أرادبالحد إما الإحاطة، وإما التقدير،

(١) في (أ): المعدون، وهو تحريف، وفي (ب) والنهج: المحددون كما أثبته.

(٢) في (ب) وشرح النهج: لخلقه.

وكلاهما مضروبان بجميع المخلوقات، ولاشيء من المخلوقات إلا وهو مقدر بحد وغاية [تحتويه][1] وتكون مشتملة عليه.

(وإلى غيره[2] منسوب): من سائر المكونات مضاف.

(لم يخلق الأشياء من أصول أزلية): يشير بذلك إلى مذاهب كثيرة للفلاسفة وغيرهم من الفرق كلها باطلة؛ كإبطال مذهب الفلاسفة في الهيولي والصورة، وإبطال مذهب الطبائعية في أن أصل[3] العالم حركات أزلية تصادمت فنشأ عنها كالعالم[4]، وإلى مذهب الثنوية[5] في النوروالظلمة، وغير ذلك من المذاهب الركيكة والآراء الردية، ومن أراد الاطلاع على حصر هذه المذاهب فعليه بكتابنا الملقب بكتاب: (النهاية في المباحث الكلامية والمسائل الإلهية)[6].

(ولا من أوائل أبدية): تكون أصلاً لها وسبباً في تركيبها وائتلافها وانتظامها على حدودها وتقديراتها.

(بل خلق ما خلق): أراد بل خلق هذه المخلوقات العظيمة، والمكونات الباهرة، وأتى بما دالة على ذلك لما فيها من الإبهام،

---

(١) زيادة في (ب).
(٢) في (أ): غير، وفي (ب) كما أثبته.
(٣) في (أ): في أن أصل ذلك العالم ...إلخ.
(٤) في نسخة أخرى: فنشأ عنها هذا العالم.
(٥) الثنوية: فرقة من الفرق الكفرية، تنسب إلى رجل اسمه ماني بن واني الحكيم السرياني وهذه الفرقة قائلة بإلهية النور والظلمة، وحياتهما وقدرتهما، وامتزاج العالم منهما وتضاد صورهما وطبعهما. (وانظر المنية والأمل في شرح الملل والنحل ص ١٨، ٦٧-٧٥).
(٦) ويسمى أيضاً (النهاية في الوصول إلى علم حقائق علوم الأصول) في أصول الدين (انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص ١١٣١).

كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾[طه:٦٩]، أي ألق هذا الأمر الباهر، وكما قال: ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾[يونس:٨٠] أي هذه الأسحار الهائلة، أوجده اختراعاً وفعله ابتداء.

(فأقام حده): على جهة الاستقامة، ونعت الأحكام والتقدير.

(وصوّر ما صوّر[1]): من هذه الصور المختلفة، والأشكال المتباينة.

(فأحسن صورته): لما جعل فيه من الانتظام المحكم، والمطابقة لمصلحته، والمراعاة لأحكام منفعته، فإيجادها كلها على وفق داعيته وانقيادها كلها بحسب أمره وإرادته.

(ليس لشيء منه امتناع): عن تكوينه إذا أراده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

(ولا له بطاعة شيء انتفاع): أي أن الأشياء وإن أطاعته بعضها بالانقياد لأمره والوقوف على حسن[2] داعيته، وبعضها بالعبادة له والتذلل له، فإنه لاينتفع بشيء من ذلك وكيف يقال: بأنه ينتفع وهو مستحيل [عليه][3] جري المنافع لا ستحالة الملاذ والآلام عليه.

(علمه بالأموات الماضين): في التحقق والثبوت، وجزاء الأعمال، وتقديرالأعمار وكتابتها وحفظها، وجميع أحوالهم كلها.

(كعلمه بالأحياء الباقين): في ذلك كله لا يغادر شيئاً من أمورهم إلا أحصاها وحفظها.

---

(١) قوله: ما صور، سقط من شرح النهج.
(٢) في (ب): حسب.
(٣) زيادة في نسخة أخرى، وفي (ب): وهو يستحيل جري...إلخ.

(وعلمه بما في السماوات العلا): من أحوال العالم العلوي كالملائكة وما يتعلق بأحوالهم من العبادات، وأنواع الأقضية والتدبيرات.

(كعلمه بما في الأرضين السفلى): من عالم الحيوانات والجمادات وغير ذلك.

ثم أردفه بعجيب خلقة الإنسان، بقوله:

(أيها المخلوق السوي): المستوية أعضاؤه بالإحكام والتقدير، أو المخلوق في أحسن التقويم وأكمله.

(والمُنشأ المرعيّ): المُوجَدُ من العدم، المحفوظ بالرعاية:

(في ظلَم[1] الأرحام): تعلق الحرف هذا إما بقوله: المنشأ أي أنه أنشئ في ظلم الأرحام، أو بقوله: المرعي، أي وحفظ في ظلم الأرحام، فكلاهما[2] صالح للتعلق كما ترى، ويجوز أن يكون متعلقاً بهما على حد[3] إعمال الفعلين كقولك: أكرمت رجاء طيب زيداً[4]، وظلم الأرحام: مستقرها، وما اشتملت عليه.

(ومضاعفات الأستار): أي والأستار المضاعفة: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

---

(١) في شرح النهج: ظلمات.

(٢) في (ب): وكلاهما.

(٣) في (أ): جزاء.

(٤) كذا في النسخ، ولعل الصواب: أكرمت وجاء ظننت زيداً، وهامش في (ب) لفظه: فإن زيداً منصوب على المفعولية على الفعلين. تمت.

(بُدئت من سلالة من طين): يشير إلى خلق آدم (عليه السلام)، ولقد أشار الله تعالى في كتابه الكريم في خلقة آدم إلى أطوار سبعة:

أولها: التراب وهو المبدأ الأول، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾[آل عمران:٥٩].

وثانيها: الطين بقوله: ﴿مِن طِينٍ﴾ وهو عبارة عن الجمع بين الطين والماء.

وثالثها: قوله: ﴿مِن طِينٍ لَازِبٍ﴾[الصافات:١١] إشارة إلى الطين الحاصل على ضرب من الاعتدال.

ورابعها: قوله: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[الحجر:٢٦] يشير به إلى الطين الصالح لقبول الصورة.

وخامسها: قوله: ﴿مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[الحجر:٢٦] إشارة إلى يبسه وسماع صَلْصَالِهِ.

وسادسها: قوله: ﴿مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[الرحمن:١٤]، وهو الذي أُصلح بأثر النار فيه فصار كالخزف.

وسابعها: قوله: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ﴾[ص:٧١] إشارة إلى إكمال خلقته.

(ووضعت في قرار مكين): يشير به[1] إلى كيفية خلقة أولاده، ولقد أشار الله في كتابه الكريم في خلقة بني آدم إلى أطوار سبعة أيضاً:

أولها: قوله تعالى: ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[المؤمنون:١٢].

---

(١) قوله: به، سقط من (أ).

وثانيها: النطفة، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾[يس:٧٧].

وثالثها: العلقة، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾[المؤمنون:١٤]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[العلق:٢].

ورابعها: المضغة، كقوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾[المؤمنون:١٤] والمضغة: القطعة من اللحم.

وخامسها: العظام، كقوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً﴾[المؤمنون:١٤].

وسادسها: الجمع بين اللحم والعظم، كقوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾[المؤمنون:١٤].

وسابعها: إكمال الخلقة بمجموع[1] الأمور كلها، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾[المؤمنون:١٤]، بما جعل فيه من قوة العقل والتفكر والنطق، فقد أشار (عليه السلام) إلى مبتدأ خلقة آدم بقوله: بدئت من سلالة خالصة صافية من الكدورة[2]، ومن الأولى لابتداء الغاية، ومن الثانية لبيان الجنس، على تلك الأطوار والدرج، ثم أشار إلى الخلق[3] الثاني بقوله: (ثم وضعت في قرار مكين) أي ذا مكانة[4] وهو الإحراز والتحصن[5] عما يريب، وفي الحديث: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين

(١) في (ب): بجميع.
(٢) في (أ): الكدرة.
(٣) في (أ): خلق.
(٤) في (ب): مكان.
(٥) في (ب): والتحصين عمَّا يذيب.

يوماً وأربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فيكتب رزقه وأجله»[1].

(إلى قدر معلوم): من أجله في الزيادة والنقصان، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد:٨].

(وأجل مقسوم): مقدار[2] لبثه في الدنيا، ومدة عمره فيها من غير زيادة فيه ولا نقصان منه.

(تمور في بطن أمك): المور: الحركة والاضطراب، أي تختلج في أحشائها يميناً وشمالاً.

(جنيناً): محتجباً بالحواجب الكثيفة، والسواتر المضاعفة.

(لا تحير دعاء): لا تجيبه، والتحاور هو: التجاوب، يقال: كلمته فما أحارني جواباً أي ما ردَّه.

(ولاتسمع نداء): من يناديك، وأراد أنك كنت جماداً فصيرك حيواناً، وكنت أبكم فأنطقك، وأصم فأسمعك، وأكمه فجعلك بصيراً، وأودع ظاهرك وباطنك مكنونات علوم، وخزائن أسرار لا يحصرها لسان، ولا يطلع على فجِّها[3] إنسان، فسبحان الله ما أبعد حالة الابتداء من حالة الانتهاء، كما قال تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[الأنعام:٩٩] فإذا كان ذلك عجب، فهو في خلقة الإنسان أدخل وأعجب.!!

(١) الحديث في سنن البيهقي الكبرى ٤٢١/٧، ومسند الشاشي ١٤٢/٢، ومسند ابن الجعد ٣٧٩/١. قلت: وهو في مسند شمس الأخبار ٣٢٦/٢ في الباب (١٧٧) من حديث عن ابن مسعود مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه (وانظر تخريجه فيه).
(٢) في (أ): مقدر.
(٣) في (ب): محلها.

(ثم خرجت[1] من مقرك): بطن أمك الذي كنت مستقراً فيه.

(إلى دار): وهي الدنيا.

(لم تشهدها): بعينك ولا خطرت لك على بال.

(ولم تعرف سبل[2] منافعها): الطرق التي تهتدي فيها إلى تحصيل المنافع فهداك إليها، وألهمك إلى تحصيل[3] ما ينفعك فيها، ولا هادي لك سواه، وإلا:

(فمن هداك لاجترار[4] الغذاء من ثدي أمك): ومصداق هذه المقالة، من هداك لالتقام ثدي أمك، لتعيش به ويكون غذاء لك؟

(وعرّفك عند الحاجة مواضع طلبك): وألهمك عند الضرورات[5] مواضع المطالب التي تحتاجها، فتطلب الماء من الكوز، ولا تطلبه من الحجر، وتطلب الخبز من السفرة، ولا تطلبه من الجدار، إلى غير ذلك من الإلهامات العجيبة.

(وإرادتك!): مراداتك المطلوبة من مواضعها[6].

(هيهات): اسم فعل من الأفعال الخبرية، أي بَعُدَ، وأراد ما أبعد الوصول إلى كُنْهِ حقيقة الخالق لهذه الأشياء، والإحاطة بحقيقة أوصافه.

---

(١) في شرح النهج: أخرجت.
(٢) في (أ): سبيل.
(٣) في (أ): تحصيلها، وهو غامض، وما أثبته من (ب).
(٤) في (أ): لإحراز.
(٥) في (ب): ضرورات.
(٦) في (ب): موضعها.

(إن من يعجز عن صفات ذي الهيئات[1]): الهيئة: الشارة، يقال: فلان حسن الهيئة، وأراد الأحوال المختلفة، والشارات المتفاوتة.

(والأدوات): الجوارح والحواس؛ لما فيها من البدائع والعجائب فلا يمكن حصرها ولا إدراكها.

(فهو عن صفات خالقه): الذي أقدره وأحكمه.

(أعجز): أدخل في العجز وأبلغ فيه.

(ومن تناوله): الوصول إليه، من قولهم: نال الشيء إذا وصل إليه بيده.

(بحدود المخلوقين): بأوصافهم الموصلة إلى فهم حقائقهم.

(أبعد!): أدخل في البعد والمجاوزة.

---

(١) في شرح النهج: الهيئة.

(١٥٤) ومن كلام له عليه السلام في أمر عثمان

ولما اجتمع الناس على عثمان، وشكوا ما نقموه منه على أمير المؤمنين، وسألوه مخاطبته عنهم، واستعتابه لهم، فدخل على عثمان، فقال:

(إن الناس ورائي): يطالبونني أشد المطالبة، من قولهم: فلان ورائي إذا كان شديد الملاحقة في الحاجة، شُبِّه بمن يكون وراءك يحثك على السير من خلفك.

(قد استسفروني بينك وبينهم): جعلوني سفيراً فيما عرض بينكم من الخطوب، وقطع المشاجرة والأمر في ذلك صعب.

(ووالله ما أدري ما أقول لك!): مما يصلح الله[1] به شأنك، ويجمع به الشمل.

(ما أعرف شيئاً تجهله!): فأعلمك به، وأحقق لك طريقه[2].

(ولا أدلك على أمر [لا][3] تعرفه): فأكون سبباً في الإعلام به، والتعريف بحاله.

(١) قوله: الله، سقط من (أ).

(٢) في (أ): رنقه.

(٣) زيادة في (ب) والنهج.

(إنك لتعلم): عن الله وعن الرسول.

(ما نعلم[1]): من ذلك كله.

(ما سبقناك إلى شيء): من علوم الشريعة، وأحكام الدين وحزناه دونك.

(فنخبرك عنه): فيكون طريقك إلى العلم به إخبارنا عنه.

(ولا خلونا بشيء): أخذناه عن الرسول واستبددنا به.

(فنبلغكه): كما[2] سمعناه منه، وقد جمع بين ضميري المفعولين ها هنا، كما قال تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾[هود:٢٨].

(وقد رأيت كما رأينا[3]): إما رأيت الرسول (ﷺ) كرؤيتنا له، أو رأيت أفعاله وطريقه وسيرته كما رأيناها.

(وصحبت رسول الله كما صحبناه): فعليك التأسي بأفعاله، والاقتداء به كالذي علينا[4] من ذلك.

(وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب): يشير إلى أبي بكر وعمر مع تقدمهما، واعترافك بالفضل لهما.

(بأولى بعمل الحق[5] منك): لأن عليك من التكليف مثل ماكان عليهما

(١) في (أ): تعلم.

(٢) في (أ): ما.

(٣) بعده في شرح النهج: وسمعت كما سمعنا.

(٤) في نسخة: علمنا (هامش في ب).

(٥) في شرح النهج: الخير.

والنصيحة للأمة، وفي كلام أمير المؤ منين هذا دلالة على إتيانهما للحق وعملهما به.

وأنا أقول: اللَّهُمَّ، إني أحبهما وأتولاهما، وأبرأ إليك ممن يبغضهما، وآذنتك[1] بحبهما وتواليهما[2]، وإن كنت تعلم مني خلاف ذلك فلا تغفر لي ذنوبي[3].

(وأنت أقرب إلى رسول الله وشيجة رحم منهما[4]): الوشيجة هي: القرابة المشتبكة، وإنما كان أقرب إلى الرسول؛ لأن منافاً يجمعهم، وكان له بنون أربعة: هاشم، وعبد شمس، وعبد الدار، وعبد العزى،

---

(١) في (ب): وأدينك.

(٢) كذا في النسختين، ولعله: وتوليهما.

(٣) قال العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد المؤيدي أيده الله في كتاب مجمع الفوائد في القسم الثاني منه ص٣٤٢، طبعة دار الحكمة اليمانية - صنعاء - اليمن، (ط١) سنة١٤١٨هـ-١٩٩٧م) ما لفظه تحت عنوان مع الإمام يحيى بن حمزة في الرسالة الوازعة: في صفح (١٣) من الرسالة الوازعة للإمام يحيى بن حمزة (عليه السلام): المسلك الأول، وساق فيه إلى أن قال: ولا شك أن التكفير والتفسيق من أعظم الأحكام، فإذا لم تكن فيها دلالة قاطعة ولا برهان: بيِّن وجب التوقف.

يقال: فلم لم تتوقف أيها الإمام كما قضيت أنه الواجب. قوله في صفح (١٤): وجوب الموالاة. يقال: قد سبق قوله: وجوب التوقف، وسيأتي للإمام (عليه السلام) في صفح (٣٥) أن التوقف أولى، وهو لا يتفق مع هذا، وسيأتي له أن دلالة إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) قاطعة، والحق فيها واحد، وأنها ليست من مسائل الاجتهاد، وأن من خالفها مخطئ لمخالفته للدلالة القاطعة، فكيف يصح مع هذا أن نبقى على الأول وهو وجوب الموالاة، وغاية ما يمكن أن المعصية محتملة للصغر والكبر، وذلك يوجب التوقف لا القطع على الصغر، إذ لا دليل عليه، ولا البقاء على الأصل لوجود الناقل عنه، فتأمل، فهذا هو الحق والإنصاف، ولا يغني جمع الروايات الباطلة الملفقة والقعقعة والإرجاف، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(٤) في (أ): منها، وما أثبته من (ب) و النهج.

فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أولاد هاشم، وعثمان من بني عبد شمس، بخلاف[1] غيره من قريش فإن بينهم بُعْداً متفاوتاً، كأبي بكر وعمر فأراد بالقرب ما ذكرناه.

(وقد نلت من صهره ما لم ينالا): أراد أنه نكح رقية بنت رسول الله وماتت تحته، خلف عليها بعد أختها أم كلثوم أيضاً بنت رسول الله، وكان يسمى ذا النورين؛ لنكاحه لبنتي رسول الله.

(فالله الله في نفسك): تحذير له عما وقع فيه، والمعنى احذر الله، واجهد في نجاة نفسك.

(فإنك[2] والله ما تبصّر من عمى): بمعنى أنت مبصر في نفسك ببصيرة العلم عن عمى الجهل، فيستحيل منّا أن نبصرّك من عماه[3]، وأراد أنك لا تبصَّر من أجل عمى.

(ولا تعلّم من جهل): أ ي ولا أنت جاهل فتعلّم من أجل الجهل.

(وإن الطريق لواضحة): لمن يسلكها لا لبس فيها.

(وإن أعلام الدين لقائمة): العلم: منار الطريق، وأراد بقيامها ثبوتها.

(واعلم أن أفضل عباد الله عند الله): أعلاهم حالة في الدين، وأرفعهم درجة عند الله.

---

(١) في (ب): وبخلاف.

(٢) فإنك، زيادة في شرح النهج.

(٣) في (ب): عمائه.

(إمام عادل): لا يحيف في سيرة ولا حكم، وفي الحديث: «إمام عادل خير من مطر وابل».

(هُدِي): هداه الله تعالى للأعمال المرضية له.

(وهدى): غيره بإرشاده إلى الخيرات والتقوى.

(فأقام سنة معلومة): أحياها، ودعا إليها، وحمل الخلق على ملازمتها، وحثهم على فعلها مما علم من حال الرسول المواظبة على فعله، وحال غيره من الأنبياء.

(وأمات بدعة مجهولة): ما ابتدع[1] من الأمور المضادة للسنن مما يُجْهَلُ أمره، ولا يُعْرَفُ له طريق.

(وإن السنن لنيِّرَة): ظاهر أمرها، بيِّنٌ حالها.

(لها أعلام): ترشد إليها، وتكون دالّةً عليها.

(وإن البدع): وهو ما كان مخالفاً للدين مما قد عرف حاله من الرسول، وَرَغِبَ عنه، وحذَّرَ عن[2] مواقعته.

(لظاهرة): جليٌّ أمرها، واضحة أعلامها.

(لها أعلام): قد أوضحها الرسول، وأرشد إليها؛ من أجل اجتنابها، كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿**وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾[النساء:٢٦]،

(١) في (ب): ما تبدع.

(٢) عن، سقط من (أ).

يعني من[1] الأنبياء ﴿**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا**﴾[النساء:٢٧] مخالفاً للحق مخالفة ظاهرة لا لبس فيها.

(وإن شر الناس عند الله): أسخفهم طريقة، وأنزلهم رتبة عنده.

(إمام جائر): عن الحق إما لظلمه للخلق حقوقهم، وأخذها على غير وجهها، وصرفها في غير أهلها، وإما جائر عن الطريق المستقيمة عند الله تعالى[2]، وعادل عنها إلى ما يخالفها من الطريق الجائرة.

(ضَلَّ): عنها باتباع هواه، وإيثار دنياه على آخرته.

(وضَلَّ به): إما اقتدي به في الضلال[3]، وإما كان سبباً في وقوع الفتن، وإثارة الشبهات والمحن والضلالات.

(فأمات سنة مأخوذة): يعمل بها، ويهتدي الخلق بهديها.

(وأحيا[4] بدعة متروكة!): نعشها بالعمل عليها، والمأخوذ عليه تركها وإهمالها وهجرها.

(وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر»): يعني الذي جار على الخلق، وظلمهم الحقوق.

(«وليس معه نصير»): ينصره.

(«ولا عاذر»): يعني يعذره مما فعل.

(١) من، سقط من (ب).

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) في (ب): الضلالة.

(٤) في (ب) وشرح النهج ونسخة أخرى: وأحيا، كما أثبته، وفي (أ): فأحيا.

(«**فيلقى في جهنم**»): أراد يرمى به فيها.

(«**فيدور كما تدور الرحى**»): أراد أنها تدور به.

(«**ثم يرتبط في قعرها**»)[1]: وأراد بذلك أنه يشدُّ في قعرها، أخذاً من قولهم: ربطته إذا شددته، أو أنه يلازم قعرها، من قولهم: رابطت كذا إذا لازمته، ومنه رباط الخيل.

(**وإني أنشدك الله**): أي أسألك بالله كأنك ذكّرته إياه، قال الأعشى:

رَبِّـي كريـمٌ لا يكـدِّرُ نعـمةً
وإذا تُنوشِـدَ في المهـارقِ أنشـدا[2]

والمهارق: الصحف.

(**أن تكون**[3] **إمام هذه الأمة المقتول**): الذي يقتل من الخلفاء، يكون أول قتيل في الإسلام فيهم.

(**فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام**[4] **يفتح عليها القتل**): إهراق الدماء على غير وجهها.

(**والقتال**): المحاربة وإثارة الفتن والحروب.

(**إلى يوم القيامة**): وتكون الفتنة به باقية إلى هذا اليوم.

---

(١) انظر تأريخ الطبري ٦٤٥/٢، وصدر الحديث وهو قوله: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير» في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٠/١١، وعزاه إلى البداية والنهاية لابن كثير ١٦٨/٧.

(٢) انظر أساس البلاغة: ص ٤٥٦، ولسان العرب ٦٣٥/٣.

(٣) في (أ): يكون، وما أثبته من النهج.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ) وهو في (ب) وفي شرح النهج.

(**ويلبسُ عليها أمورها**): لما[1] يقع في قتله من اللبس.

(**ويبث الفتن فيها**): ينشرها في جميع الأقطار والأقاليم.

(**فلا يبصرون الحق من الباطل**): لا يميزون باطلاً من حق بل يكون الحق ملتبساً بالباطل، لا خلاص له منه أبداً؛ لأجل ما وقع بينهم من الالتباس، واختلاط[2] وإيثار الأهواء.

(**يموجون فيها موجاً**[3]): يضطربون في الآراء اضطراباً عظيماً، كاضطراب الأمواج بعضها ببعض، من كثرة الاختلاف والمنازعة.

(**فلا تكوننَّ لمروان سيِّقة**): السيقة: ما استاقه العدو، وأخذه من البلد من الدواب، أي لا تكن منقاداً له في أمره يصرِّفك على رأيه كيف شاء، وأراد ابن عمه مروان بن الحكم، وكان مساعداً له في الآراء.

(**يسوقك حيث شاء**[4]): من آرائه[5] الرديئة، وقصوده في الإسلام والدين الخبيثة، وكان فاجراً أحمق.

(**بعد جَلال السن**): كبره، من قولهم: جلّت الناقة إذا كبر سنها.

(**وتقضّي العمر**): نفاده وزواله.

---

(١) في (ب): بما يقع في قلبه من اللبس.

(٢) في (ب): والاختلاط.

(٣) بعده في شرح النهج: ويمرجون فيها مرجاً.

(٤) في (ب): يشاء.

(٥) في (ب): إراداته.

فقال له عثمان: (كلِّم الناس في أن يؤجِّلوني، حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال أمير المؤمنين:

(ما كان بالمدينة): يعني من المظالم التي أخذها[1] على الناس.

(فلا أجل فيه): بل ينبغي توفيره[2] على أهله لقربه، وانفصال الأمر فيه.

(وما غاب): بأن كان في جهات متباعدة.

(فأجله وصول أمرك إليه): بلوغ الكتب، والرسل بإعطائه أهله، وقبضه ممن يستحقه من أربابه.

واعلم: أن هذه الخطبة قد اشتملت على نوعين من أنواع البديع نذكرهما:

فالنوع الأول: يسمى الطباق، وهو ذكرالنقيضين معاً، وهذا كقوله: (أفضل عباد الله)، مع قوله: (أشر عباد الله)، وقوله: (جائر) مع قوله: (عادل)، وقوله: (أحيا سنة) مع قوله: (أمات بدعة)، وقوله: **(مجهولة)** مع قوله: (معلومة)، وقوله: (هدى) مع قوله: (ضلَّ) فهذه الأمور كلها تكافؤ و[3]طباق.

النوع الثاني: الاستطراد، وهذا كقوله: (وإن الطريق لواضح[4]، وإن أعلام الدين لقائمة) بعد ذكره حال عثمان، فإنه لا تعلق له بالأول، وإنما وسَّطه على جهة الاستطراد.

---

(١) في (ب): أخذتها.
(٢) وفَّر عليه حقه توفيراً واستوفره أي استوفاه. (مختار الصحاح ص٧٣٠).
(٣) في (ب): أو.
(٤) في (ب): لواضحة.

(١٥٥) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فها عجيب خلقة الطاؤوس

(ابتدعهم خلقاً عجيباً): اخترع هذه الأشكال المتنوعة، والمكونات المختلفة على تقديرات عجيبة، وتأليفات محكمة.

(من حيوان): حساس متحرك بالإرادة، له أوصال وحس وإدراك.

(وموات): لا حياة فيه كالأشجار النامية، والأحجار والجبال وسائر الجمادات.

(وساكن): لا يزول عن موضعه، ولايباين مكانه كالصخور العظيمة.

(وذي حركات): وذي قدرة يتحرك بها، ويتصرف في منافعه.

(وأقام من شواهد البينات): أي أوجد من الحجج الواضحة، والأدلة الظاهرة.

(على لطيف صنعته): غامضها، ودقيقها.

(وعظيم قدرته): باهرالقدرة.

(ما انقادت له[1] العقول): أذعنت، وأطاعت لجلاله.

---

(١) له، سقط من (ب).

(معترفة به): متحققة له.

(ومسلِّمة له): مستسلمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[آل عمران:٨٣]، والضمير في قوله: (به)[1](وله) راجع إما إلى قوله: (ما انقادت له) أي انقادت له عالمة به ومنقادة له، وأراد الأدلة الظاهرة، وإما إلى الله تعالى، والمعنى منقادة لله ومستسلمة له بما أظهر من البراهين القاطعة.

(ونعقت في أسماعنا دلائله): النعيق[2] هو: الصوت الذي لا يفهم، ومنه نعق الراعي بغنمه، إذا صاح لها[3]، وأراد أنها بمنزلة من يهتف بأن لها فاعلاً ومدبِّراً، فهي دالّة:

(على توحيده[4]): أنه واحد لاثاني له يشاركه في الخلق والإبداع.

(وما ذرأ من مختلف صور الأطيار): ما هذه موصولة، وهي معطوفة على قوله: (ما انقادت له العقول) وهما في موضع نصب على المفعولية لأقام، والذري[5]: الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً﴾[الأعراف:١٧٩]، والذري: البثُّ، ومنه ذرأ الْحَبَّ إذا وضعه في الأرض، قال الشاعر:

شققت القلب ثم ذرأت فيه هواك فَلِيْمَ والتأم الفطور[6]

(١) به، سقط من (أ).
(٢) في (أ): النعق.
(٣) في (ب): بها.
(٤) في شرح النهج: وحدانيته.
(٥) في (أ): والذرء.
(٦) لسان العرب ١١٥٨/٢ بدون نسبة لقائله، وقوله: (ذرأت) في اللسان: (ذررت).

واختلاف صورالطير ما فيها على اختلاف أنواعها من صغيرلا يدرك بالحس إلا عند تحركه، ومن كبير يعظم حجمه، وما بين ذلك.

(التي أسكنها أخاديد الأرض): الأخاديد: جمع أخدود، وهو: الشق المستطيل في الأرض، قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾[البروج:٤] لأنها إنما تسكن حيث تستقر وتمكَّن من إحراز منافعها واستراحتها من ذلك.

(وخروق فجاجها): الفجاج: جمع فجٍّ وهو الطريق الواسع بين جبلين، قال الله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج:٢٧]، وأراد المخارق التي تكون في الجبال فإنها كثير ما تكون مساكنها فيها تحصيناً عن الأذى، وترفعاً عن كل مخافة.

(ورواسي أعلامها): الرواسي هي: الجبال، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾[فصلت:١٠]، والضمير للأرض، والرواسي هي: الأعلام، وهومن باب إضافة الصفة إلى موصوفها، كقولهم: جائبة خير، على تأويل رواسي مواضع أعلامها.

(من ذوات[1] أجنحة مختلفة): من ها هنا لبيان الجنس، واختلاف الأجنحة: في حجمها وألوانها وطولها وقصرها، وغير ذلك من الاختلاف[2].

(وهيئات متباينة): في ألوانها لا تشبه بعضها بعضاً ولا تتماثل.

(مصرَّفة): مختلفة أحوالها.

(في زمام التسخير): الزمام: الخيط الذي يوصل في أنف الجمل،

(١) في شرح النهج: ذات.
(٢) من الاختلاف، سقط من (ب).

(معترفة به): متحققة له.

(ومسلمة له): مستسلمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[آل عمران:٨٣]، والضمير في قوله: (به)[1](وله) راجع إما إلى قوله: (ما انقادت له) أي انقادت له عالمة به ومنقادة له، وأراد الأدلة الظاهرة، وإما إلى الله تعالى، والمعنى منقادة لله ومستسلمة له بما أظهر من البراهين القاطعة.

(ونعقت في أسماعنا دلائله): النعيق[2] هو: الصوت الذي لا يفهم، ومنه نعق الراعي بغنمه، إذا صاح لها[3]، وأراد أنها بمنزلة من يهتف بأن لها فاعلاً ومدبِّراً، فهي دالّة:

(على توحيده[4]): أنه واحد لاثاني له يشاركه في الخلق والإبداع.

(وما ذرأ من مختلف صور الأطيار): ما هذه موصولة، وهي معطوفة على قوله: (ما انقادت له العقول) وهما في موضع نصب على المفعولية لأقام، والذري[5]: الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً﴾[الأعراف:١٧٩]، والذري: البثُّ، ومنه ذرأ الْحَبَّ إذا وضعه في الأرض، قال الشاعر:

شققت القلب ثم ذرأت فيه ... هواك فَلِيْمَ والتأم الفطور[6]

(١) به، سقط من (أ).
(٢) في (أ): النعق.
(٣) في (ب): بها.
(٤) في شرح النهج: وحدانيته.
(٥) في (أ): والذرء.
(٦) لسان العرب ١١٥٨/٢ بدون نسبة لقائله، وقوله: (ذرأت) في اللسان: (ذررت).

واختلاف صور الطير ما فيها على اختلاف أنواعها من صغيرلا يدرك بالحس إلا عند تحركه، ومن كبير يعظم حجمه، وما بين ذلك.

(التي أسكنها أخاديد الأرض): الأخاديد: جمع أخدود، وهو: الشق المستطيل في الأرض، قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾[البروج:٤] لأنها إنما تسكن حيث تستقر وتمكّن من إحراز منافعها واستراحتها من ذلك.

(وخروق فجاجها): الفجاج: جمع فجٍّ وهو الطريق الواسع بين جبلين، قال الله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج:٢٧]، وأراد المخارق التي تكون في الجبال فإنها كثير ما تكون مساكنها فيها تحصيناً عن الأذى، وترفعاً عن كل مخافة.

(ورواسي أعلامها): الرواسي هي: الجبال، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾[فصلت:١٠]، والضمير للأرض، والرواسي هي: الأعلام، وهومن باب إضافة الصفة إلى موصوفها، كقولهم: جائبة خير، على تأويل رواسي مواضع أعلامها.

(من ذوات[1] أجنحة مختلفة): من ها هنا لبيان الجنس، واختلاف الأجنحة: في حجمها وألوانها وطولها وقصرها، وغير ذلك من الاختلاف[2].

(وهيئات متباينة): في ألوانها لا تشبه بعضها بعضاً ولا تتماثل.

(مصرّفة): مختلفة أحوالها.

(في زمام التسخير): الزمام: الخيط الذي يوصل في أنف الجمل،

(١) في شرح النهج: ذات.
(٢) من الاختلاف، سقط من (ب).

وجعل هذا كناية عن عظم الاحتكام لأمرالله تعالى، والانقياد لأمره، والتسخير: التذليل[1]، كما قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾[ص:٣٦]، وقوله: ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾[الأعراف:٥٥].

(ومرفرفة بأجنحتها): رفرف الطائر بجناحيه حول الشيء[2] يريد أن يقع عليه، والرفرفة هو كسر الجناح للوقوع.

(في مخارق الجوّ المنفسح): الفسيحة[3] خلاف الضيق، وأراد الواسع من ذلك، وأراد متنفسات الجوّ[4] الفسيحة.

(والفضاء المنفرج): الفضاء: المكا ن الخالي، والمنفرج هو: المنكشف الظاهر، يقال: رجل فرج، وهو الذي لا يزال يكشف عورته.

(كوّنها بعد إذ[5] لم تكن): خلقها بعد أن لم تكن مخلوقة أي أنشأها من العدم، والمعنى خلقها بعد زمان كانت غير كائنة فيه.

(في عجائب صور ظاهرة): حال من الضمير في خلقها، أي قدَّرها في تراكيب معجبة لمن رآها وتأمَّلها.

(وركّبها في حِقَاق مفاصل محتجبة): الحِقَاقُ هي: الأشياء الصغيرة، ويقال للرجل إذا خاصم في الأشياء الصغيرة: إنه لنزق الحقاق، والمعنى أنه ألفَّها في مفاصل مستصغرة مستترة عمَّن يراها وينظر إليها لصغرها.

---

(١) في (أ): التذلل.
(٢) في (أ): الصبي، وهو غامض، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.
(٣) في (ب): الفسحة.
(٤) في (ب): متنفسات الجو المنفسح الفسيحة.
(٥) في (ب): أن.

(ومنع بعضها بعَبَالةِ خلقه): رجل عبل الذراعين، إذا كان ضخمهما، وفرس عبل الشّوى غليظ القوائم، وأراد أنه أكبر بعض أجسامها، وضخّمه فحجزه عن:

(أن يسمو في السماء خُفُوفاً): فيه روايتان:

أحدهما: أن يكون بالفاء، من قولهم: خف في حاجته إذا أسرع فيها، وأراد علوها على الأرض، وسموها في الجوِّ مسرعة.

وثانيهما: بالقاف، من قولهم: خفق الطائر إذا طار، وخفق إذا حرَّك جناحيه، والمعنى أنه منعها لضخامة أجسامها عن التحليق[1] في جوِّ السماء.

(وجعله يَدِفُّ دفيفاً): دفَّ الطائر إذا دنا في طيرانه إلى الأرض كالنسر، وما أشبهه في الكبر والفخامة.

(ونسقها على اختلافها في الأصابيغ): نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض ورصفه، وأراد ها هنا أنه ضمَّ إلى كل صبغ ما يليق به وتروق نضارته من مخالفه أو مماثله ويحسن في أعين النظار.

(بلطيف قدرته): على فعل ذلك.

(ودقيق صنعته): على إحكامه وإتقانه[2]، والأصابيغ: جمع أصباغ، جمع صبغ، وهي الألوان المختلفة.

(فمنها): الضمير للطيور.

---

(١) في (ب): التحلق.
(٢) في (ب): وإيقاعه.

(ما هو مغموس في قـالب لـون): غمسه في الماء فانغمس، إذا غطسه فيه، وأراد أن منها ما هو شامل له لون صرف من بياض خـالص يَقَق[1]، وهي طيورتكون بتهامة كأنهنَّ قطع العُطْبِ[2] في البياض، أو سواد خـالص كالغراب وماشاكله فهذه مختصة بلون خالص.

(لا يشوبه): يختلط به.

(غير لون ما غُمِسَ فيه): من سواد أو بياض.

(ومنها ما هو مغموس): مغطوس.

(في لون صبغ): من الأصابيغ المختلفة.

(قد طُوِّق): جعل له طوقاً في عنقه.

(بخلاف ما صبغ بـه): كالحمام، والقمري، والحجل، والقطا، وغير ذلك من ذوات التطويق بألوان تخالف سائر ألوانها.

(ومن أعجبها خلقاً): أبدعها في الخلق، وأغربها في الإحكام والصنعة:

(الطاؤوس): وهو نوع من أنواع الطير، وطاؤوس أيضاً مخنث كان بالمدينة، وفي المثل: أشأم من طاؤوس[3].

ويحكى عنه أنه قال: يا أهـل المدينة، توقعوا خروج الدجال ما دمت حياً[4] بين أظهركم، فإذا متُّ فقد أمنتم؛ لأني ولدت في الليلة الـتي مـات

(١) يقق أي شديد البياض ناصعه.
(٢) في (أ): العطف، وهو تحريف.
(٣) في لسان العرب: أشأم من طويس.
(٤) حياً، سقط من (ب).

فيها رسول الله، وولد لي في اليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين، وفطمت في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتـل فيه عمر، وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان، وكان يسمى عبد النعيم.

وقال في نفسه:

إنَّـني عبـد النعيـم   أنـا طـاؤوس الجحيـم
أنـا أشـأم مـن يمشـي   علـى ظهـر الحطيـم[1]

(الذي أقامـه في أحكـم[2] تعديـل): أراد ركَّبه في قوامه واعتداله على أعدل صورة وأعجبها، ولم يجعله من الطير الصغار فَيُسْتَحْقَرُ وتزدريه الأعين، ولا جعله من الطيرالعظيمة الخلق فيجفو وَيُسْتَشْنَعُ، كما قـال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤]، إشارة بذلك إلى قوام الخلق وتعديله في تسوية الأعضاء وتركيبها أحسـن تركيب مطابقة لأحكام المنفعة.

(ونضّد ألوانه): جعل بعضها على بعض، من قولهم: نضَّد متاعه إذا جعل بعضه على بعض، أي رصَّف ألوانه مزج بعضها ببعض، وقوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[الواقعة:٢٩]، أي أن ثمره نضد من أسفله إلى أعلى، فليس له ساق ظاهرة.

(في[3] أحسن تنضيد): أعجب ترصيف[4] لما يظهرفيها للأعين من الرقة واللطافة وعجيب المرأى.

(١) انظر لسان العرب ٦٢٤/٢.
(٢) في شرح النهج: أحسن.
(٣) في، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٤) في (أ): رصف.

(بجناح أشرج): الباء هذه متعلقة إما بنضَّد، ويكون من جملة التنضيد حسن الجناح، وإما بأحكم ويكون من جملة الإحكام أيضاً، وكله جيد، وتعلقها تعلق الأحوال أي موصولاً بجناح أشرج، فيه روايتان:

أحدهما: أن يكون بالشين بثلاث من أعلاها، أي منضد مرصوف، من قولهم: لبن أشرج، وشرجت اللبن إذا نضَّدته.

وثانيهما: أنْ يكون بالسين بثلاث من أسفلها أي بجناح حسن، من قولهم: أسرج الله وجهه إذا حسَّنه، وكلاهما محتمل ها هنا؛ لأن قصب ريشه وقوائمه مستوية منضودة، وهي[1] أيضاً في غاية الحسن والنضارة.

(قصبه): إما نضَّدها وإما حسَّنها ، كما ذكرنا من التفسيرين في أشرج.

(وذَنَبٍ أطال مسحبه): أي أطاله فهو يجرُّه على الأرض ويسحبه عليها من طوله.

(إذا درج على[2] الأنثى): لأن يسفدها[3].

(نشره من طيّه): من ها هنا لابتداء الغاية، وأراد نشره بعد أن كان مطوياً مضموماً إلى جوانحه.

(وسما به): قوَّسه ورفعه.

(مُطلاً على رأسه): إما مشرفاً على رأسه، من قولهم: أطل برأسه إذا أشرف به بالطاء بنقطة من أسفلها، وإما بالظاء بنقطة من أعلاها،

(١) في (ب): وهو.
(٢) في شرح النهج: إلى.
(٣) أي يجامعها أو ينزو عليها.

من قولهم: أظل رأسه إذا جعل عليه الظلة، وأراد أنه إذا نشره من طيه أشرف على رأسه إذا جعله كالظلة يستظل به من حرِّ الشمس.

(كأنه قلْعُ داريٍّ): القلع: شراع السفينة، وهو شيء يستعمل من الحصير يرد الريح عن النفوذ في جهتها تجري بها السفن، ودارين: فرضة[1] بالبحرين يحمل إليها المسك من ناحية الهند[2]، وتؤخذ منها هذه الأقلاع للمراكب في البحر.

(عنجه نوتيُّه): والنوتيُّ هو: الملاح، وعنجه إذا عطفه؛ لأن الشِّراع إذا كان مطوياً ثم نشره [يرد[3] الريح عن صوب جريانها النوتي، فقد عطف ما كان منه مطوياً إلى نشره][4] وبسطه.

(يختال بألوانه): اختال الرجل إذا كان ذا خيلاء وكبر[5]، قال الشاعر:

فإن كنت سيدنا سُدتَنا وإن كنت للخال فاذهب فَخَلِ[6]

أي إن كنت سيدنا فعلت ما تقتضيه السيادة من التواضع والرفق بنا[7]، وإن كنت متكبراً فاذهب عنا، والباء هذه للحال أي يختال متلوناً.

(١) في (أ): فريضة، و في (ب): قرية، وما أثبته من نسخة أخرى، ومن شرح النهج.
(٢) انظر لسان العرب ١/١٠٣٣.
(٣) في نسخة أخرى: لرد.
(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ).
(٥) في (أ): وكثر، وهو تصحيف.
(٦) في (أ): فجل، والبيت في لسان العرب ١/٩٣١ بدون نسبة إلى قائله.
(٧) في (أ): والرفع، و في (ب): والدفع، وما أثبته من نسخة أخرى.

(ويميس بزيفانه): يميل جانبيه متبختراً، والزيفان: التبختر، والباء للحال أيضاً، إذا أراد سفاد أنثاه:

(يفضي كإفضاء الديكة): يباشرها مباشرة الديكة ويخالطها مثل تلك المخالطة، من قولهم: أفضى الرجل إلى امرأته إذا باشرها وخالطها.

(ويأرُّ بملاقحه أرَّ الفحول المغتلمة للضراب[1]): الأرّ: النكاح، وأرَّ المرأة يأرُّها إذا نكحها، ولقحت الناقة إذا حملت، واغتلم الفحل إذا هاج للضراب، والمعنى في هذا أنه ينكح فتلقح أنثاه، كما تفعله الفحول من الإبل، ويغتلم كاغتلامها وهياجها على أنثاه.

(أُحِيلُك): من قولهم: أحال غريمه بالدين.

(من ذلك): الإشارة إلى المذكور[2] من عجائبه وغرائبه.

(على معاينة): ما تشاهده من تلك المعاني الظاهرة، والإحكامات الباهرة، في خلقه ولونه.

(لا كمن يحيل على ضعيف إسناده): ليس كمن يحيل على خبر يضعف إسناده، ويكذب مخبره[3]، و«ليس الخبر كالعيان»[4]، وأراد أحيلك في كونه

---

(١) قوله: للضراب، زيادة في شرح النهج.

(٢) في (أ): المذكورة.

(٣) في (ب): ويكون الخبر دون مخبره.

(٤) في (أ): على العيان، والصواب كما أثبته من (ب)، وقوله: «ليس الخبر كالعيان» هو لفظ حديث نبوي شريف رواه العلامة الحجة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار ٢٢٨/٣ في سلسلة الإبريز رقم (١) بلفظ: «ليس الخبر كالمعاينة»، وقال في تخريجه: أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك، والخطيب عن أنس، وعن أبي هريرة، وابن عباس. انتهى.

ملقحاً لأنثاه كإلقاح الفحول على ما يشاهد[1] من حاله ويدرك بالبصر لا كمن يقول خلاف ذلك.

(ولو كان كزعم من يزعم أنه يُلقح بدمعة تسفحها): يفيضها.

(تنشجها[2] مدامعه): تظهرشيئاً بعد شيء.

(فتقف في ضفتي): الضفة بالضاد بنقطة هي: جانب النهر.

(جفونه): جفن العين: غطاؤها.

(وأن أنثاه تطعم ذلك ثم تبيض): تأخذه من جفن عينيه بمنقارها ثم تبيض من ذلك.

(لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس): الظاهر من جفونه، من قولهم: انبجس الجرح إذا ظهر قيحه.

(لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب): أراد أن إلقاحه لأنثاه إنما هو بما ذكرناه كإلقاح الفحول المغتلمة بإيلاج ذلك منه في ذلك منها، وهذا هو الظاهر من حاله، ثم لو سلمت خلاف ذلك وليس بأعجب من مطاعمة الغراب لأنثاه، وفي الإتقان والصنعة ودقيق الحكمة فإنه يقال: إن الغراب لا يبيض ولا يفرخ إلا بالمطاعمة دون السفاد، وصورتها أن يدخل أحد الغرابين منقاره في منقار الآخر، كأنه يزقُّه[3] فتلقح الأنثى من أجل ذلك وتبيض.

---

(١) في (ب): على ما نشاهد من حاله وندرك بالبصر.

(٢) تنشجها، سقط من (ب)، ومن شرح النهج، وهو في (أ) وفي نسخة أخرى.

(٣) أي يطعمه بفِيْه.

(مَخال قَصبه): أصول ريشه التي تتصل بها صفائح الريش عن[1] يمينها وشمالها.

(مَدَاريَ من فضة[2]): المِدْرَى: شيء تصلح به الماشطة قرون النساء يشبه المِسَلّة[3] من فضة في بياضها، ودقتها واستطالتها.

(وما أُنبِتَ عليها): الضمير للقصب أي وما استقر عليها.

(من عجيب داراته): تدويرالنقوش.

(وشموسه[4]): ما بين دارة خضراء ودارة حمراء.

(خالص العقيان): مفعول ثاني ليخال، والعقيان: ما وجد من الذهب خالصاً عن الخلط والغش.

(وفلذ): جمع فلذة، وهي: القطعة الواحدة من اللحم والكبد.

(الزبرجد): من أنواع الجواهر، يريد ما كان منه في تلك الدارات [أحمر فهو يشبه الذهب الأحمر، وما كان منها أخضر فهو يشبه الزبرجد هذا إذا][5] شبه بهذه الأحجار الجوهرية.

(فإن شبّهته بما أنبتت الأرض): من أزهارها ونباتها.

(قلت: جنيٌّ جُني): هذا زهر جني، أخذ:

(من زهرة كل ربيع): في رونقه وغضارته، وحسن بهجته وطلاوته،

(١) في (أ): على.
(٢) قوله: فضة، سقط من (ب).
(٣) المِسَلّة بالكسر: الإبرة العظيمة، وجمعها مسالّ.
(٤) في (أ): وشوسه، وفي (ب) والنهج: كما أثبته.
(٥) ما بين المعقوفين، سقط من (أ).

ما بين أحمر قاني وأخضر ناضر، هذا إذا شبَّهته بهذه النباتات الأرضية، والزهور الوردية.

(وإن ضاهيته بالملابس): بما يلبس من رقيق الثياب وغاليها، والمضاهاة: المشابهة.

(فهو كموشيّ الحلل): المخلوط بالألوان المختلفة، و الصباغات الأنيقة، والحلل: جمع حُلّة وهو شيء من رقيق الثياب الحريرية وأغلاها.

(أو مُونِق[1] عَصْبِ اليمن): المونق: المعجب، والعصب: ضرب من برود اليمن بيض، ولهذا يقال في قطع السحاب البيض: عصب، هذا إذا ماثلته بهذه الثياب الموشية.

(وإن شاكلته بالحلي): بما يصنع من أنواع الحلي المركبة.

(فهو كفصوص ذات ألوان[2]): قطع من الجوهر[3].

(قد نُطِقت): أدير حولها وجعلت في الوسط.

(باللجين المكلل): بالفضة، والمكلل: المحفوف، يقال: روضة مكللة أي محفوفة بالأنوار، فانظر إلى هذه التشبيهات ما أرقّها، وأكثرها ملاءمة لما شبِّهت به وأوقعها مما قرنت منه، وحقيقة التشبيه هو: إنما يقع بين مشتركين في معنى واحد أو معاني[4]، وليس المرادمن ذلك الاجتماع

(١) في شرح النهج: أو كمونق.
(٢) ذات ألوان، زيادة في شرح النهج.
(٣) في (ب): الجواهر.
(٤) في (ب): أو معان.

في كل المعاني إذاً لكانا شيئاً واحداً، وقد أكثر الله التشبيهات في كتابه الكريم، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[الصافات:٤٩]، وأراد في الصفاء والرِّقة، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾[الطور:٢٤]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[النور:٣٥]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن:٥٨]، وله قدم راسخة في البلاغة.

(يمشي[1] مشي المرح المختال): يخطر إذا مشى خطور الفرح النشيط[2] المتبختر والمرح هو: النشاط والسرور، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[الإسراء:٣٧].

(ويتصفَّح ذَنَبَهُ وجناحه[3] فيقهقه): القهقهة: الاستغراق في الضحك، قال رؤبة:

أقَبُّ قهقاه إذا ما قهقها[4]

أراد أنه إذا ما نظر في جناحه وَذَنَبِهِ أغرق في الضحك والقهقهة.

(ضاحكاً): حال من الضمير في قهقه إعجاباً وسروراً.

(بجمال[5] سرباله): تفسير لتصفحه لِذَنَبِهِ.

(١) في (ب): ويمشي.
(٢) في (أ): المنشيط.
(٣) وجناحه، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٤) البيت في لسان العرب ١٨١/٣ وصدره:
جدَّ ولا يحمدنه أن يلحقا
ورواية الشطر الثاني الذي أورده المؤلف هنا في اللسان:
أقبُ قهقاه إذا ما هقهقا
(٥) في شرح النهج: لجمال.

(وأصابيغ وشاحه): تفسير لتصفحه لجناحه، نزَّلهما (عليه السلام) منزلة السربال، والوشاح: من الملبوسات، والوشاح: طوق ينسج من الأدم يرصَّع بالجواهر واللآلئ وأنواع الياقوت، تشدُّ به المرأة ما بين العاتق والكشح[1].

(فإذا رمى ببصره إلى قوائمه): طلع إلى رجليه ونظر إليهما وتصفحهما لما[2] تصفح جناحه وذنبه.

(زقا مُعْوِلاً): صاح، تقول: زقا الديك يزقو زقاً إذا صاح، وهو بالزاي والقاف، ومنه المثل: أثقل من الزواقي[3] وهي الديكة؛ لأنها تفرّق السُّمار عند صياحها؛ لأنهم كانوا يسمرون فإذا صاحت تفرَّقوا، والإعوال: رفع الصوت، وفي الحديث: «المعول عليه يعذب»[4].

(بصوت): يعني صوتاً حزيناً لما يلحقه من الغمِّ برؤيتها.

(يكاد يُبينُ عن استغاثته): يطلب الاستغاثة عن أن تكون متصلة به، وتكون بعض أطرافه لمخالفتها لسائر جسمه.

(١) العاتق: موضع الرداء من المَنْكِب يذكر ويؤنث، والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف. (مختار الصحاح ص٤١١، ٥٧٢).
(٢) في نسخة أخرى: كما.
(٣) النهاية لابن الأثير ٣٠٧/٢، وفي لسان العرب ٦٥/٢: ويقال: فلان أثقل من الزاووق.
(٤) نهاية ابن الأثير ٣٢١/٣، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٦٨٠/٨، وعزاه إلى مسلم في كتاب الجنائز ٢١، ومسند أحمد بن حنبل ٣٩/١، والسنن الكبرى للبيهقي ٧١/٤، وإصلاح خطأ المحدثين للخطابي ١٨، وكنز العمال رقم (٤٢٤٦٧)، وهذا الحديث فيه نظر لتعارضه مع قول الله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

(ويشهد بصادق توجعه): بأسفه[1] على ذلك.

(لأن قوائمه): رجليه الذي يقوم عليهما.

(حمش): دقاق، وامرأة حمشاء إذا كانت دقيقة الساقين.

(كقوائم الدِّيَكَةِ الخلاسيّة): قيل: الهندية، وقيل: الخراسانية، وهو ضرب من الدِّيَكَةِ على هذه الهيئة.

(وقد نجمت): أي ظهرت، يقال: نجم قرن الماعز إذا بدا وظهر.

(من ظُنْبُوب ساقه): الظنبوب هو: العظم اليابس في قدم الساق.

(صيصية خفّيه): الصيصية هي: شوكة الحائك، وصيصية الديك هي: شوكة رجله.

(وله في موضع العُرف): موضع العرف هو: الرقبة من الفرس، وأراد ها هنا مؤخر الناصية، وسماه عُرفاً لاتصاله بالناصية.

(قنزعة): شعر ملتف.

(خضراء): لونها أخضر كأنها زبرجدة.

(موشاة): مخلوطة بأنواع الأصابيغ تميل إلى الخضرة.

(ومخرج عنقه كالإبريق): لشدة مغرزه وحسن قوامه، شبهه بالإبريق في طوله واستقامته، والإبريق هو: إناء من صُفْر[2] أو غيره طويل الرقبة.

(١) في (ب): تأسفه.
(٢) الصفر: النحاس.

(ومغرزها إلى حيث بطنه): أراد أنها ظاهرة، والضمير للعنق لأنه مما يذكّر ويؤنث، وهي[1] ملتصقة ببطنه:

(كصبغ الوسمة اليمانية): الوسمة بالسين بثلاث من أسفلها وكسرها، هي: صبغ أسود يقال له: العظلم، وأراد ها هنا أن أصل العنق أسود يشبه هذا الصبغ.

(أو حريرة[2] ملبسة مراة ذات صقال): أو قطعة من حرير قد وضعت على مرآة[3] صقيلة قد أزيل طخاها فهي في غاية الصقالة.

(وكأنه متقنّع[4] بمعجر أسحم): التقنع: لبس القناع، وأراد أنه لما يلحقه من السواد في عنقه كأنه لابس لمعجر أسود، والسحمة هي: السواد، قال الأعشى:

رضيعـــي لبـــان ثـــدي أم تحـــالفا
بأســـحم داج عـــوض لا يتفـــرق[5]

والقناع: ما تغطي به المرأة رأسها وهو أوسع من المِقْنَعه.

(١) في (أ): وهو.
(٢) في (ب)، وشرح النهج: أو كحريرة.
(٣) في (أ): امراه، وهو خطأ.
(٤) في شرح النهج: متلفع.
(٥) البيت أورده الزمخشري في أساس البلاغة ص ١٦٥ بلفظ:

رضيعي لبان ثـدي أم تقاسما ... بأسحم داج عَوْضُ لا نتفـرق

وقبله:

تُشَـبُّ لمقروريـن يصطليانهـا ... وبات على النار الندى والمحلّق

(**إلا أنه يُخَيَّل لكثرة مائه**): استثناء منقطع، أي لكن التخيل حاصل من أجل ما يلحقه من كثرة المائية والرونقة، والضمير للطاؤوس.

(**وشدة بَرِيقه**): لمعانه.

(**أن الخضرة الناضرة**): الخالصة[1].

(**ممتزجة به**[2]): بسواد، وأراد أن الخضرة لما يلحقها من المائية، وشدة الرونقة ربما يظنُّ الظانُّ والرائي لها أنها ممتزجة بسواد، ولهذا قال: (كأنه متقنع بمعجر أسحم) يشير إلى ذلك.

(**ومع فتق أذنه**[3]): ويصاحب شق أذنه.

(**خط كمستدق**[4] **القلم**): خط دقيق يشبه جري[5] القلم في دقته.

(**في لون الأُقحوان**): وهو شجر طيب الرائحة مشتمل على لونين، فالظاهر منه ورق أبيض شديد البياض، ووسطه أصفر شديد الصفرة، يغلو في التشبيه [به][6] الشعراء في لونيه، وأراد هاهنا ورقه الظاهر، ولهذا قال:

(**أبيض يقق**): شديد البياض.

(**فهو في بياضه**[7] **في سواد ما هنالك**): يعني فالخط بما يلتصق به

---

(١) في (أ): الحاصلة.

(٢) به، زيادة في النهج.

(٣) في نسخة أخرى وشرح النهج: سمعه.

(٤) في (أ): كمشدق، والصواب ما أثبته من (ب) والنهج.

(٥) في نسخة أخرى: حرف.

(٦) سقط من (أ).

(٧) في (ب) وشرح النهج: فهو ببياضه.

من البياض فيما يقترن به من سواد الرقبة المجعول فيها، وهنالك إشارة إلى الأمكنة.

(**يأتلق**): أي يلمع، ومنه تألق البرق هو: لمعانه، أي يلوح سواده مع بياضه.

(**وقلَّ صبغ**): من جميع ألوان الأصباغ كلها.

(**إلا وقد أخذ منه بقسط**): أخذ منه بعضاً، [والاستثناء][1] هذا مفرغ في الصفات الجملية، كقولك: ما جاءني زيد إلا وهو ضاحك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا[2] مُنذِرُونَ﴾[الشعراء:٢٠٨] ويرد[3] في المفردات، كقولك: ما جاءني زيد إلا ضاحكاً.

(**وعلاه**): وزاد عليه باختصاصه.

(**بكثرة صِقَاله وبَرِيقه**): بما[4] يلاصقه من تلهبه بكثرة الصقال، وما يلوح فيه من البريق.

(**وبصيص ديباجه ورونقه**): نور جماله وحسنه، وما يظهرفيه من الطلاوة والنضارة المعجبة، فهو كا لديباج من الحرير المخلوط في نسجه[5] باللجم المختلفة.

(**فهو كالأزاهير المبثوثة**): المتفرِّقة من أنواع مختلفة غضَّة طريَّة ناعمة.

---

(١) سقط من (أ).

(٢) ورد في النسخ هكذا: ﴿إلاَّ ولَهَا مُنذِرُونَ﴾ بزيادة واو بعد إلا، وفي المصحف كما أثبته.

(٣) في (أ): وفرد، وما أثبته من (ب)لوضوحه.

(٤) في (ب): لما.

(٥) في (ب): شنجه.

(لم تَرُبْها أمطار ربيع): الريب: ما رابك من كل أمر، وأراد أنها لم تغيِّرها عمَّا لحقها من النعومة والطلاوة أمطار الربيع فتغيرها عن حالتها؛ لمايلحقها من برد وعصف ريحه.

(ولا شموس قيظ): ولا لحقها[1] ذبول بسبب حرشمس القيظ، وهو أشد ما يكون من حرارة الشمس في القيظ، وأراد أنها لصفائها وعظم رونقها تشبه الأزهار عند خروجها من أكمامها، لم يلحقها تغير في حال.

(وقد ينحسر من ريشه): يزول، من قولهم: حسر عن وجهه اللثام إذا أزاله.

(ويعْرَى من لباسه): ويسقط عن أن يكون لباساً له أو يكون متصلة به.

(فيسقط تترى): إما فَعْلَى من التواتر، وتاؤها بدل من واو، وانتصابها على الحال، وإما تَفْعَل وتكون التاء زائدة، وأراد أنها تسقط واحدة بعد واحدة.

(وتنبت[2] تباعاً): تنشر[3] متابعة.

(فينحتّ من قصبه): أراد أنها ملصقة بقصب الريش، وهو العمود الذي يكون في وسطها، فيزول منها بالسقوط.

(انحتات أوراق الأغصان): يعني كما تسقط الورقة من غصن الشجرة إذا عرض لها عارض يوجب انحتاتها.

---

(١) في (ب): ولا يلحقها.
(٢) في (ب) وشرح النهج: وينبت.
(٣) في (ب): تنتشر.

(ثم يتلاحق نامياً): ثم يتدارك ما سقط بأن ينمو عوضه، ويخلفه غيره.

(حتى يعود كهيئته قبل سقوطه): في التمام والكثافة والإعجاب.

(لا يخالف سائر[1] ألوانه): عند بدوه واستكماله في[2] النبات.

(ولا يقع لون في غير مكانه): فيؤدي ذلك إلى الاختلاف والتباين.

(وإذا تصفّحت شعرة من شعرات قصبه): بالنظرالصحيح والفكر الصافي.

(أرتك): إسناد الرؤية إليها مجاز، والغرض رأيت عند إبصارك لها.

(حمرة وردية): تشبه لون الورد في اختلاط حمرتها ببياض مثل لون الورد، أو حمرة قانية[3] لا لبس فيها بغيرها مثل لون الورد الأحمر.

(وتارة خضرة زبرجدية): مثل لون الزبرجد وهو: نوع من أنواع الجواهر[4] شديد الخضرة.

(وأحياناً صفرة عسجدية): العسجد هو: الذهب، وأراد أنها تشبه لون الذهب في اصفرارها، فهذه الألوان كلها حاصلة في ريشة واحدة من ريشه، فإذا صوبت النظر وقررت البصر إلى واحد من هذه الشعرات، أرتك هذه الألوان لإقبالك عليها، ووجودها كلها في الشعرة الواحدة.

---

(١) في شرح النهج: سالف.
(٢) في، سقط من (أ).
(٣) أي شديدة الحمرة.
(٤) في (أ): الجوهر.

(**وكيف**[1] **تصل إلى صفة هذا**): الطير من الحيوانات.

(**عمائق الفطن**): عميق الشيء: قعره وأقصاه، والفطنة: الفهم.

(**أو تبلغه قرائح العقول**): والقريحة: جودة الطبع، وصفاء الذهن، وصحة الغريزة.

(**أو تستنظم وصفه**): تطلب نظمه وتأليفه.

(**أقوال الواصفين**): على ما اشتمل عليه من هذه البدائع، واستولى عليه من هذه الحكم.

(**وأقل أجزائه**): شعرة من شعرات ريشه.

(**قد أعجز الأوهام**): العقول التي هي طريق للوهم.

(**أن تدركه**): تقع على[2] كُنْهِ حقيقته.

(**والألسنة أن تصفه**): بالأقوال وتحرز كُنْه أوصافه، وإذا كان بعض أجزائه غير مدركة حقيقة، فمجموعها[3] أبعد عن ذلك.

(**فسبحان الذي بهر العقول**): تنزه عن الإحاطة بجلاله، وبهرالعقول أي غلبها بتعاليه عن إحاطتها وقهرها.

(**عن وصف خلق**): من مخلوقاته وهوالطاؤوس.

(**جلاّه للعيون فأدركته**): أظهره للأبصار فهي تراه كما ترى سائر المدركات.

---

(١) في شرح النهج: فكيف.

(٢) في (أ): عليه.

(٣) في (أ): فجموعها.

(**محدوداً**): بحدود.

(**مكّوناً**): مخلوقاً بعد أن لم يكن.

(**ومؤلفاً**): من أجزاء وأبعاض وأوصال.

(**ملوناً**): بهذه الأصابيغ العجيبة.

(**وأعجز الألسن**): أخرسها عن الإحاطة به وأفحمها.

(**عن تلخيص صفته**): بيانها وتحصيلها.

(**وقعد**[1] **بها**): العجز.

(**عن تأدية نعته!**): إيجاده وإيقاعه في الوجود.

(**سبحان**[2] **من أدمج قوائم الذرّة**): ألّفها تأليفاً منتظماً مدمجاً بعضه إلى بعض مدوراً ملساً ليس مضرساً.

(**والهَمَجَة**): وهي: ذباب صغير دون البعوضة.

(**إلى ما فوقها**[3] **من خلق الحيتان والفيلة!**): وإنما ذكرها وخصَّها لاختصاصها بالكبر من بين سائر الحيوانات، هذا من حيوان البر، وهو أكبرها أعني الفيل، وهذا من حيوان البحر فإن بعض الحوت يختص بخلق عظيم.

---

(١) في (ب): وبعد بها.

(٢) في (ب) والنهج: وسبحان.

(٣) في شرح النهج: فوقهما.

وحكى ابن هشام[1] في سيرته: أن الرسول (عليه السلام) بعث أبا عبيدة بن الجراح في سرية، وزودهم جراباً من تمر فأكلوه حتى نفد، حتى لقد كان قدر قوت واحد منهم تمرة واحدة كل[2] يوم، فلما فرغ ذلك أجهدنا الجوع، فأخرج الله لنا دابة من البحر فأكلناها وسمنا عليها، فأخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها، فوضعها[3] في طريقه ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منّا فجلس عليه ثم خرج من تحتها، وما مست رأسه[4]، وغير ذلك من المخلوقات العظيمة.

(**ووأى على نفسه**): الوأي: الوعد، وتعديته بعلى[5] حملاً على المعنى، كأنه قال: كتب على نفسه، وأقسم عليها، كما قال تعالى ﴿**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[الأنعام:١٢].

وفي بعض النسخ: (**ورأى على نفسه**): أي علم من حالها، وسبق ذلك في اللوح المحفوظ.

(**ألا يضطرب**): يتحرك وينصرف[6]، يميناًوشمالاً.

---

(١) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، المتوفى سنة ٢١٣هـ، مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر، أشهر كتبه السيرة النبوية المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق (الأعلام ٤/١٦٦).

(٢) قوله: كل يوم، سقط من (ب).

(٣) في (ب): فوضعه.

(٤) انظر الرواية في سيرة ابن هشام ٤/٣٠٩-٣١٠، وهي هنا باختلاف يسير.

(٥) بعلى، سقط من (أ).

(٦) في (ب): ويتصرف.

(**شبح**): من هذه الأشباح كلها.

(**ثما**[1] **أولج فيه الروح**): الذي يكون قواماً لجسمه، وسبباً لتصرفه.

(**ألا وجعل الحِمَام موعده!**): الحمام بالكسر هو: قدر الموت، والموعد زمان الوعد، أي هو الوقت الذي لا يتجاوزه.

(**والفناء غايته**): التي يصل إليها.

وأقول ها هنا: إذا كان كلام أمير المؤمنين مؤذن بأن خلقة الطاؤوس على حقارتها وضعفها بالإضافة إلى المخلوقات الباهرة لاتنال، فكيف حال خالقها، إذاً نكون على الوقوف على حقيقته أبعد، وضَعُفَ بما ذكرناه كلام من زعم أن حقيقة ذات الله معلومة للبشر، كما حكينا عن المعتزلة وغيرهم.

ثم عقّب ذلك بذكر حال الجنة وصفاتها بقوله:

(**فلو رميت ببصر قلبك**): أراد نظرت وتفكرت بقلبك.

(**نحو ما وصف**[2] **لك**): إلى ما وصف الله في كتابه الكريم، وورد على لسان نبيه الرحيم.

(**لعزفت نفسك**): أي زهدت، يقال: عزف نفسه عزوفاً في كذا إذا زهد عنه.

---

(١) في (أ): ما.

(٢) في شرح النهج: ما يوصف لك منها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها): إعراضاً عنها، وشوقاً إلى لقاء[1] ما هو أغلى منها وأنفس.

(ولذاتها): جمع لذة وهو: ما يلذُّ الإنسان ويعجبه.

(وزخارف مناظرها): جمع منظر وهو: ما تروق النفس إليه وتشتهيه.

(ولذهلت بالفكر): تحيرت متفكراً.

(في اصطفاق[2] أشجار): في الأشجار التي تصفقها الريح أي تحركها.

(غيّبت عروقها في كثبان المسك): أدخلت عروقها فغابت عن الرؤية، الكثيب هو: العمود من الرمل.

(على سواحل أنهارها): شواطئها وجوانبها.

(وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب): كبائس: جمع كباسة، وهو العذق[3] من التمر بمنزلة العنقود من العنب.

(في عساليجها): واحدها عسلوج وهو: الغصن الواحد من الشجر.

(وأفنانها): واحدها فَنَن وهو: الشمراخ الواحد، قال الله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[الرحمن:٤٨].

(وطلوع تلك الثمار مختلفة): في هيئاتها، وطعومها، وأجناسها.

(في غلف أكمامها): الغلف جمع غلاف، وهو: غطاء القارورة،

(١) في (أ) وفي نسخة أخرى: بقاء.
(٢) في شرح النهج: اصطفاف.
(٣) في (أ): العرق، وهو تحريف.

والكمامة، والكِمّ بكسر الكاف وهو: وعاء الطلع وغطاء النور الذي يكون فيه.

(تُجنى من غير تكلف): صعوبة ولا[1] عسرة على جانيها.

(فتأتي على منية مجتنيها): على وفق إرادته وشهوته.

(ويطاف على نزّالها): الضمير للمناظر، وهي: المساكن المتقدم ذكرها.

(في أفنية قصورها): ساحاتها وجوانبها.

(بالأعسال المصفقة): تصفيق الشراب: تحويله من إناء إلى إناء ليبقى الصافي منه.

(والخمور المروّقة): راق الشراب يروقه روقاً أي صفا، والمروَّقة: المصفَّاة.

(قوم): أي هم قوم.

(لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار): تمادى في فعله إذا فعله مرة بعد مرة، وأراد أنهم ما زالوا يكرمون بأنواع الكرامات، وتُحَفِها وَطُرَفِها إلى أن كان منتهاها وغايتها استقرارهم في الجنة وتوطّنهم لها.

(وأمنوا نُقْلَة الأسفار): عن أن يكونوا منتقلين عنها، كما ينتقلون في أماكن الأسفار.

(فلو شغلت قلبك[2] أيها المستمع): لما نحكيه من هذه الأوصاف، ونذكره من هذه العجائب.

(١) في (أ): وعلى عسره.
(٢) في (أ): نفسك.

(**بالوصول إلى مايهجم عليك**): يرد عليك نعته وصفته.

(**من تلك المناظر المونقة**): المعجبة بنضارتها.

(**لزهقت نفسك شوقاً**): تعجلت نفسك شوقاً.

(**اليها**): إلى لذاتها وعجائبها وَطُرَفِها.

(**ولتحملت من مجلسي هذا**): نهضت منه.

(**إلى مجاورة أهل القبور**): أراد إلى الموت؛ لأنه لا يمكن الوصول إليها إلا بانقطاع التكليف، وذلك لا يحصل إلا بالموت.

(**استعجالاً بها**[1]): طلباً للعجلة إليها.

(**جعلنا الله وإياكم ممن يسعى بقلبه**): بالاجتهاد في الأعمال الصالحة لِيَعْبُرَ بها:

(**إلى منازل الأبرار برحمته**): في[2] الجنة بلطفه الموصل إلى رحمته، وكريم مغفرته.

---

(١) في (أ) و(ب): لها، وكتب الناسخ في (ب) فوقها: بها، وما أثبته منها ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(٢) في (ب): إلى.

(١٥٦) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بني أمية

(**ليتأسَّ صغيركم بكبيركم**): الأسوة هي: القدوة، وأردا أن الصغيرمنكم عليه الا قتداء بالكبير في أفعاله وأعماله من الخير، واصطناع المعروف.

(**وليرأف كبيركم بصغيركم**): أراد أن الكبير عليه الرأفة بالصغير، وإنما خصَّ التأسي بالصغير لأن الكبير هو أحق بالاقتداء، لما تقدم له من الخبرة والسبر للأحوال كلها، وظهور الحنكة في حاله، وإنما خص الرأفة بالكبير لأنه أحق بها لضعف حالة الصغير فهو أولى لا محالة بها، وهذا هو الذي ورد به الشرع وامتاز به المسلمون عن غيرهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠]، وفي الحديث: «المسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[1].

---

(١) رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام) في تكملة الأحكام ص ٨٦ وقوله: «المسلمون»، في تكملة الأحكام: «المؤمنون»، وأخرج نحوه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٧٨/٢ بلفظ: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وفي موسوعة أطراف الحديث النبوي ٦٧٥/٨ وعزاه إلى أمالي الشجري ١٧٨/٢ قلت: والشجري هو الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري (ع).

والحديث بلفظ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٩٩/٤، والبخاري في صحيحه ١٨٢/١، والترمذي في سننه ٣٢٥/٤.

(**ولا[1] تكونوا كجُفاة الجاهلية**): كأهل الجفاء المختصون به من بين سائر الخلائق، وهم عبدة الأوثان والأصنام من العرب، وبيان جفائهم هو أنهم:

(**لا في الدين يتفقهون**): فقه الشيء إذا فهمه، أي أنهم لا يفهمون شيئاً من أمورالدين، ولايعرفون طرفاً من أحواله.

(**ولا عن الله يعقلون**): ما يصلحهم مما أَبْلَغَهُمْ إياه من أحوال الشرائع وتعريف الألطاف [الخفية][2]، ومثلهم فيما هم عليه من الغفلة عن الله، وعدم التفقه والتعقل عن الله:

(**كقيض بيض في أداح[3]**): القيض هو: القشر الأعلى من البيضة، والأداح: جمع أدحى وهو: موضع تفريخ النعامة، ومدحاها: موضع بيضها، ويقال: أدحى[4] أيضاً على وزن أفعول لموضع مراحها أيضاً، لأنها تدحوه برجلها تبسطه وتفرخ فيه وليس لها عش كالطائر.

(**يكون كسرها وزراً، ويخرج حضانها شراً**): أراد أن البيض التي تكون في الأداحي ليس يخلو حالها، إما أن يكون للنعامة فإن كسرته كان عليك وزراً، إذ لاوجه يتيح كسره بغير غرض[5] فيه، وإن كان ذلك البيض للحية وترك عن الكسر خرج حضانها شراً؛ لأنه يكون حيات، فهو لا يخلو عن هاتين الحالتين، فهكذا يكون حال جهَّال الجاهلية الذين

(١) في (ب): فلا تكونوا.
(٢) زيادة في نسخة أخرى.
(٣) في (ب): أداحي.
(٤) ظنن في هامش في (ب) بقوله: ظ: أدحي على وزن أفعول. تمت.
(٥) في (أ): بغير عوض، وفي نسخة أخرى: لغير غرض.

يتعلمون أحكام الدين ممن يعلِّمهم، ولا يريد الله تعالى تعلّمهم[1] ويخذلهم[2] عن إدراكه؛ لإعراضهم عنه، إن قتلتهم[3] فلا يعرى قتلهم عن إثم لتلبسهم بالإسلام، وإن تركتهم فلا ينشأ منهم إلا الشر والفتنة، كالبيض في الأداحي، ثم ذكر الأمرالذي جرى على بني أمية:

(**افترقوا بعد ألفتهم**): في أيام خلافتهم، يقال: ألف هذا الشيء إلْفاً وإلافاً إذا غري به وعشقه، والاسم فيه[4] الألفة.

(**وتشتتوا عن أصلهم**): الذي كان يجمعهم، وهو أمرهم واستحكام الدولة لهم.

(**فمنهم آخذ بغصن**): يعني أن بعضهم يعتمد على غيره، ويتكل عليه، لما تفرَّقوا في البلاد ومزقوا كل ممزق التجأوا إلى غيرهم، واستندوا إليه وتمسك كل واحد منهم بغيره[5].

(**أينما مال مال معه**): حيث كان لا يستقل بنفسه، ولا يجد له ملجأً سوى تمسكه به، فلهذا كان واقفاً على حسب إرادته يكون حيث كان ويقع حيث وقع.

(١) في نسخة أخرى: تفهمهم.
(٢) في (ب): فيخذلهم.
(٣) في (أ): قتلهم.
(٤) في نسخة أخرى: منه.
(٥) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٨٤/٩ في شرح قوله: (فمنهم آخذ بغصن) ما لفظه: أي يكون منهم من يتمسك بمن أخلفه بعدي من ذرية الرسول، أينما سلكوا سلكوا معهم، وتقدير الكلام: ومنهم من لا يكون هذه حاله، لكنه لم يذكره (عليه السلام) اكتفاء بذكر القسم الأول؛ لأنه دال على القسم الثاني. انتهى.

(على أن الله تعالى سيجمعهم لشر يوم لبني أمية): على هذه متعلقة بأمر محذوف تقديره أمرهم هذا زائد على جمع الله لهم لشر يوم، يريد أنهم وإن تفرقوا في البلاد وتبددوا [فيها][1]فإن الله تعالى يجمعهم ليوم عظيم، وهو يوم كان هرب مروان الحمار، وهزم[2] عسكره وفرق جيشه[3].

(كما تجتمع قزع الخريف): القزع: قطع من السحاب رقيقة؛ لأنها في أيام الخريف تجتمع من كل ناحية.

(يؤلف الله بينهم): لمايريد بذلك من عذابهم، والنكال بهم.

([ثم][4] يجعلهم ركاماً): الركام هو: السحاب المتراكم الذي يكون بعضه على بعض.

(كركام السحاب): المترادف يركب بعضه بعضاً؛ لكثرته وعظمه، وأراد أنه يجمعهم حتىيكونوا خلقاً عظيماً متكاثفاً.

(ثم يفتح الله عليهم[5] أبواباً): من أنواع بلائه، وعظائم نقماته لا تسدُّ عنهم ولا تغلق حتى يقضي الله فيهم أمره بالانتقام وقطع الدابر.

(يسيلون): يرتحلون[6].

---

(١) زيادة في (ب).
(٢) في (أ): وهرب.
(٣) انظر تفاصيل ذلك في شرح النهج لابن أبي الحديد ١٢١/٧-١٢٣.
(٤) زيادة في (ب) والنهج.
(٥) في نسخة وشرح النهج: لهم.
(٦) في (أ): يرحلون.

(من مستثارهم): فيه روايتان:

أحدهما: بالثاء بثلاث من أعلاها، وأراد من حيث أزعجوا عن أماكنهم التي كانت لهم مستقراً[1] ومستوطنات، أخذاً من قولهم: استثارالناقة أي أزعجها للنهوض.

وثانيهما: بالشين من أعلاها وأراد من المواطن التي نعموا فيها وسمنوا، أخذاً من قولهم: استشارالبعير إذا سمن.

(كسيل الجنتين): في الإسراع، يشير بها إلى ما كان من تغيير أحوالهم، وهربهم إلى بلاد الأندلس.

وحكي أن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك هرب إليها، وأقام هو وعقبه فيها مدة طويلة، وتابعه أهلها، ثم هلكوا هنالك شاردين عمَّا كانوا فيه من الخلافة والملك، فمثلهم فيماأصابهم بمافعل الله بسبأ لما طغوا وبغوا وأرسل عليهم سيل العرم فتفرقوا في البلاد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[سبأ:١٩] وضرب بهم المثل في التفرق، فقيل: تفرقوا أيدي سبأ، وسبب ذلك أن بلقيس جعلت عليهم سداً ما بين الجبلين، وسددته بالبناء الأكيد، وكان يجمع الأمواء[2] من العيون والأمطار، وتركت فيه خروقاً[3] يأخذون الماء منها على قدر حاجتهم في السقي فلما كفروا وطغوا وبغوا، أرسل عليهم الجرذ[4] فنقبه،

---

(١) في (ب): مستقرات.
(٢) في (ب): الماء.
(٣) في (أ): ويركب فيه خروقاً.
(٤) الجرذ: نوع من الفيران، والعبارة في (ب): أرسل الله عليهم الجراد.

فأغرقهم به[1]، والجنتان هما ما حكاه الله تعالى في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ﴾[سبأ:١٥]، وكل واحدة منهما مشتمل على عدة كثيرة من البساتين، ولم يرد بساتين؛ وإنما أراد الشطين العظيمين عن يمين وشمال، فأرسل الله عليهم من[2] السيل ما غيَّر ذلك كله وهدمه.

(**حيث لم تسلم عليه قارَة**[3]): القارَّة بتشديد الراء هي: الحفير الذي يستقر فيه الماء، أي لم تسلم عن الخراب والهدم.

(**ولم تثبت له**[4] **أكمة**): تردَّه عن النفوذ لقوته، وشدة أمره.

(**ولم يَرُدَّ سَنَنَهُ**): السنن: وجه الشيء الذي فيه يتوجه، يقال: جاء من الجبل ما لايرد سننه أي وجهه.

(**رصُّ طود**): الرصُّ: إلصاق البنيان بعضه ببعض، والطود هو: الجبل العظيم.

(**ولا حِداب أرض**): الحداب جمع حدب، وهو: ما ارتفع من الأرض، والمعنى في هذا أن السيل لقوته، وفخامة حاله، لم ترده عما هو فيه الأطواد العظيمة من الجبال ولاالأكام الواسعة الطويلة، كما في سائر السيول التي أريد بها الرحمة، فأما ما أريد به النقمة والعذاب، فلا يدّ[5] لأحد تدفعه، فنعوذ بالله من قضائه[6] النافذ، وقدره السابق!.

---

(١) انظر الكشاف ٣/٥٨٥.

(٢) قوله: من، سقط من (أ).

(٣) في (أ): قارَة.

(٤) في النهج: عليه.

(٥) في (أ): فلا شيء لأحد يدفعه.

(٦) في (ب): من شر قضائه.

(**يذعذعهم الله**): أي يفرِّقهم، والذعذعة: التفريق، بذال منقوطة من أعلا ها، والضمير لبني أمية:

(**في بطون أوديته**): الضمير لله أو للسيل.

(**ثم يسلكهم ينابيع في الأرض**): إما جعلناهم[1] متفرقين في الأوديه التي ينبع منها الماء هرباً وتشريداً، وإماأدخلناهم في بطون الأودية قتلاً وموتاً، من قولهم: سلكته في الأرض فانسلك أي أدخلته فدخل، وكل ذلك قدفعله الله بهم، ويحتمل أن تكون هذه الضمائر لسبأ، وحكاية ما فعل الله بهم لما أهلكهم بالسيل، وتمثيل حال بني أمية بحالهم في ذلك، إياك أعني فاسمعي يا جارة.

(**يأخذ بهم من قوم حقوق قوم**): أي من كان عندهم[2] له حق أخذ منهم.

(**ويمكِّن لقوم في ديارقوم**): ومن كان له[3] قِبَلَهم ثأرأدركه في حقهم لما صاروا إليه من الذل والهوان، فكل واحد ممن قهروه يتذكر ما كان عليهم له فيأخذه منهم، إذ لا يخاف فيهم[4] مكر ولا يخشى من جهتهم سطوة، ويحتمل أن يكون هذا على جهة العموم، والمعنى أن الله تعالى جعل الأيام مداولة بين الخلق فيعزُّ هذا ويذلُّ هذا، ويمكِّن هذا[5] من هذا،

---

(١) في (ب): جعلهم.

(٢) في (أ): عند.

(٣) في (أ) و(ب): به، وما أثبته من نسخة أخرى.

(٤) في نسخة أخرى: منهم.

(٥) في (ب): لهذا.

ويرفع هذا ويضع هذا، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠].

(وايم الله ليذوبنّ ما في أيديهم): يزول ويتفرق، يعني بني أمية.

(بعد العلو والتمكين): بعد الرفعة بالخلافة والملك، والاستيلاء على الخلق بالقهر والظلم.

(كما تذوب الألية على النار): فيصير ماء متلاشياً بعد أن كان شحماً، وهذه[1] من العلوم التي أعلمها إياه رسول الله وأقرَّها في نفسه؛ لأن مثل هذا يكون أمراً غيبياً لا يكون إلا بإعلام الله تعالى.

(أيها الناس، لولم تتخاذلوا عن نصر الحق): يخذل بعضهم بعضاً عن القيام بالحق، والانتصار بجانبه.

(ولم تهِنُوا عن توهين الباطل): ولم تضعفوا عن خذلان الباطل وإهماله.

(لم يطمع فيكم من ليس مثلكم): من ليس حاله كحالكم في الشدة والقوة والبطش.

(ولم يقوَ من قوي عليكم): ولم ينصر عليكم من نصر [من][2] غيركم.

(لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل): فنصر عليكم عدوكم وخذلتم.

(١) في (ب): وهذا.

(٢) سقط من (أ).

حكي أن التيه لبثوا فيه أربعين سنة، كما حكى الله[1] ذلك في ستة فراسخ، يسيرون كل يوم مجدين في السير، حتى إذا كَلُّوا وملُّوا وأمسوا إذ هم بحيث ارتحلوا، وكان الغمام يظلهم من حر الشمس، ويطلع عليهم عمود من نور الليل يضيء لهم، وينزل عليهم المنُّ والسلوى[2]، فالمنُّ: هو الترنْجَبِين مثل الثلج ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والسلوى: طائر يسمى السماني[3].

(ولعمري ليضعّفنّ لكم التيه من بعدي أضعافاً): أراد الحيرة، والذهاب عن الحق.

سؤال؛ ماو جه تشبيههم بحال بني إسرائيل[4] في التيه، وليس حالهم كحالهم في ذلك؟

وجوابه؛ هو أنه (عليه السلام) شبَّه حاله فيما أمر به أصحابه من الجهاد للبغاة بحال موسى وهارون في أمرهما لقومهما بدخول الأرض المقدسة، فخالفتم[5] كما خالف بنو إسرائيل، ففعل الله بكم مثلما فعل بهم،

(١) في (ب): في ذلك.

(٢) انظر الكشاف ٦٥٦/١.

(٣) وقال الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام في مجموع كتبه ورسائله ١٣١/٢ في كتاب الإيضاح في تفسير المن والسلوى قال ما لفظه: المن فهو شيء كان يقع على الشجر، طعمه كطعم السكر، يضرب إلى لون الخضرة، وقد ربما وجد الآن منه الشيء اليسير، فكان بنو إسرائيل يأكلونه، والسلوى فهو طائر دون الحمام، وقد يكون بالحجاز كثيراً، فكانوا يأكلونه مع المن. انتهى.

(٤) في (ب): ما وجه تشبيههم ببني إسرائيل.

(٥) في (ب): فخالفتهم.

فتهتم عن الحق وضللتم عنه خذلاناً من الله تعالى لكم، كما تاه بنو إسرائيل، وكان التيه عقوبة لهم على التأخر عن الدخول بيت المقدس، وأراد أن زيغكم بعدي عن الحق، وبُعْدُكُم عنه أكثر من أيامي.

(**بما**[1] **خلفتم الحق وراء ظهوركم**): تركتموه بمنزلة الشيء الذي يكون وراء الظهر فلا يلتفت إليه، ولا يعول عليه.

(**وقطعتم الأدنى، ووصلتم الأبعد**): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد نفسه بذلك لقربه منهم فقطعوه مع قربه منهم بمخالفته فيما يأمرهم به، ووصلتم الأبعد عنكم لموافقتكم[2] له فيما يريد وإن كان بعيداً عنكم.

وثانيهما: أن يريد قطعتم الحق مع قربه إليكم، ووضوحه[3] في أعينكم بالمخالفة له، ووصلتم الباطل مع بُعْدِه، وبطلان أمره لموافقتكم له واعتمادكم عليه.

(**واعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم**): يشير إلى نفسه.

(**سلك بكم منهاج الرسول**): طريقه فيما أمر به ونهى عنه.

(**وكفيتم مؤونة الاعتساف**): وهو الأخذ على غيرطريق.

(**ونبذتم الثِّقل الفادح عن الأعناق**[4]): طرحتم الأمر المثقل الغالب لكم

(١) قوله: بما، زيادة في النهج.

(٢) في (أ): لموافقتهم.

(٣) في (ب): ورسوخه في أنفسكم.

(٤) قوله: عن الأعناق، زيادة في النهج.

من فوق أعناقكم، وعنى بذلك أن اتّباعهم له يزيل ما قد حملوه[1] على ظهورهم من أوزار المخالفة، فلهذا قال: (ونبذتم الثقل الفادح) يشير إلى ذلك.

(١) في (ب): تحملوه.

(١٥٧) ومن خطبة له عليه السلام في أول خلافته

(**إن الله سبحانه أنزل كتاباً**): وهو القرآن.

(**هادياً**): إلى كل خير.

(**بيّن فيه الخير والشر**): الأعمال الصالحة والأعمال السيئة، أوالهدى والضلال، أو غير ذلك مما يكون خيراً وشراً، فإن القرآن مشتمل عليه.

(**فخذوا نهج الخير**): طريق الجنة.

(**تهتدوا**): إليها.

(**واصدفوا**): ميلوا.

(**عن سمت الشر**): طريقه.

(**تقصدوا**): تصيبوا القصد من ذلك، أو تعدلوا أي تستقيموا، من قولهم: قصد إذا عدل.

(**الفرائض الفرائض!**): تحذير عن تركها، وأراد الزموا الفرائض، وفي الحديث: «ما تقرب إليَّ المتقربون بمثل أداء[1] ما افترضت عليهم».

(١) قوله: أداء، سقط من (ب)، والحديث أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٠٥/٩ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٤٧٧/٨. وله شاهد بلفظ: «ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء فريضتي» أخرجه من حديث الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/١٠، وأبو يعلى في مسنده ٥٢٠/١٢.

(**أدُّوها إلى الله**): أحسنوا تأديتها على الوجه الذي أراده منكم.

(**تؤدكم إلى الجنة**): توصلكم إلى ثواب الله بدخول الجنة إذ هي جزاء عليها.

(**إن الله حرَّم حراماً غير مجهول**[1]): أراد أن جميع ما حرَّم الله تعالى على عباده قد أوضحه وبيَّنه على لسان نبيه، وبما قرره في العقول من المنع منه فليس مجهولاً، وإنما فعل ذلك لئلا يكون للعباد حجة بعد ذلك، ولئلا يقولوا حرَّم علينا ما لا نعلمه من ذلك.

(**وفضّل حرمة المسلم على الحُرَم كلها**): أراد أن المساجد لها حرمة، والكعبة لها حرمة، وغير ذلك مما وضع الله له حرمة، ولكن المؤمن حرمته فوق هذه الحرم عند الله تعالى؛ لمايريد من كرامته بالإيمان به، والإقرار بتوحيده، وفي الحديث: «إن الرسول (ﷺ) ضرب بيده يوماً على جدار الكعبة، وقال: إن الله شرَّفك وعظَّمك، ولكنَّ حرمة المؤمن أعظم عند الله منك»، ومن هذه حاله فالواجب الانكفاف عن أذيته[2] في كل ما يؤذيه، وفي الحديث: «من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله»[3] ثم تلا قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾[الأحزاب:٥٧] أو[4] أن يقال فيه ما ليس فيه،

(١) بعده في النهج: وأحل حلالاً غير مدخول.

(٢) في (ب): ذاته.

(٣) ورد بلفظ: «من آذى مسلماً فقد آذاني...» الحديث، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦١/٤، والمعجم الصغير ٢٨٤/١، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٩١/١.

(٤) في (ب): وأن.

وفي الحديث: «من قال في مؤمن ما لا يعلمه أقامه الله على تلٍّ من تلال جهنم، حتى يخرج عمَّا يقول وما هو بخارج»[1] وخليق بمن قرع سمعه هذه الوعيدات الشديدة ألا يقرب شيئاً من ذلك، وأن يكون على حذر منه.

اللَّهُمَّ، اجعل حظّنا من ذلك السلامة.

(وشدَّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها): أراد أن كل من كان موحِّداً لله تعالى مخلصاً لدينه عن الشرك، فإن الإخلاص والتوحيد يؤكدان حقه، ويكرمانه[2] ويعظمانه عما يعتريه[3] ويشدانه عن السقوط، ويوجبان وضع الحقوق على ما عقدت عليه، والوفاء بها من الذمم والعهود والمواثيق.

(فالمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه[4]): أراد أن المسلم حقيقة من كفَّ يده عن أموال الناس بالظلم والتعدي، وكفَّ لسانه عن أعراضهم بالنقص[5] والغيبة والنميمة.

(إلا بالحق): من ذلك فيؤخذ دمه قصاصاً، ويؤخذ ماله دَيْناً وعلى جهة الاستقراض بطيبة من نفسه.

---

(١) له شاهد أخرجه الإمام أبو طالب في الأمالي ص ٥٥١ بسنده عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه».
وله شاهد آخر أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٨٩/٨، بلفظ: «من قال في مؤمن ما لا يعلم حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

(٢) في (ب): ويلزمانه.

(٣) في (أ): يعيره، وفي نسخة أخرى: عما بعده، وما أثبته من (ب).

(٤) في (ب) و في شرح النهج: من لسانه ويده.

(٥) في (أ): بالبغض.

(ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب): أي لايباح ذلك لأحد، وقوله: (إلا بما يجب) فيه روايتان:

أحدهما: أن يكون بالجيم، وعلى هذا يكون[1] الاستثناء فيه متصلاً، ويكون المعنى لايباح أذى المسلم بشيء من الأشياء إلا بما يجب، وذلك نحو الجرح عند الحاكم فإن مثل هذا يكون واجباً لأجل الاحتياط في الشهادة.

وثانيهما: أن يكون بالحاء وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً، ويكون المعنى فيه لا يحل أذى المسلم لكن يذكر بما يحب من الذكر.

(بادروا أمر العامة): أي أحرزوا ما يعمُّ نفعه لكافة المسلمين، واتركوا ما يعمُّ ضرره على الكافة، وهذا نحو الجهاد وإصلاح الطرقات والمناهل والمساجد، فإن هذه الأمور إصلاحها مما يتعلق بالكافة، ولا يختص أحد بحق[2] أحد، وما لحقها من الضرر فإنه يعمُّ الكافة أيضاً، ولهذا كان نفعها عند الله عظيماً لما يلحق فيها من الصلاح.

(وخاصة أحدكم وهو الموت): أراد وأصلحوا أمر الخاصة، وهو ما يختص الآحاد والأفراد، وهو إصلاح حال الآخرة قبل وقوع الموت فيقطع ذلك كله.

(فإن اليأس أمامكم): يريد أن الآجال منقطعة في الأزمنة المستقبلة، وفيها انقطاع كل أمر واليأس من كل شيء.

---

(١) قوله: يكون، سقط من (أ).

(٢) في (ب): دون.

(وإن الساعة تحدو بكم[1] من خلفكم): تسوقكم من ورائكم، وتحثكم على السير إلى القيامة.

(تخففوا تلحقوا): أراد تخففوا من أشغال الدنيا وأعمالها وتبعاتها، تلحقوا بأهل الصلاح التاركين للدنيا، والعاملين للآخرة.

(فإنما ينتظر بأولكم اخركم): أي أن من سبق منكم فإنه موقوف حتى يلحق به الآخرمن الخلق ليوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين وهو يوم القيامة.

(اتقوا الله في عباده): بترك الظلم لهم والرحمة لضعيفهم، والتوقير لكبيرهم.

(وبلاده): بترك الفساد فيها وإصلاح أحوالها بالعدل، وتطهيرها عن جميع المعاصي.

(فإنكم مسؤولون): عن كل شيء من الأعمال، كبيرها وصغيرها، وجليلها ودقيقها.

(حتى عن البقاع والبهائم): فالسؤال عن البقاع لِمَ ظُلِمَت؟ ولِمَ عصي الله فيها[2]؟، والسؤال عن البهائم: لِمَ صُبِرَت[3]؟ ولِمَ حُمِّلت ما لا تطيقه؟، وفي الحديث: «إن الله تعالى عذب امرأة في حبس هرَّة،

(١) في نسخة وشرح النهج: تحدوكم.

(٢) في (ب): بها.

(٣) أي حبست ومنعت.

فلا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش[1] الأرض».

(أطيعوا[2] الله): بامتثال ما أمر به[3].

(ولا تعصوه): بمواقعة ما نهى عنه.

(فإذا رأيتم الخير): أمكنكم فعله.

(فخذوا به): فافعلوا به، وهذا عام في جميع الخيرات كلها.

(وإذا رأيتم الشر): عاينتموه.

(فأعرضوا عنه): اتركوه ولا تشتغلوا به، وهذا عام في جميع أنواع الشر كلها.

(١) أي هوامها وحشراتها، الواحدة خشاشة (النهاية لابن الأثير ٢/٣٣). والحديث بلفظ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من حشائش الأرض» رواه في مطمح الآمال ص ٧٨ عن ابن عمر، والحديث في مسلم ٤/٢٠٢٢، ٢٠٢٣، والبخاري ٢/٨٣٣، ٨٣٤، ٣/١٢٠٥، وصحيح ابن خزيمة ٢/٣١٥، وصحيح ابن حبان ٢/٣٠٥.

(٢) في (ب) وشرح النهج: وأطيعوا.

(٣) في (أ): ما أمره.

(١٥٨) ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع له بالخلافة

وقد قال أقوام[١] من أصحابه: لو عاقبت قوماً ممّن أجلب على عثمان، فقال لهم:

(يا إخوتا)[٢]: أي يا إخوتاه على جهة النداء لهم، أو يا إخوتي فأبدل من الياء ألفاً كما مرَّ في نظائره.

(إني لست أجهل ما تعلمون): من وجوب ذلك، والقطع على كونهم مخطئين فيما أتوه من القبيح والمنكر العظيم في قتله، وفي هذا دلالة على تنزيه ساحة أمير المؤمنين عن الرضا بما كان إليه.

نعم: قد كان وقع في خلافته أمور أنكرت عليه حتى طرق ذلك النكر[٣] في إسلامه في قلوب كثير من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم.

ويحكى عن الحسن بن علي، وعمار بن ياسر، أنهما اختصما إلى أمير المؤمنين في إسلامه، فقال عمار: قتل كافراً، وقال الحسن بن علي: قتل مسلماً.

(١) في (ب) وشرح النهج: قوم.

(٢) في شرح النهج: يا إخوتاه.

(٣) في (ب) وفي نسخة أخرى: الشك.

فقال أمير المؤمنين منكراً لذلك:

(يا عمار، أتكفر برب يؤمن به عثمان) فسكت عمار[١].

(ولكن كيف لي بقوة): أين القوة التي توصلني إلى ذلك، وهو إنما يتوجه بشرط التمكن من ذلك.

(والقوم المجلبون): على قتله.

(على حد شوكتهم): من النجدة والقوة في أمرهم.

(يملكوننا): بالقهر والغلبة.

(ولا نملكهم): ولا نقدر على أخذ الحق منهم، وقوله: (يملكوننا، ولا نملكهم) من غريب الكلام وبديعه الذي يقضى منه العجب، وتحار في كُنْهِ جزالته وبلاغته الأفهام.

(وهاهم هؤلاء): ها للتنبيه وهم اسم مضمر، وهؤلاء اسم للإشارة مع التنبيه أيضاً.

(قد ثارت معهم عبدانكم): قامت ووثبت، والعبدان: جمع عبد.

(والتفّت بهم أغراركم[٢]**)**: اجتمعت وانضمَّت، والأغرار: جمع غرٍّ وهو الجاهل.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤٨/٣ عن قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد في المغني، وانظر المغني ٥٤/٢/٢٠.

(٢) العبارة في النهج: والتفت إليهم أعرابكم.

(وهـم جلالكـم): أكثركم ومعظمكم[1]، والجلة: الخيـارمن الجمـع، وجلائل الأمور: عظائمها[2].

(يسومونكم): من أجل كثرتهم ونجدتهم.

(ما شاءوا): من الأمور المكروهة.

(وهل ترون): والحال على هذه الصفه.

(مو ضعاً لقدرة على شئ تريدونه!): مما[3] في نفوسكم من ذلك.

(إن هذا الأمر): وهو ماكان من قتل عثمان، والإجلاب عليه.

(أمـر جاهليـة): يريد أن ذلك إنما كان من أجـل ضغـائن كـانت في الجاهلية، وأحداث متقدمة فسكن أمرها في حياة الرسول ثـم تذكروهـا بعد وفاته.

ويحكى ما نقله ابن هشام في سيرته: أن النبي صلى الله عليه لما شرع في عمارة مسجده عقيب قدومه من مكة، جعل عمار يرتجز بقوله:

لا يستوي من يعمـر المساجدا   يـدأب فيهـا قائـماً وقاعـدا

ومن يُرَى عن الغبار حائدا

يعرِّض بذلك إلى عثمان وكان قريب عهد بعرس، فقـال عثمـان: والله لئن لا تسكت لأعرض بهذه العصا على عينيك، فبلـغ ذلـك الرسـول

(١) في (أ): ومعظكم، وهو تحريف.

(٢) في (ب): معظماتها.

(٣) في (ب): ما.

فغضب، وقال: «ما لهم ولعمار، عمار يدعوهم إلى الجنة، وهم يدعونه إلى النار» ثم قال: «عمار جلدة ما بين عيني وأنفي فإذا بُلِغَ ذلك من الرجل، فلن يُستَبَقَ فا جتنبوه»[1]، فتلك أمور كانت سابقة[2].

(وإن هؤلاء القوم): قتلة عثمان.

(مادّة): قوماً يمدُّونهم ويكونون عوناً لهم على من قاتلهم.

(إن الناس من هذا الأمر): وهو حربهم وقتالهم.

(إذا حُرّك): عزم عليه وهمَّ به.

(١) أخرج نحو رواية ابن هشام التي حكاها المؤلف هنا الإمام أبو العباس الحسني رضي الله عنه في المصابيح في السيرة ص٢٣٠ عن ابن إسحاق والحديث فيه بلفظ: «مالهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي»، وأورد رواية ابن هشام الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام ١٢٤/٢ في ذكر مسجد رسول الله ﷺ. وانظر سيرة ابن هشام ١١٤/٢-١١٥، ونقلها المؤلف هنا باختصار، وفي سيرة ابن هشام: وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لا يستوي من يعمر المساجدا   يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به فلا يدرى أهو قائله أم غيره.

قال ابن إسحاق: فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ إنما يعرض به، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن ابن إسحاق، وقد سمى ابن إسحاق الرجل.

قال ابن إسحاق: فقال: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك، قال: وفي يده عصا. قال: فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: «ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلن يُستبق فاجتنبوه».

(٢) في (ب): تقية.

(على أمور): أحوال مختلفة، ومذاهب متفرقة عند الشروع فيه.

(فرقة ترى ما ترون): قوم يرون أن قتالهم صواب كما هو رأيكم.

(وفرقة ترى ما لاترون): وقوم آخرون لايرون ذلك صواباً، إما لأنهم يصوِّبون رأيهم في ذلك، وإما لأن القتال يؤدي إلى منكر كثير[1]، وقتل وقتال عظيم، ويفتح الشجار والخصومة.

(وفرقة ترى لا هذا ولا هذا): وقوم آخرون يزعمون أن ما فعلوه خطأ، وأن قتالهم يكون خطأ أيضاً، فهذه مذاهب الناس في ذلك.

(فاصبروا): عن حربهم.

(حتى يهدأ الناس): تسكن سورة[2] غضبهم.

(وتقع القلوب مواقعها): في الحلم، والأناة وتبصرالعواقب، وترجع أحلام ذوي النهى إليهم، ويزول الطيش والفشل.

(وتؤخذ الحقوق): من أهلها، هذا وغيره من الحقوق.

(مسمحة): سهلة ذات سماحة، يقال: أسمح الرجل فهو مسمح إذا صار ذا سماح.

(فاهدؤوا عني[3]): اسكنوا عن مراودتي في [هذا][4] الأمر.

---

(١) في (ب): كبير.

(٢) سورة الغضب: وثوبه وحدته.

(٣) قوله: عني، سقط من (أ).

(٤) سقط من (أ) و(ب) وهو في نسخة أخرى.

(وانظروا ما[1] يأتيكم [به][2] أمري): ينتجه نظري من الحرب لهم أو الكفِّ عنهم.

(ولا تفعلوا فعلة): إما تجهلون جهلة أو تفعلون قضية بجهل.

(تُضَعْضِعُ قوة): تهدم أموراً قوية قد شُيِّدت ومهِّدت قواعدها.

(وتُسقِط مُنَّة): قوة من قوى الدين وتزيلها.

(وتورث وهناً): ضعفاً في الإسلام وأهله.

(وذلة): على المسلمين.

(وسأمسك الأمر): أسكِّن الأمور، وأقررها بجهدي.

(ما استمسك): مهما كان الدين سالماً وأمرالإسلام نافذاً.

(وإذا لم أجد بُدّاً): من الحرب فعلته، وصبَّرت نفسي عليه إعزازاً لدين الله، وإعلاءً لكلمته.

(فآخر الداء[3] الكيُّ): يقول الداء يعالج بكثير من الأدوية فإذا أعضل أمره وصعبت معالجته بالأدوية فآخر المعالجة هو حسمه بالنار وكيُّهُ بها، والحرب هو غاية الأمور وقصاراها.

واعلم: أنا[4] قد حكينا عن أمير المؤمنين إنكاره على قتلة عثمان

---

(١) في النهج: ماذا يأتيكم.

(٢) زيادة في نسخة أخرى والنهج.

(٣) في النهج: الدواء.

(٤) في (أ): أن.

ما فعلوه، وقوله: (اللَّهُمَّ، العن قتلة عثمان في البر والبحر، والسهل والجبل) وليس تأخره عن الانتقام منهم إلا لما ذكره وهو عذر واضح مقبول عند الله، إذ لايصلح فعل معروف بارتكاب منكر أكبرمنه، فكلامه ها هنا مؤذن بالانتقام منهم متى وجد إلى ذلك سبيلاً، وخلا وجهه عن الأمور المهمة، والعوارض العظيمة التي تكون ثلماً في الدين.

(١٥٩) ومن خطبة[1] له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

(إن الله بعث رسولاً هادياً): بعث وابتعث أي أرسل، كله بمعنى واحد، رسولاً أراد النبي [هذا][2] هادياً للخلق إلى معالم دينهم.

(بكتاب ناطق): يعني القرآن ينطق بالحق.

(وأمرقائم): مستقيم لا يعوِّج.

(لا يهلك عنه): أي لا يتخلف عنه، وسمي التخلف عنه هلاكاً لما كان يؤدي إليه، فلا ينكره ويتخلف عن إمضاء أحكامه:

(إلا هالك): بتخلفه عنه، مهلك لنفسه.

(وإن المبتدعات): الأمور المبتدعة في الدين التي لا يشهد لها[3] برهان ولا حجة واضحة.

([من][4] المشتبهات): اللواتي يُشَبَّهْنَ بالحق، ولسن[5] منه في ورد ولا صدر.

---

(١) في (ب): ومن كلام.
(٢) سقط من (ب).
(٣) في (ب): بها.
(٤) سقط من (ب) و من شرح النهج.
(٥) في (ب): وليس

(هن المهلكات): للدين والمبطلات له.

(إلا ما حفظ الله منها[1]**)**: بالتوبة والإقبال والإنابة.

(وإن في سلطان الله): الفيء إلى دينه والاعتصام به والاستمساك بحبله.

(عصمة لأمركم): منع لما أنتم فيه من أمر البغي والمخالفة.

(فأعطوه طاعتكم): الامتثال لأمره والانقياد لحكمه، وإنما أضاف الطاعة إليهم لما لهم فيها من الاختصاص، أي الطاعة التي تليق بكم من أجل أنكم عبيده وهو إلهكم، والْمُنْعِمُ عليكم بضروب[2] النعم وجزيلها.

(غير مُلَوَّمَةٍ): فيه وجهان:

أحدهما: غير بطيّة وغير منتظر بها، من قولهم: تلوَّم أي انتظر.

وثانيهما: أن يريد أعطوه طاعة خالصة عن الرياء فلا يكون فيها شيء[3] يلام عليه من ذلك.

([و][4]**لا مستكره بها)**: ولا يلحقها إكراه فينقص أجرها، كما قال تعالى: **﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾**[البقرة:٢٥٦].

(والله لتفعلنّ): ما ذكرته من الطاعة لله تعالى، والانقياد لأمره.

(أو لينقلنّ[5] **الله عنكم سلطان الإسلام)**: يحوِّل الله عنكم عزَّكم

(١) في (ب): منهما.
(٢) في (أ): بصروف، وهو تحريف.
(٣) في (ب): ما يلام عليه.
(٤) سقط من (أ).
(٥) في (أ): وليتفلن، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب) والنهج.

بالإسلام والسلطنة الذي لكم من أجله، والعزُّ[1] الحاصل لكم بسببه.

(ثم لا ينقله إليكم أبداً): لأجل انتقاصكم له وعدم التفاتكم إليه.

(حتى يأرز الأمر إلى غيركم): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره فيزول عنكم حتى يأرز أي ينضم إلى غيركم، ويكون حاصلاً في حقهم.

(إن هؤلاء): يريد طلحة والزبير وعائشة، ومن كان معهم ممن أجلبوا به.

(قد تمالؤوا): اجتمعوا وتعاونوا، وكانوا إلباً واحداً[2].

(على سَخْطَة إمارتي): كراهتها وبغضها[3].

(وسأصبر): على تلك الكراهة تحملاً للغيظ وإكراهاً للنفس على ذلك، وفي الحديث: «ما جرع عبد قط جرعتين أعظم عند الله من جرعة غيظ يلقاها بحلم، أو جرعة مصيبة يلقاها بصبر جميل» فالصبر عواقبه محمودة.

(ما لم أخف على جماعتكم): على تشتيت[4] الشمل لأهل الدين، والنكاية لأهل الإسلام وإظهار البدع.

(فإنهم إن يمموا على قُبالة هذا الرأي): القُبالة بالضم: ما واجهك[5] ويقال: اجلس قُبالتي أي مواجهي، والقَبالة بالفتح: الورقة للقبال[6]، والقِبالة بالكسر مصدر قَبِلَ قِبالة أي ضَمِنَ، ويَمَّم الشيء

(١) في (أ): والبر.
(٢) في (أ): وكانوا ليأخذوا، وهو تحريف، وفي (ب): وكانوا ولياً، وظنن فوقها بقوله: ظ: ملياً، وفي نسخة أخرى: إلباً واحداً، كما أثبته.
(٣) في (ب): ونقضها.
(٤) في (ب): تشتت.
(٥) في (أ): وجهك، وهو تحريف.
(٦) أي للضمان.

إذا قصده، وأراد أنهم إذا عزموا على حربي وقتالي والبغي علي.

وفي نسخة أخرى: **(إذا أتموا)**: من التمام أي إذا تموا ما شرعوا فيه من القتال والبغي:

(انقطع نظام المسلمين): بانشقاق[1] العصا وتفرق الشمل.

(وإنما طلبوا هذه الدنيا): أخذ الإمرة لنفوسهم يريد طلحة والزبير، فأما عائشة فما كان مسيرها ذلك إلا بمراودتهم لها واعتضاداً بمسيرها معهما، وإلا فهي لا تطلب الخلافة مثل طلبهما، وقد حكينا من قبل سبب مسيرها معهما ونزولها البصرة، فاجتماعهم جميعاً وتألبهم:

(حسداً): لأن حقيقة الحسد حاصلة، وهو أنهم يريدون أخذ الإمرة منهم لهما، وهذا هو فائدة الحسد، ومعناه وهو: أن تريد ما لأخيك ينزع منه ويكون لك بانفرادك.

(لمن أفاءها الله عليه): أعطاها إياه، يريد الخلافة بمنزلة الفيء وهو الغنيمة.

(فأرادوا ردَّ الأمور على أدبارها): إما ردُّ[2] الخلافة إليهم، وقد تقدمته بها وسبقته[3] إليها، وإما ردُّ[4] ما كان صواباً من الاستقامة على الدين، والنصرة إلى ما يكون خطأ وهو المخالفة للدين والبغي عليَّ بذلك.

---

(١) في (ب): باشتقاق.

(٢) في (أ): أراد.

(٣) في (أ): وسبقت.

(٤) في (أ): أرادَ.

(ولكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله[ﷺ][1]): في الإقدام والإحجام.

(والقيام بحقه): فيما أوجب من ذلك وندب إليه من أمور الخلق.

(والنعش لسنته): إظهارها.

سؤال؛ ما وجه اتصال قوله: (ولكم علينا العمل بكتاب الله) بما قبله، وليس بينهما مداناة ولا مقاربة؟

وجوابه من وجهين؛

أما أولاً: فيجوز أن يكون هذا من باب الاستطراد، وهو أن يذكر كلاماً عقيب كلام ليس بينهما ملاءمة، وهو كثير الورود في كتاب الله تعالى، وفي ألسنة الفصحاء، وقد نبهنا على ذلك في أثناء كلامه.

وأما ثانياً: فلأنه لما ذكر بغي أهل الجمل وكراهتهم لإمرته، عقَّب ذلك بما يدل على كونه أهلاً لها، وأحق بها لكونه عاملاً بكتاب الله وسنة رسوله، وهما الأصل في ذلك.

ثم التفت إلى كليب الجرمي[2] قبل وقعة الجمل، فقال له:

---

(١) زيادة في شرح النهج، وفي نسخة أخرى: وسيرة رسول الله (هامش في ب).

(٢) كليب الجرمي منسوب إلى بني جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من حمير، وكان هذا الرجل بعثه قوم من أهل البصرة إليه (عليه السلام)، يستعلم حاله، أهو على حجة أم على شبهة؟ فلما رآه (عليه السلام) وسمع لفظه علم صدقه وبرهانه، فكان بينهما ما قد شرحه (عليه السلام) (انظر شرح ابن أبي الحديد ٩/٢٩٩-٣٠٠).
قلت: ولعله كليب بن شهاب الجرمي الذي ترجم له البخاري في التأريخ الكبير ٧/٢٢٩، فقال: كليب بن شهاب الجرمي، يعد في الكوفيين، سمع علياً وعمر، وروى عنه ابنه عاصم، وإبراهيم بن مهاجر.

(بايع)[1]، فقال: إني رسول قومي ولا أحدث حدثاً دونهم، فقال (عليه السلام):

(أر أيت الذين وراءك): من قومك الذين أرسلوك رائداً لهم وطليعة لأحوالهم، وفي استفهامه هذا معنى التقرير.

(لو بعثوك رائداً لهم تبتغي لهم مساقط الغيث): الرائد هو: الذي يرسله القوم يبتغي لهم الكلأ، ومساقط الغيث: جمع مَسْقَطٍ وهو مكان سقوطه.

(فرجعت إليهم وأخبرتهم): بما كان من أمرك، وبما وجدت.

(عن الكلأ والماء): فإنه حاصل في الأماكن التي أخبرتهم بها.

(ثم خالفوك[2]**)**: فكذبوا[3] خبرك فيما جئت به، وصدروا.

(إلى المعاطش): أمكنة العطش.

(والمجادب): أمكنة الجدب.

(ما كنت صانعاً؟): في أمرك بعد ما تحققت ذلك.

(قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء، فقال [له][4]**: امدد يدك إذاً، فقال الرجل: والله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليَّ فبايعته، والرجل مشهور في بني جرم).**

---

(١) في (أ): تابع، وهو تصحيف.

(٢) في النهج: فخالفوا.

(٣) في (ب): وكذبوا.

(٤) سقط من (ب).

(١٦٠) ومن كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين

(اللَّهُمَّ، رب السقف المرفوع): وهو السماء كما أقسم الله به في قوله: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾[الطور:٥]، وإنما أقسم بها لما لها من الشرف والكرامة؛ لأنها مواضع الرحمة ومستقر الملائكة.

(والجو المكفوف): عن التغيّر والزوال، والذهاب والانتقال.

(الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار): مغيض الماء هو: الذي يجتمع فيه فينبت فيه الشجر، ومن هذا سميت الغيضة غيضة لاجتماع الماء فيها؛ لأنهما يجتمعان فيه، فالنهار عبارة عن طلوع الشمس، والليل عبارة عن غروبها، كما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾[يس:٣٧]، فهذا دليل على أن الليل هو عدم النهار لا غير.

(ومجرىً للشمس والقمر): يجريان فيه على ما قدَّر من مصالح الخلق في اختلاف جريهما، فالقمر يقطع الفلك في شهر، يقف في كل منزلة من منازل البروج ليلة، والشمس تقطعه في السنة مرة في كل برج من البروج الاثني[1] عشر شهراً.

(ومختلفاً للنجوم السيارة): مكان اختلافها.

---

(١) في النسختين: الاثنا، ولعل الأصح كما أثبته.

سؤال؛ أراه قال ها هنا: مجرى للشمس والقمر، وقال: مختلفاً للنجوم، فهل بينهما فرق أم لا؟

وجوابه؛ هو أن سير الشمس والقمر لا يختلف في الطلوع من المشرق، وغروبها[1] في المغرب على جهة الاستقامة، بخلاف سير النجوم، فإن فيها ما يكون سيره على جهة الاستقامة، نحو هذه المنازل والبروج الاثني عشر، ومنها ما لايقطع الفلك نحو هذه الزهرة، فإنها لا تقطع الفلك، ولكن تنتهي إلى مقدار معلوم في السماء، تارة من[2] المشرق وتارة من المغرب، وليس قاطعة للفلك، ثم بنات نعش فإنها تكون دائرة حول القطب لا غير، إلى غيرذلك من الاختلاف في سيرها، فلهذا جعله مختلفاً لها لما يظهر فيها من الاختلاف، وجعل ذلك مجرى لما كان على جهة الاستقامة.

(وجعلت سكانه): من يسكن فيه.

(سبطاً من ملائكتك): السِبط: البطن الواحد من القبيلة، قال الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾[الأعراف:١٦٠].

(لا يسأمون من[3] عبادتك): لا تصيبهم سآمة ولا فتور على[4] ذلك، ولا تأخذهم ملالة.

(ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام): مستقراً للخلق يتصرفون عليها في منافعهم.

---

(١) في (ب): وغروبهما.
(٢) في (أ): في.
(٣) في (ب): عن.
(٤) في (ب): عن.

(ومدرجاً للهوام والأنعام): مكاناً تدرج فيه في غاراتها وأماكنها.

سؤال؛ أراه جعل الأرض قراراً، وجعلها مدرجاً للهوام، فما وجه الفرق بينهما، وكل واحد من الفريقين يستقرُّ عليها؟

وجوابه؛ هو أن القرار عبارة عما يكون فيه راحة، ويكون موطّناً ممهَّداً لمن يكون عليه، [وهذا][1] إنما يكون في حق الأنام.

فأما البهائم والأنعام فإنه لا يفعل لها[2] ذلك، وإنما الغرض هو حصولها في تلك الأماكن، فلهذا جعلها لها مدارج إشارة إلى ما ذكرناه[3] من التفرقة بينهما بما ذكرناه.

(وما لا يحصر[4] مما نرى وما لانرى): أي ورب ما لا نهاية له ولا غاية تحصره[5] مما يدرك بالحواس، وما لا يدرك بها.

(ورب الجبال الرواسي): الراسخة.

(التي جعلتها للأرض أوتاداً): حافظة عن المَيَدَان بأهلها والتحرك والاضطراب.

(وللخلق اعتماداً): يعتمدون عليها في إحراز أنفسهم بالقلاع والحصون.

(إن أظهرتنا على عدونا): من بغى علينا وخالفنا، وأراد المشاقّة والفتنة في الدين.

---

(١) سقط من (أ).
(٢) في (ب): بها.
(٣) في (أ): ذكره، وأثبته من (ب).
(٤) في (ب) والنهج: وما لايحصى مما يرى وما لا يرى.
(٥) في نسخة أخرى: لحصره.

(**فجنّبنا البغي**): الزيادة على الاستحقاق فنكون باغين عليهم.

(**وسددنا للحق**): ثبتنا لأخذه منهم وإعطائه لهم.

(**وإن أظهرتهم علينا**): بالنصر والظفر.

(**فارزقنا الشهادة**): الموت عليها والتثبت لها.

(**واعصمنا من الفتنة**): عن أن نفتتن في الدنيا ونميل عن الحق بحبِّها.

(**أين المانع الذّمار**): الذّمار: ما وراء الرجل مما يحقُّ عليه أن يحميه[1] من حريمه ونسائه، وأراد أين هوفأعرفه الآن.

(**والغائر**): من الغَيْرة.

(**عند نزول الحقائق**): الأمور المكروهة والشدائد العظيمة، إذا حقَّ الأمر من ذلك.

(**من أهل الحفاظ!**): من أهل الأنفة.

(**العار وراءكم**): فلا تنكصوا[2] على أعقابكم فيتصل بكم.

(**والجنة أمامكم**): فا قدموا عليها، فمن هذه حاله فإنه لا مطمع له في غير الديانة، ولا حظ له في خلاف النَّصَفَةِ، فأين حاله عن حال من يقاتله في إيثار الدنيا والإعراض عن الآخرة؟!.

---

(١) في (أ): يحتميه.
(٢) في (أ): تنكصون وهو خطأ.

(١٦١) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها طلحة والزبير

(**الحمد لله الذي لا تُواري عنه سماء سماء**): يعني[1] لا تحجبه[2] سماء تقوم بينه وبين سماء أخرى عن أن يكون رائياً لها.

(**ولا أرض أرضاً**): أي ولا تحجبه رؤية أرض عن أرض أخرى مثلها إذ ليس حاله كحال الواحد منَّا إذا قام بيننا وبين الأجسام المرئية جسم حاجز، فإنَّا لا ندركه لما كان إدراكنا للأجسام بآلة، فلهذا كان حاله مخالفاً لحالنا في ذلك.

(**وقائل يقول لي: إنك يا ابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص**[3]، **فقلت: بل أنتم والله أحرص وأبعد**): الحرص هو: شدة الرغبة في طلب الشيء، وأراد أنكم إن زعمتم أني حريص على الإمارة لما ترون من منازعتي لكم وشدة شجاري إياكم فأنتم لا محالة أشد رغبة فيها، وأعظم طلباً لها، فأنتم تطلبونها وتشتدُّ رغبتكم في تحصيلها مع بُعْدِكُم عن استحقاقها وأن تكونوا أهلاً لها.

---

(١) في (ب): أي.
(٢) في (أ): لاتحجب.
(٣) في (أ) تحرص، وما أثبتناه من (ب) والنهج.

(وأنا أخص بها): لإحرازي لخصالها واستكمال شرائطها.

(وأقرب): إما إلى الرسول فأكون أحقَّ بمكانه منكم وأولى به من غيري[1]، وإما أقرب إلى حصول ما يشترط من الصفات فيها، فإنها فيَّ متكاملة دون غيري.

(وإنما طلبت حقاً لي): بقيام الحجة والبرهان على ذلك من جهة الرسول.

(وأنتم تحولون بيني و بينه): بالمنازعة والشقاق والبغي.

(وتضربون وجهي دونه): بسلِّ السيوف وإشراع[2] الرماح.

(فلما قرَّعته بالحجة): بما كان من جهة الرسول من النصوص الواردة، أو بما كان من جهة الأفاضل من الصحابة من العقد لي والرضاء بي.

(في[3] الملأ الحاضرين): حال من الضمير في قرَّعت مقطوعاً على إمامتي بالوجهين جميعاً، والقرع هو: التنبيه، وفي المثل: فلان ممن لا تقرع له العصا، قال المتلمس[4]:

لذي[5] الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلما[6]

(١) في (ب): غيرهم.
(٢) في (ب): وانتزاع.
(٣) في (أ): والملأ، وفي (ب) والنهج كما أثبته.
(٤) هو جرير بن عبد العزى أو عبد المسيح بن بني ضبعه، من ربيعة، المتوفى نحو سنة ٥٠ق. هـ، شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد، ومات ببصرى (من أعمال حوران في سورية) وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام ٢/١١٩).
(٥) في (ب): أرى.
(٦) لسان العرب ٣/٦٤.

والأصل فيه أن رجلاً حكماً[1] من حكام العرب عاش حتى كبر وأهتر[2]، فقال لابنته: إذا أنكرت من فهمي شيئاً عند الحكم، فاقرعي لي المجن بالعصا لأرتدع.

قال:

وزعمت أنَّا لا حلوم لنا ... إن العصا قرعت لذي الحلم[3]

واعلم: أنه لا خلاف بين أهل القبلة في صحة إمامة أمير المؤمنين وثبوتها، وإنما وقع الخلاف بين الأمة في طريقها، فأثبتها فريق بالنصِّ، وأثبتها آخرون بالاختيار.

سؤال؛ كيف تزعمون أنه لاخلاف بين الأمة في إمامته، وقد حكي عن عباد[4] أنه كان يقول: كان لا يصلح للإمامة، والخوارج كفَّروه، فكيف يصح ما ذكرتموه؟

وجوابه؛ أما عباداً فإنما غرضه بما قال قبل أن يعقد له بناءً على قوله: إن إمامته إنما ثبتت بالاختيار بزعمه، فأما على ما نقوله فإنما ثبتت بالنصوص[5]، وأما الخوارج فإنما مقالتهم هذه إنما كانت بعد التحكيم

(١) هو عمرو بن حممة الدوسي، قضى بين العرب ثلاث مائة سنة، فلما كبر ألزموه السابع من ولده، يقرع العصا إذا غلط في حكومته (لسان العرب ٣/٦٤).
(٢) أهتر: خرف.
(٣) المصدر السابق ٣/٦٤ ونسبه للحرث بن وعلة الذهلي، وأوله فيه: وزعمتم أن ....إلخ.
(٤) لعله عباد بن سليمان، عدَّه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، قال: وله كتب معروفة إلى أن قال: وكان من أصحاب هشام الفوطي، وله كتاب يسمى (الأبواب) نقضه أبوهاشم (المنية والأمل ص ١٧٧).
(٥) في (ب): بالنص.

لظنهم أنه كفر، وهكذا ما يحكى عن الأصم[1] والحشوية[2] فإنما أتوا في إنكار إمامته من جهة ما اتفق من حربه لأهل القبلة لجهلهم بأنه لا يحل ذلك، وكلها آراء فاسدة لمخالفتها للإجماع.

(بهت): يعني القائل الذي قال له، ولعله يريد طلحة أوالزبير بهذا الكلام[3]، يقال: بُهِتَ الرجل بكسر الهاء إذا فشل وتحير، وبفتحها أيضاً وبضمها أيضاً، وعلى بناء ما لم يسم فاعله وهو أفصحها، قال الله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[البقرة:٢٥٨].

(لا يدري ما يجيبني به): من الفشل والتحيروالدهشة، وأراد أنه أفحمه بما أورد عليه من الحجة.

(اللَّهُمَّ، إني أستعديك): أطلبك ناصراً من قولهم: استعدى فلاناً[4] على غيره إذا طلب النصرة.

---

(١) الأصم هو حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن، المتوفى سنة ٢٣٧هـ، المعروف بالأصم، من أهل بلخ (انظر الأعلام ٢/١٥٢).

(٢) الحشوية: هم الذين يروون الأحاديث المحشوة أي التي حشاها الزنادقة في أخبار الرسول ﷺ ويقبلونها ولا يتأولونها، وهم يصفون أنفسهم بأنه أصحاب الحديث، وأنهم أهل السنة والجماعة، ولا مذهب لهم منفرد، وأجمعوا على الجبر والتشبيه، وجسّموا وصوّروا، وقالوا بالأعضاء وغير ذلك (انظر المنية والأمل ص١٢١-١٢٤).

(٣) قال ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج ١٠/٣٠٥ في شرح هذه الخطبة ما لفظه: هذا من خطبة يذكر فيها (عليه السلام) ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر، والذي قال له: إنك على هذا الأمر لحريص، سعد بن أبي وقاص، مع روايته فيه: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) وهذا عجب، فقال: لهم بل أنتم أحرص وأبعد، الكلام المذكور، وقد رواه الناس كافة.

وقالت الإمامية: هذا الكلام يوم السقيفة، والذي قال له: إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيدة بن الجراح، والرواية الأولى أظهر وأشهر. انتهى المراد نقله من ابن أبي الحديد.

(٤) في نسخة أخرى: فلان.

(على قريش): طلحة والزبير وعائشة.

(ومن أعانهم): على آرائهم وما هم عليه من البغي.

(فإنهم قطعوا رحمي): بالحرب والعداوة البالغة.

(وصغّروا عظيم منزلتي): عند الله وعند الخلق بما رفع الله من قدري.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ما نزلت آية منها[1]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلي بن أبي طالب رأسها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد على أشياء وما عاتبه على شيء أصلاً[2].

(فأجمعوا على منازعتي أمراً هولي): يريد أنهم اتفقوا وتواطؤوا عن آخرهم على إخراجه عن الإمامة، وقد تقررت له بما ذكرناه من النصوص والرضاء به.

(وقالوا: ألا إن في الحق أن نأخذه): نكون أولى منك بالإمامة.

(وفي الحق أن تتركه): تخرج عنها وتخلّيها، وهذا منهم خطأ وغلط، فإنما قالوه إنما يكون في الحقوق المالية، فإن كل من[3] كان له حق على غيره فإنه يجوز له تركه ويجوز له أخذه، فأما الإمامة فهي بمعزل عن ذلك،

---

(١) في (ب): فيها.

(٢) المغني ٢٠/٢/٦٣، وأخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق ٢/٤٢٩-٤٣٠ تحت الرقم (٩٣٨)، (٩٣٩) بسنده عن ابن عباس مع اختلاف يسير في اللفظ، والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص٣١، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/٤٩-٥٤ تحت الأرقام من (٧٠) إلى (٨٢)، وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/١٣٣ مع اختلاف يسير في بعض لفظه، وانظر الروضة الندية ص١٣٢.

(٣) في (أ): ما.

فإن الإمام إذا صارإماماً وثبتت إمامته واستحقها فإنه لا يجوز له تركها، ولا يسعه ذلك عند الله، إلا أن يؤ دي ذلك إلى خلل في الدين، كما كان منه تركها في أول الأمر، فأما بعد ذلك وحصول التمكن فلايجوز ذلك بحال.

(ثم خرجوا): من بيوتهم على جهة البغي، يريد أصحاب الجمل.

(يجرون حرمة رسول الله [ﷺ][1]): يعني عائشة رضي الله عنها.

(كما تجر الأمة عند شرائها): أراد أنها لا تملك لنفسها حيلة سوى ما قالاه أعني طلحة والزبير، فإنهما هما اللذان أخرجاها من بيتها، كما حكينا ذلك من قبل هذا.

(موجهين[2] بها إلى البصرة): للحرب ورفع يده عنها؛ لأنها من أعماله وحيث ينفذ حكمه[3] وأمره.

(فحبسا[4] نساءهما في بيوتهما): تحشماً عن ذلك وكراهة له.

(وأبرزا حبيس رسول الله): [يريد أنه أمرها بالقرار في بيتها والاحتباس فيه.

(لهما ولغيرهما): من أفناء الناس][5]، يريد أنهما أظهراها على أعين الخلق والملأ.

---

(١) زيادة في شرح النهج.
(٢) في نسخة وشرح النهج: متوجهين.
(٣) في (ب): تنفذ أحكامه.
(٤) في (ب): وحبسا.
(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(في جيش): فيمن أقبلوا به من الجيوش ممن غرُّوه وخدعوه.

(ما فيهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة): أنه سامع لقولي ومطيع لما آمر به من أمر الله وأمر رسوله غير مخالف في ذلك ولا ناكِلٍ عنه.

(وسمح لي بالبيعة): ضرب بكفي على كفه تأكيداً للأمر ومتابعة[1] فيه.

(طائعاً): من نفسه غير مكره على ذلك.

(فقدموا على عاملي): عثمان بن حُنيف[2] بضم الحاء، هكذا سماعنا، صاحب رسول الله.

(وخزّان بيت مال المسلمين): الذين يحفظونه ويتولون إنفاقه وإخراجه.

(وغيرهم من أهلها): ممن يكون عوناً لي على ماأريده من إصلاح أمور المسلمين.

(فقتلوا طائفة صبراً): أي حبسوهم حتى قتلوهم، يقال: قتله صبراً إذا حبسه حتى يقتل.

(وطائفة غدراً): الغدر: خلاف الوفاء، يعني أنهم عقدوا لهم عقداً فلم يفوا به وقتلوهم.

---

(١) في (ب): ومبالغة
(٢) هو عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري، الأوسي أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله، المتوفى بعد سنة٤١هـ، والٍ من الصحابة، شهد أحداً وما بعدها، عمل لأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) وولاه عمر السواد، وولاه علي (عليه السلام) على البصرة، فأخرجه منها طلحة والزبير حين قدماها، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة علي (عليه السلام)، ومات بها في زمن معاوية، ولما نشبت فتنة الجمل دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على علي (عليه السلام)، فامتنع فغدر به طلحة والزبير ونتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به عائشة فأمرتهم بإطلاقه، وكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حُنيف أول غدر كان في الإسلام (انظر شرح نهج البلاغة ٣٢١/٩، ٢٠٥/١٦ـ٢٠٦، والأعلام ٢٠٥/٤).

ويحكى أنهم أخذوا هذا عثمان بن حُنيف ونتفوا لحيته وأطلقوه بعد ذلك، فلما ورد على أمير المؤمنين قال له: (فارقتنا شيخاً، ورجعت إلينا غلاماً)[1].

(فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً متعمدين): لو لم يصيبوا في قدومهم ذلك[2] إلا على واحد من أفناء الناس؛ لقصدهم ذلك وعمدهم إليه.

(لقتله): جرأة.

(بلا جرم)[3]: كان منه إليهم.

(لحل لي قتل ذلك الجيش كله): وهذا فيه دلالة من مذهبه على أن الجماعة الكثير[4] إذا قتلوا شخصاً واحداً اجتراءً[5] عليه عامدين لا شبهة لهم في قتله، ولا صدر قتله على جهة الخطأ أنهم يقتلون بأجمعهم به، وهو قول الجمهور.

ويحكى عن بعض أولاده أنه قال: يختار ولي الدم واحداً فيقتله،

---

(١) أعلام نهج البلاغة -خ- للشريف علي بن ناصر الحسيني، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٩/٣٢١ بعد ذكره ما كان من أمر طلحة والزبير مع عثمان بن حنيف وغدر طلحة والزبير به ما لفظه: عن أبي مخنف: قال وخيّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي فاختار الرحيل، فلحق بعلي (عليه السلام)، فلما رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد، فقال علي: إنا لله وإنا إليه راجعون قالها ثلاثاً. انتهى.
(وللمزيد من أخبار عثمان بن حنيف وما جرى له مع طلحة والزبير راجع المصدر المذكور ٩/٣١١-٣٢٢).

(٢) في (ب): لو لم يصيبوا في قدومهم ذلك علي إلا واحداً من ...إلخ.

(٣) في شرح النهج: بلا جرم جرّه.

(٤) في (ب): الكثيرة.

(٥) في (ب): واحداً أقدموا عليه.

فأما من زعم أنه لا يُقْتلُ واحد منهم، فقول لم يصدر عن فطانة لما فيه من إبطال عصمة الدماء وإهدارها.

(إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه[1] بلسان ولايد): وهذه العلة تدل على أن تركهم الإنكار مع تمكنهم منه على أن حكمهم حكمه، ومشاركين له في الإثم والجناية لرضاهم بذلك وموالاتهم له عليه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة:٥١].

(دع ما إنهم قد[2] قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم!): أراد أنهم لو لم يقتلوا وحضروا ثم سكتوا عن النكير لكان حكمهم ماذكرناه، فكيف وقد قتلوا جمعاً كثيراً.

اعلم: أنّا قد ذكرنا توبة عائشة من قبل فلا وجه لتكريرها، والذي نذكره الآن توبة الزبير، ونذكر توبة طلحة بعدها[3] في كلام يخصُّه، ولاخلاف في فسقه وبغيه، بما كان منه من الخروج على أمير المؤمنين، ولكن الله تعالى بعظيم رحمته تداركه بلطفه، فقد روي عنه ما يدلُّ على ندامته وتوبته أموركثيرة، قد قدَّمنا كثيراً منها، فمن ذلك ما روي أنه ولّى عن المعسكرفتبعه عمار، فقال له: إلى أين أبا عبد الله؟، فوالله ما أنت بجبان، ولكني أراك شككت!، فقال: هو ذاك[4]، ثم أنشد هذين البيتين:

ترك الأمور التي تخشى عواقبها ... لله أسلم في الدنيا وفي الدين

---

(١) عنه، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٢) قد، سقط من (أ).

(٣) في (ب): بعد هذا.

(٤) المغني ٢٠/٢/٨٩.

اخـترت عـاراً على نـار مؤججـة أنى يقوم لـها خلـق مـن الطـين[1]

ومن ذلك قوله لعائشة بعد حجاج أمير المؤمنين له وتذكيره لقول رسول الله له: «تحاربه وأنت لـه ظالم» فقال لـها: ما شهدت موطناً في جاهلية وإسلام إلا ولي فيه داع إلا هـذا الموطن[2]. ومن ذلك قولـه: إني في هـذا لعلى باطل[3].

وقوله لما نظرإلى عمار في أصحاب علي، فقال: وانقطاع ظهراه، فقال له بعض أصحابـه: ممن؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار» وعند ذلـك لحق[4] بأمير المؤمنين ثم انصرف[5].

فهذه الأخبار كلها دالة على ندامته وتوبته عما كان فيه من حرب أمير المؤمنين والخروج عليه، ولولا ذلك لكان هالكاً مع الهالكين ممن حاربه وخرج عليه.

(١) المرجع السابق ٨٦/٢/٢٠، وأورد البيتين ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٣٤/١ من جملة أربعة أبيات هي:

نـادى علـي بـأمر لسـت أنكـره وكـان عمـر أبيـك الخـير مذحـين

فقلت حسبك من عذل أبا حسن بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

تـرك الأمـور الـتي يخشـى مغبتهـا والله أمثـل في الدنيـا وفي الديـن

فاخـترت عـاراً على نـار مؤججـة أنـى يقـوم لـها خلـق مـن الطـين

(وانظر الروضة الندية في شرح التحفة العلوية ص ٦٨).

(٢) انظر الرواية بالتفصيل في شرح ابن أبي الحديد ١٦٧/٢، والمغني ٨٧/٢/٢٠.

(٣) انظر المرجع السابق.

(٤) في (أ): يحن، وهو تحريف، وما أثبته من (ب).

(٥) المرجع السابق ٨٨/٢/٢٠.

(١٦٢) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها حرب أهل القبلة

(أمين وحيه): يعني به[1] الرسول (صلى الله عليه وآله).

(وخاتم رسله): إذ لارسول بعده.

(وبشير رحمته): المبشِّر بما[2] أعدَّ الله لأوليائه من نعيمه في دار الكرامة.

(ونذير نقمته): والمنذر لعقاب[3] الله تعالى ونقماته النازلة بأعدائه.

(أيها الناس): خطاب عام، وأصل الناس الأناس، لكنها طرحت همزتها تخفيفاً، ولهذا نقول في تصغيرها: أنيس مشدداً ومخففاً.

(إن أحق الناس بهذا الأمر): يعني الخلافة.

(أقواهم عليه): لأن مع القوة يتمكن صاحبه من القيام بأحوالـه والنهوض بأعبائه.

(وأعلمهم بأمرالله فيه): [بما أنزل الله فيه][4] من القيام بأحوال الخلق، والإعزاز للحوزة والحفظ لأمور المسلمين كلها.

(١) قوله: به، زيادة في (ب).

(٢) في (أ): مما.

(٣) في (ب): بعقاب.

(٤) سقط من (ب).

(فإن شغب مشغب[1]**)**: هاج من جهته شر وخصومة، يقال: تشغب[2] الأمر إذا كثرت فيه الخصومة.

(أستُعتب): طلب رضاه.

(فإن أبى قوتل): لبغيه بعد ذلك وعناده.

(ولعمري): قسم.

(لئن كانت[3] **الإمامة)**: على ما قالوه وزعموه.

(لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس): الخلق كلهم.

(ما إلى ذلك سبيل): لتعذره واستحالته.

(ولكن أهلها): من كان معتبراً في أن يكون عاقداً لها وكافياً في صحة ثبوتها.

(يحكمون على من غاب عنها): أراد أن أهل العقد إذا عقدوا لمن كان مرضياً عندهم، فإنه لا يلتفت بعد ذلك إلى مخالفته ولا يحتفل بإنكاره.

(ثم ليس للشاهد): للعقد منهم.

(أن يرجع): فيما فعله من ذلك.

(ولا للغائب أن يختار): خلاف ذلك، إذا بلغ إليه ما كان منهم من الاختيار.

---

(١) في نسخة وشرح النهج: شاغب.
(٢) في (أ): شغب
(٣) في (أ): كان.

(ألا وإني أقاتل رجلين): يريد أن حربه وتوجه القتال لايكون إلا لهذا العدد.

(رجلاً): انتصابه على التمييز أو على عطف البيان.

(ادّعى ماليس له): من الحقوق فكان ظالماً.

(ورجل منع ما[1] **عليه)**: من الحقوق فكان ظالماً أيضاً، فهذا يؤمر بالكف عمَّا ليس له، وهذا يؤ مر بإعطاء ما عليه من ذلك فإن أبيا قوتلا على ذلك وقتلا عليه[2].

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله): إتقاه في كل الأحوال.

(فإنها[3] **خيرما تواصى به العباد)**: أعظمها وأعلاها، وهي أصل الدين وقاعدة مها ده.

(وخير عوا قب الأمور عند الله): وأفضل كل شيء عاقبته؛ لأن لكل شيء عاقبة وحد وغاية وقصارى ونهاية، وإن غاية تقوى الله وعاقبتها هو إحراز رضوان الله وكريم ثوابه.

(وقد فُتحَ باب الحرب بينكم وبين أهل القبله): يعني فسَّاق التأويل الخارجين علىإمام الحق، ظناً[4] منهم أنهم على حق، وانتصبوا للمحاربة، وكانوا في فئة وَمِنْعَةٍ كأهل الشام وغيرهم من أهل النهروان،

---

(١) في نسخة وشرح النهج: الذي عليه.
(٢) في (أ): علي، وهو غامض.
(٣) في (أ): فإنه أخير.
(٤) في (ب): باطناً.

فإن هؤلاء كلهم خوارج لما كان منهم من البغي على أمير المؤمنين والظهور عليه.

(ولا يحمل هذا العلم إلا أهل[1] البصر والصبر[2]): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون عاماً أي لا يحمل علم الشريعة، وما جاء به الرسول من العلوم الدينية إلا ذو البصائر والصبر على إبلاغها وتعليمها.

وثانيهما: أن يكون خاصاً، ويكون معناه لا يطلع على أحكام أهل البغي وما ينبغي فيهم من السيرة إلا ذو البصائر النافذة، وأهل الصبر على قتالهم، ولعله هو مراده؛ لأن قتال أهل البغي فيه من الصعوبة ما لا يخفى، ولهذا كان سبباً لأقوام في الشك في إمامة أمير المؤمنين كأهل الحشو وغيرهم، والتخلف عن الجهاد معه كا لذي عرض لعبد الله بن عمر وغيره ممن تأخر عنه.

(والعلم بمواضع الحق): كيف السيرة فيهم، وكيف يعاملون في قتالهم.

(فامضوا لما تؤمرون به): من ذلك في قتالهم وجهادهم، وأخذ ما يؤخذ منهم.

(وقفوا عند ما تنهون عنه): من ذلك، والذي تؤمرون به هو قتلهم مقبلين واستئصال شأفتهم والنصيحة لهم مرة بعد مرة، كما كان يفعل أمير المؤمنين في ذلك، والذي[3] تنهون عنه هو سبيهم وقتلهم منهزمين

---

(١) قوله: أهل، سقط من (أ).

(٢) في (ب): إلا أهل البصر والبصيرة.

(٣) في (أ): والذين، وهو تحريف.

والإنجاز[1] على جريحهم وغيرذلك من الأحكام.

(ولا تعجلوا في أمر): من أمورهم في الجهاد.

(حتى تثبتوا[2]): إما من الثبات، وأراد حتى تكونوا على حقيقة من حاله، وإما من البيان وأراد حتى تستيقنوا أمره ويظهر لكم حكمه.

(فإن لنا مع كل أمر تنكرونه عبَراً): العبر بفتح العين المهملة والباء بنقطة من أسفلها هو: التدبر، يقال: عبرت الكتاب أعبره عبراً إذا تدبرته، وأراد أن أمرنا وإن كان ظاهره ينكر فإن فيه سراً ومصلحة فقفوا[3] عند الأوامر، وانتهوا عند المناهي.

(ألا وإن هذه الدنيا [التي][4] أصبحتم تمنونها): إما بأن يقول كل واحد منهم: ياليتها حيزت لي وكنت فيها متمكناً، وإما أن يريد تفرحون بحصولها لكم.

(وترغبون فيها): تنا فسون في جمعها وإحرازها.

(وأصبحت تغضبكم وترضيكم): فإغضابها لكم امتناعها عليكم فتغضبون من أجل ذلك، وإرضاؤها لكم انقيادها وإتيانها إليكم.

(ليست بداركم): التي تستقرون فيها.

---

(١) أنجز على القتيل: أجهز. (القاموس المحيط ص٦٧٧).

(٢) في شرح النهج: حتى تتبينوا.

(٣) في (أ): فبقوا، وما أثبته من (ب).

(٤) سقط من (أ).

(ولا منزلكم): ولاهي موضع لنزولكم.

(الذي[1] خلقتم له[2]): من أجله وهي الجنة، فإن الله تعالى ما خلق الخلق إلا من أجل عبادته ليحوزوا ثواب طاعته ووراثة جنته.

(ولا الذي دعيتم إليه): وإنما دعيتم إلى الجنة، كما قال تعالى: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[آل عمران:١٣٣].

(ألا وإنها ليست باقية لكم): دائمة.

(ولا تبقون لها): تدومون لها، بل تنقطع أعماركم بالموت، وتنقطع الدنيا بالزوال والانقضاء.

(وهي وإن غرتكم منها): بلذاتها، وتعجيل عاجلها.

(فقد حذرتكم شرها): إما بماكان من تغيرها وزوالها من غيركم، وإما بما كان من الحوادث والمصائب والتقلبات.

(فدعوا غرورها): الاغترار بها، والانهماك في حبها.

(لتحذيرها): لكم بالتغيروالزوال.

(وأطماعها): ودعوا ما تغري به أنفسكم من طمعها.

(لتخويفها): لما يلحق فيها من الخوف، إما بانقطاعها وبطلان نعيمها، وإما لما يلحق فيها من المخافات العظيمة والغموم الكثيرة.

---

(١) في (ب): التي.
(٢) له، زيادة في النهج.

(وسابقوا فيها): سارعوا إليها مسارعة من يسابق غيره إلى شيء نفيس يأخذه، والمسابقة إنما تكون بالأعمال الصالحة.

(إلى الدار التي دعيتم إليها): وهي الجنة، كما قال تعالى: **﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾**[العنكبوت:٦٤].

(وانصرفوا بقلوبكم عنها): بالإعراض[1] عن شهواتها ولذاتها.

(ولا يخنن أحدكم حنين الأمة): الحنين هو: توقان النفس[2] وتشوقها، وحنين الناقة: صوتها إذا نزعت إلى ولدها، ومنه حنين الأمة.

(على ما زوي عنه منها): قبض وجمع فلم يتناوله منها.

(و[3]استتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعته): أراد اصبروا على الإتيان بالطاعة ليكون ذلك سبباً لتمام نعمة الله عليكم، وفي الحديث: ((إذا وصلت إليكم أوائل النعم، فلا تنفروا أواخرها بقلة الشكر، فما كل[4] شارد يعود))[5].

(والمحافظة على ما استحفظكم): والتحفظ على ماطلب منكم حفظه.

---

(١) في (ب): بالانصراف.
(٢) في (ب): النفوس، والعبارة في شرح النهج: (ولا يخْنُنَّ أحدكم خنين الأمة...إلخ)، بالخاء المعجمة وقال ابن أبي الحديد في شرحه: وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء، وأضافة إلى الأمة لأن الإماء كثيراً ما يضربن فيبكين ويسمع الخنين منهن، ولأن الحرة تأنف من البكاء والخنين. انتهى.
(٣) الواو، سقط من (أ).
(٤) كل، سقط من (ب).
(٥) الحديث ورد في شرح النهج لابن أبي الحديد ١١٦/١٨ من كلام الإمام علي (عليه السلام) في قصار الحكم رقم (١٤) بلفظ: ((إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر)) وانظر نهج البلاغة بشرح مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ٥/٤.

(**من كتابه**): والتحفظ عليه، إما بمراعاة أحكامه والوقوف عند حدوده وتحليل حلاله وتحريم حرامه، وإما بألاّ يزاد فيه ولا ينقص ولا يحرَّف ولا يقع فيه تغيير[1].

(**ألا إنه**[2] **لا يضركم تضييع شيء من دنياكم**): إهمالها واطّراحها غير ضار لأحدمنكم.

(**بعد حفظكم قائمة دينكم**): وهو الدين المستقيم، العمل بالواجبات، والانكفاف عن المحرمات، والمحافظة على الحدود كلها.

(**ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم**): إهماله واطّراحه.

(**شيء حافظتم عليه**): وإن غلا ونفس.

(**من أمر دنياكم**): لا نقطاعها منكم، وذهابها من أيديكم.

(**أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق**): صرفها إلى محبته والعمل بمقتضاه.

(**وألهمنا وإياكم الصبر**): على فعل الطاعة والقصد بها وجه الله تعالى، والانكفاف عن المعصية أيضاً.

---

(١) في (أ): تغير.

(٢) في (ب) وشرح النهج: ألا وإنه.

(١٦٣) ومن خطبة له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله

(**قد كنت وما أهدَّد بالحرب**): أراد أني على حالتي وعلو شأني فيما مضى، وقوله: (وما أهدد بالحرب) عطف على شيء محذوف تقديره: قد كنت على حالتي من قبل لا أبالي بما يمرُّ عليَّ من الحوادث، وما أهدَّد بالحرب أي ما أوعدته[1]، والتهدد: التوعد بالمكاره.

(**ولا أرهَّب بالضرب**): ولا أخوَّف به.

(**وأنا على ما وعدني ربي من النصر**): حيث قال: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾[الحج:٦٠]، ولا بغي أعظم مما بليت به، من أخذ إمارتي[2] الواجبة لي، وإنزالي من مرتبتي التي وضعني الله فيها، والبغي والفساد في الأرض.

(**والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان**): يخاطب بهذا الكلام طلحة، يقول: إنه ما نزل البصرة، وجاء مستعجلاً للحرب، محفزاً[3] لها، قاصداً لها، متجرداً عن سائر الأشغال، يزعم أنه ثائر بدم عثمان فما فعل

---

(١) في (ب): أوعد به.

(٢) في (أ): ماربي، وفي (ب): إمارتي الواجب وإنزالي من رتبتي.

(٣) في (ب): محقراً.

ذلك، واستحب[1] فيه إرادة لوجه الله تعالى، وانتقاماً لعثمان، وما فعله:

(إلا خوفاً من أن يطالب بدمه): خوفاً منصوب على المصدرية مفعولاً من أجله أي من أجل خوفه عن أن يطالب هو بدمه[2].

(لأنه مظنته): موضع التهمة من أجل عثمان، يقال: فلان مظنّة كذا بكسر الظاء وفتحها أي موضعه الذي يظنُّ فيه.

(ولم يكن في القوم): الذين أجلبوا على قتل عثمان.

(أحرص عليه منه): أكثر ملاحقة لقتل[3] عثمان من طلحة، فلهذا كان مظنّة للتهمة وموضعاً لها لأجل ذلك.

(فأراد أن يغالط): المغالطة: مفاعلة من الغلاط، وهو أن يُري الحق من ظاهره وباطنه بخلاف ذلك، فإظهاره للحرب والاستعجال إليه بزعمه من أجل عثمان ظاهره الانتصار لعثمان، وباطنه خلاف ذلك، يغالط:

(بما أجلب فيه): الضمير إما لعثمان أي أجلب في كفر عثمان، وإما للعسكر الذي أجلب فيه، والجيوش التي حشدها وجمعها.

(ليلتبس الأمر): فلا يقال: إنه معين[4] على قتل عثمان ولا يتهم بذلك لمايبدومن ظهورحاله بالانتصارله.

---

(١) في نسخة أخرى: واستحث.
(٢) قوله: بدمه، في (ب): به.
(٣) في (ب): بقتل.
(٤) في (أ): مفض.

(ويقع الشك): في ذلك فيكون لقائل أن يقول: كيف يتهم طلحة بدم عثمان، وهاهو ذا في غاية الا نتصارله، بجمع العساكر، وقود الجيوش أخذاً بثأره، وقياماً بدمه فهذا وجه الشك.

(ووالله ماصنع): طلحة.

(في أمر عثمان): في طلبه بدمه، وانتصاره له.

(واحدة من ثلاث): خصلة من خصال ثلاث كان ينبغي له أن يفعل واحدة منها.

(لئن كان ابن عفان ظالماً): بما أحدث من الأحداث التي نقمت عليه واستنكرها الخلق.

(كما كان يزعم): طلحة، فإنه كان في حياته يتهمه بالظلم ويرميه به[1]، واللام في قوله: لئن كان هي الموطئة للقسم، مثلها في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾[الحشر:١٢].

(لما كان ينبغي له أن يوازر قاتليه): لما هذه هي جواب القسم، والمعنى إن كان عثمان ظالماً عندك فقد استحق ما وقع به من ذلك، فمالك والموازرة لقاتليه أي المغالبة لهم وقتالهم، من قولهم: وزرت فلاناً إذا غلبته، فهم بزعمك على الحق في قتاله[2].

(أو ينابذ ناصريه): وكان من حقك[3] المنابذة والمشاجرة لمن نصره؛

---

(١) عن أخبار ما كان من أمر طلحة مع عثمان بن عفان في الإجلاب عليه والحصر له والاغراء به، انظر ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠/٥-٩.
(٢) في (ب): قتالهم
(٣) في (ب): وكان مرجعك.

لأنهم قد نصروه على الظلم وأعانوه عليه.

(ولئن كان مظلوماً): كما أنت تزعم الآن وتدعي.

(لقد كان ينبغي): يتوجه على طلحة من جهة الدين والمروءة.

(أن يكون من المنهنهين عنه): الذّابّين عن حوزته، والصادّين عن قتله.

(والمعذّرين فيه): المنتصرين له، يقال: فلان معذّر في فلان إذا قام في حقه، وذبَّ عنه ونصره.

(ولئن كان في شك من الخصلتين): أن يكون ظالماً، وأن يكون مظلوماً، ولم يعلم واحدة منهما ولا درى بحاله:

(لقد كان ينبغي له أن يعتزله جانباً[1]): اعتزلت جانب فلان إذا تركته وأهملته.

(ويتركه): فلا ينصره، ولا يخذله.

(ويدع الناس معه): ويترك الناس الذين اجتمعوا عليه ورأيهم فيه.

(فما فعل واحدة من هذه الثلاث): التي ذكرتها وأشرت إليها.

(وجاء بأمر): وهو طلبه بدم عثمان، وهومن القائمين [عليه][2]فأمره في ذلك أمر:

(لم يعرف بابه): فيدخل إليه.

(ولم تسلم معاذيره): غير[3] الخطأ والمغالطة، ومخالفة الحق،

(١) العبارة في (ب): لقد كان ينبغي أن يعتزله ويركب جانباً، وفي شرح النهج: ويركد جانباً.

(٢) زيادة في نسخة أخرى.

(٣) في نسخة أخرى: عن.

وكما ذكرناه من قبل ما أنعم الله على الزبير وعائشة في إلهامهما للتوبة، وتداركهما عن الهلاك بها.

فلنذكر توبة طلحة كما وعدنا من قبل:

وأقول: إنه كان من الهالكين بما كان منه على أمير المؤمنين من البغي والخروج، ولكن الله لم ينس صحبته لرسوله، وكان من العشرة المبشرين بالجنة: علي، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد، وعبد الرحمن بن عوف[1].

فمن ذلك أنه [لما][2] أصابه السهم في المعركة[3] أظهر الندامة والتوبة، والتأسف على ما فعله، ثم قال [بعد ذلك][4]:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا ... رأت عَيْنَاه مَا صَنَعَت يَدَاه[5]

(١) انظر التعليق على هذا الحديث في ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة للأمير الحسين بن بدر الدين رحمه الله تعالى.

(٢) سقط من (أ).

(٣) قال أبو مخنف: إن أهل الجمل لما تضعضعوا قال مروان: لا أطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم فانتحى له بسهم فأصاب ساقه، فقطع أكحله، فجعل الدم يبضُّ، فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر، وقال لمولاه: ويحك! أما من مكان أقدر فيه على النزول فقد قتلني الدم، فيقول له مولاه: انجُ وإلا لحقك القوم، فقال: تالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا، حتى انتهى إلى دار من دور البصرة فنزلها ومات بها.
وقد روي أنه رمي قبل أن يرميه مروان، وجرح في غير موضع من جسده (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٣/٩).

(٤) سقط من (أ).

(٥) المغني ٨٨/٢/٢٠، وانظر البيت في لسان العرب ٢٥٨/٣، وهو فيه بدون نسبة إلى قائله.

ومن ذلك أنه قال: ما رأيت مصرع شيخ[1] أضل من مصرعي هذا، بعدما أصيب.

ومن ذلك أن أميرالمؤمنين لما وقف عليه وهو مقتول، فقال:

(يرحم الله أبا محمد) وترحمه عليه يدل على توبته وإنابته لامحالة.

ومن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين أنه قال:

(إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير، كما قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[2])[الحجر:٤٧]، ولولا علمه بالتوبة منهما لما جاز أن يقول ذلك؛ لأن هذا لايكون فيمن مات وهو مصرٌّ على فسقه وبغيه، فتقرر بما ذكرناه صحة توبة طلحة، وأنه مقطوع على نجاته وسلامته بعد ذلك من غضب الله وسخطه.

(١) في (أ): سنخ أصل، وفي شرح ابن أبي الحديد: شيخ أضيع، ونص العبارة في لوامع الأنوار ١٠٥/٣: ما رأيت مصرع قرشي أضل من مصرعي، وانظر المغني ٨٨/٢/٢٠.
(٢) المغني ٨٨/٢/٢٠، والروضة الندية في شرح التحفة العلوية ص ٦٩.

(١٦٤) ومن كلام له عليه السلام قاله لذِعلب اليماني، وقد سأله: هل رأيت ربك؟

وهو [ذعلب][1] بالذال بنقطة من أعلاها وبالباء بنقطة من أسفلها، وبالعين المهملة، وخلاف[2] ذلك تصحيف لايوجد في الكلام، والذعلب هو: السريع في الأمور، والذعلبة: الناقة السريعة قال جرير:

وَقَدْ أَكُوْنُ عَلَى الْحَاجَاتِ ذَا لَبَثٍ ... وَأَحْوَذِياً إذا انْضَمَّ الذَّعَالِيْبُ[3]

والأحوذي هو: المشمّر في الأمور القاهر لها، ومراده بالذعاليب: قطع الخرق، فقال له أمير المؤمنين:

(**أفأعبد ما لا أرى**): منكراً [لأن][4] يكون الأمر على خلاف ذلك؛ لأن العقول تحيل عبادة ما ليس معلوماً ولا مرئياً لحقائق العقول، فقال له ذعلب: وكيف تراه؟ قال:

(**لا تراه العيون بمشاهدة[5] العيان**): نفى رؤيته بهذه الأحداق، وإدراكه بهذه الحواس لما قد تقرر في العقول من خلاف ذلك واستحالته،

(١) سقط من (أ).
(٢) في (ب): وغير ذلك.
(٣) لسان العرب ١٠٦٩/١، وقوله: وقد، فيه: (لقد).
(٤) سقط من (أ).
(٥) في (ب) وشرح النهج: مشاهدة.

وتكذيباً لمن خالفنا في ذلك من طوائف الأشعرية وغيرهم من الفرق الذاهبين إلى جواز رؤيته، وصحتها، ويلزمهم على شناعة هذه المقالة وبشاعتها أن يكون الله تعالى في جهة المقابلة؛ لأنه يستحيل إدراك ما ليس مقابلاً لهذه الحاسة، وإذا[1] كان خالصاً في جهة فلا بد إذا حصل من الجهة، إما أن يكون له حظ الاستقلال في الكون في الجهة فيكون متحيزاً حاصلاً فيها، فيكون جسماً وجوهراً، أو لا يكون حاصلاً في الجهة على جهة الاستقلال فيكون عرضاً من جملة المرئيات، ولا محيص لهم إذا قالوا بالجهة والرؤية فيها من أحد هاتين الشناعتين، وهم لا يقولون بذلك، فإذاً العيون لا تراه.

(**ولكن تدركه القلوب**): تعلمه وتثبته.

(**بحقائق الإيمان**): أراد أن القلوب تعلمه من حيث كانت مؤمنة له، ومصدقة به ويستحيل فيمن يكون مؤمناً بالشيء مصدقاً به أن يكون غير عالم به فلأجل هذا قال: إن القلوب تدركه بحقائق إيمانها، يشير إلى ما قلناه من ذلك.

(**قريب من الأشياء**): بالعلم والإحاطة والتدبير.

(**غير ملامس**): أراد أنه مع قربه منها فإنه غير ملاصق لها؛ لا ستحالة ذلك، فإن الملاصقة إنما هي في حق الأجسام لاغير.

(**بعيد منها**): في الحقيقة والمماثلة لها، أو بعيد عن تصورات الأوهام، أوبعيد عن الإحاطة للعقول به.

(**غير مباين**): يريد أنه وإن كان بعيداً، فإنه لايقال: بأنه مباين لها،

---

(١) في (ب): وإن.

لأن المباينة هي البعد بين الشيئين، وهذا إنما يكون في الأجسام، وهو تعالى غير جسم.

(**متكلم**): فاعل للكلام وموجد له، إما في الهواء، وإما في الشجر أوغير ذلك من المحالِّ التي يوجد فيها الكلام.

(**بلا رويّة**): فكر ونظر يوجد به الكلام كما يفعل الواحد منّا.

(**مريد**): فاعل للإرادة على من يرى أن الإرادة [هي][1] جنس برأسه مخالف للداعية، وهو قول طائفة من المتكلمين من الزيدية والمعتزلة، أويكون مراده من ذلك مريداً على معنى أن له داعياً[2] إلى الفعل، وهي المصلحة وتكون الإرادة عبارة عن العلم لاغير، وهو قول النظام من المتكلمين.

(**بلا همة**): أي بلا مشقة عليه فيما يريده من الأفعال.

(**صانع**): إما فاعل لهذه المكونات العظيمة، والمصنوعات الباهرة في العالم، وإما محكم لها لما فيها من النظامات والتأليفات البديعة، وما اشتملت عليه من مطابقة المنافع فكل هذا صنع من جهته:

(**لا بجارحة**): يحكم بها هذه الإحكامات الدقيقة.

(**لطيف**): بالخلق راحم لهم في جميع أحوالهم، ومع لطفه بهم فإنه مع ذلك:

(**لا يوصف بالخفاء[كبير لايوصف بالجفاء]**[3]): لأن الخافي مايصغر حجمه فلا يدرك، وهو تعالى ليس بذي حجم فلايوصف بذلك.

---

(١) سقط من (ب).
(٢) في (ب): داعية.
(٣) سقط من (أ).

(بصير): يدرك المبصرات كلها.

(لا يوصف بحاسة): أراد أنه مع إبصاره لكل مبصر فلايكون إبصاره بحاسّة من هذه الحواس أصلاً.

(رحيم): للخلق، وفي الحديث: «إن الله تعالى خلق مائة رحمة فادَّخر منها تسعة وتسعين رحمة عنده، ثم أنزل رحمة واحدة يتراحم بها الخلق فيما بينهم»[1].

(لا يوصف بالرقة): يريد ومع كونه موصوفاً بالرحمة فإنه لا يوصف بالرِّقة؛ لأن ذلك إنما يكون ممن كان ذا قلب وجارحة، وهو يتعالى عن ذلك.

(تعنو الوجوه): تخضع وتذل، كما قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[طه:١١١].

(لعظمته): من أجل كونه عظيماً لا يمكن وصف عظمته.

(تجب[2] القلوب): أي تضطرب وتشفق من قولهم: وجب قلبُه إذا اضطرب.

(من مخافته): خوفاً من سطوته، وإشفاقاً من عقوبته، وقد سرد هذه الصفات بغير نسق بحرف العطف، وهذا من علم البديع يسمى التعدية، كما قال تعالى: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾[غافر:٣] وله وقع في النفوس لا يخفى بخلاف ما لوكان بحرف العطف.

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٠٨/٤، والدارمي في سننه ٤١٣/٢، وابن ماجة في سننه ١٤٣٥/٢، وأحمد بن حنبل في مسنده ٥٥/٣، ٤٣٩/٥.
(٢) في (ب): وتجب.

(١٦٥) ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين

(فأجمع رأي ملئكم): الأفاضل من جمعكم ورؤسائكم لما[1] فعل معاوية وأصحابه من أهل الشام، من إلقاء المصاحف وتحكيمها غدراً بكم ومكراً.

(على[2] أن اختاروا رجلين): في الحكومة علينا وعليهم وفصلاً لشجارنا وشجارهم، وقد تكررحديثهما غير مرة في عدة من كلامه، ومواضع كثيرة من خطابه، وإنما تكرر ذلك لما وقع بسببهما من الفتنة العظيمة والضلال الكبير.

(فأخذنا عليهما): أوثقنا وربطنا.

(أن يجتمعا عند القرآن): يتفقان على حكمه، وأن لايخالفاه في حكم من أحكامه.

وفي نسخة أخرى: **(أن يجعجعا عند القرآن)**: أي يقفا[3] عنده، من جعجع البعير إذا برك واستناخ.

---

(١) في (أ): كما.
(٢) قوله: على، سقط من (أ).
(٣) في (ب): يتفقا.

(لايجاوزاه[1]): أي لايتعديا حكمه.

(وتكون ألسنتهما معه): مصاحبة له، أي لايقولان إلاماقال، ولا يحكمان إلا بما حكم.

(وقلوبهما[2] معه): يميلان معه حيث مال.

(فتاها): ذهبا عن أحكامه.

(عنه): بالمجاوزة لحده، والمخالفة لأمره.

(وتركا الحق): خلّفاه وراء ظهورهما.

(وهما يبصرانه): معاينة لاسترة فيها، وأراد أنهما خالفا القرآن بالقصد إلى غير[3]ذلك من غير شبهة، وفعلا ذلك تمرداً وعناداً.

(وكان الجور هواهما): الميل عن الحق ما هوياه، وفعلاه بهواهما[4] وجهلهما.

(والاعوجاج): عن طريق الحق واتباع الهدى.

(دأبهما): في جميع أحوالهما كلها.

(وقد سبق استثناؤناعليهما في الحكم): أراد أنه قد عهد إليهما قبل الشروع فيه الاستقامة على كتاب الله وعلى الوفاء بأحكامه.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: ولا يجاوزاه.
(٢) في (أ). : وقلوبهم.
(٣) قوله: غير، سقط من (أ).
(٤) في (ب): بهوانهما.

(في الحكم بالعدل): ألاّ يحكما إلا بما يكون رضاً لله تعالى.

(والعمل بالحق): وبما[1] لاحيف فيه من أمر الباطل، فسبق استثناؤنا بما ذكرناه.

(سوء رأيهما): الذي فعلاه من عند أنفسهما.

(وجور حكمهما): ومخالفته للحق.

(والثقة): أي الوثاق إما الوثيقة[2]، يقال: فلان أخذ بالوثيقة في أمره، والغرض الاستيثاق في الأمر.

(في أيدينا لأنفسنا): أي الوثيقة باقية في أيدينا بعدما فعلا ما فعلا من الخديعة، لا يضر[3] فعلهما في ذلك شيئاً.

(حين خالفا سبيل الحق): ونكصا على أعقابهما وتركا طريقه.

(وأتيا بما لا يُعْرَفُ): جاءا بما لا يعرفه أحد من المسلمين من مخالفة[4] ما قلناه، ومن قتير[5] الأمر.

(من معكوس الحكم): من الحكم الباطل[6]، والهداية إلى الخطأ والعماية والضلال.

---

(١) في (ب): أي بما.
(٢) في (ب): بتوثيقه.
(٣) في (ب): لا يضرنا.
(٤) في (ب): مخالفته.
(٥) كذا في النسختين ولعله من تقتر فلان إذا غضب وتهيأ للمخاصمة، وللصيد إذا استتر في القترة ليخدعه ويصيده، وتقتر فلان عنه إذا تنحى، وتقتر فلان فلاناً إذا حاول خداعه عن غفلة (انظر المعجم الوسيط ٧١٤/٢).
(٦) في (ب): بالباطل.

اعلم: أن المتخلفين عن أمير المؤمنين التاركين لمبايعته[1] فريقان:

الفريق[2] الأول:

الذين لم يقتنعوا بترك المبايعة[3] له، بل نصبوا له العداوة، وظاهروا عليه وقاموا في وجهه بالحروب والمشاجرة، ثم هؤلاء صنفان:

فالصنف الأول:

طغوا عليه وبغوا بالمخالفة، ونصب الحرب، ولكن الله تعالى لطف برحمته تداركهم عن الهلاك بالبغي عليه، وهؤلاء هم أصحاب الجمل، طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم من أهل الشام، فإنه قد كان منهم ما كان من ذلك، لكن قد روينا توبتهم وندمهم ورجوعهم إلى أمير المؤمنين، واستقباح مافعلوه وقد توقف في حاله وحال طلحة والزبير وعائشة أقوام، وهو خطأ لأمرين:

أما أولاً: فلأنه قال فيه الرسول: «تقاتل القاسطين والمارقين والناكثين»[4].

وأما ثانياً: فلأنَّا لو وقفنا في حاله مع طلحة والزبير وعائشة، لوقفنا

---

(١) في (أ): لمتابعته، وعن بيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأمر المتخلفين عنها انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/٦-١١.

(٢) في (ب): فالفريق الأول.

(٣) في (أ): المتابعة.

(٤) حديث أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين سبق تخريجه وأخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي (عليه السلام) في المجموع الحديثي والفقهي ص ٢٧٠، والحاكم في المستدرك ٣/١٥٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٨٦، ٦/٢٣٥، ٧/٢٣٨، وأبو يعلى في مسنده ١/٣٩٧، والبزار في مسنده ٢/٢١٥، ومصادره كثيرة سبق أن أشرت إلى بعضها في تخريج له سابق.

في حاله مع معاوية والخوارج؛ لأن أحوالهم كلها مستوية في البغي والخروج على إمام الحق، كيف وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «ستكون بعدي هنات وهنات» يريد أشياء قبيحة منكرة «فمن أراد أن يفرِّق بين هذه الأمة، وهم جميع فا ضربوه بالسيف كائناً من كان»[1].

الصنف الثاني:

الذين استمرو ا على البغي والخلاف والشقاق، وهؤلاء هم معاوية وأحزابه من أهل الشام، والخوارج وأهل النهروان.

واعلم: أنه لا قائل من الأمة بالوقف في حاله، وحال الخوارج لظهورأمرهم في البغي والخلاف، وإن كان في الأمة من وقف في حاله وحال معاوية، وهذا جهل بما ذكرناه في حاله مع طلحة، والزبير وعائشة، ثم ما روي في حال عمار، أنه قال: «تقتلك ياعمار الفئة الباغية» وسبب ذلك أنه كان يحمل اللَّبِنَ والتراب في عمارة مسجد رسول الله [(صلى الله عليه وآله وسلم)][2] يوم قدومه من مكة، فقال عمار: يا رسول الله، قتلوني حمَّلوني اللَّبِنَ، فأقبل الرسول (عليه السلام) ينفض وفرته[3] من التراب والغبار، ثم قال له: «ويح ابن سمية!، ليسوا بقاتليك، إنما تقتلك الفئة الباغية»[4].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/١٦٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/٢٩٢، ٢٩٣، والنسائي في سننه (المجتبى) ٧/٩٣، وأحمد بن حنبل في مسنده ٤/٣٤١، ورواه قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد في المغني ٢٠/٢/٧٤.

(٢) سقط من (أ).

(٣) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس.

(٤) روى نحوه البدر الأمير في الروضة الندية ص٨٥، وقال فيه: تكلم (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا قبل وقعة بدر، وقيل: فتح مكة، وقبل إسلام رأس الفئة الباغية، وقبل أن يفتح من البلاد شيئاً، وتكرر منه (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر أن عماراً رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية في عدة مواقف، وقد كان عمار رضي الله عنه من أعيان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). انتهى.

وحكي أن عماراً قال يوم صفين: الرواح إلى الجنة، يحثُّ أصحابه على القتال[1].

وحكي عنه أنه قال: ادفنوني في ثيابي، فإني[2] رجل مخاصم. فهذه حال من حاربه.

الفريق الثاني:

الذين تخلفوا عنه بترك المبايعة من غير قتال له ولا محاربة، وهؤلاء هم: عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد،

قال العلامة الحجة مجد الدين المؤيدي حفظه الله تعالى في لوامع الأنوار ١٤٥/٣ في ترجمة عمار بن ياسر رضي الله عنه ما لفظه: قال ابن حجر: وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين، وله ثلاث وتسعون سنة، واتفقوا أنه نزل فيه: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان...﴾إلخ. انتهى، وانظر الخبر في سيرة ابن هشام ١١٤/٢، والمستدرك للحاكم ١٦٢/٢، ومسند أحمد بن حنبل ٥/٣، ومسند أبي يعلى ١٩٥/٧.

(١) المغني ٧٥/٢/٢٠، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٠٤/١٠ عن ابن عبد البر النمري في الاستيعاب ما لفظه: وروى الأعمش، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي (عليه السلام) صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يتبعونه، كأنه علم لهم، وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم، تقدم، الجنة تحت البارقة:

اليوم ألقى الأحبة ... محمداً وحزبه

والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنَّا على الحق وأنهم على الباطل. ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله ... واليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق على سبيله

فلم أر أصحاب محمد ﷺ قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ. انتهى.

(٢) في (ب): وإني، وانظر الرواية في المغني ٧٥/٢/٢٠.

وسعد بن أبي وقاص، فهؤلاء قد تخلفوا عنه من غير محاربة منهم له، ولا خروج عليه لطرؤ الشبهة عليهم في حرب أهل القبلة، فإن كان أميرالمؤمنين طلب منهم الخروج معه للجهاد فتخلفوا، فقد أثموا لا محالة لمخالفتهم لأمره، والله أعلم بحال هذا الإثم أين يبلغ بهم، وإن كان لم يطلب منهم ذاك[1]، فالجهاد من فروض الكفاية فلا وجه لتأثيمهم من غير أن يطلب منهم الخروج، ثم هم صنفان:

فالصنف الأول:

منهم: من ندم[2] على تخلفه عن أمير المؤمنين، وترك الجهاد معه، وهذا هو ابن عمر، فإنه حكى عنه سعيد بن جبير[3] أنه قال له: يا ابن الدهماء، أما إني لا آسى على فراق الدنيا إلا على ظمأ الهواجر، وألاَّ أكون قاتلت الفئة الباغية[4].

(١) في (ب): ذلك.

(٢) في (أ): يذم، وهو تصحيف.

(٣) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء الكوفي، أبو عبد الله [٤٥ - ٩٥هـ] أحد عظماء الإسلام، ومن سادات التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة، حبشي الأصل، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، وقبض عليه، وأرسل به إلى الحجاج، فقتله الحجاج صبراً، فلم يلبث الحجاج بعد مقتله إلا خمسة عشر يوماً حتى هلك. أخذ العلم عن ابن عباس، وابن عمر، وجعفر بن إياس، والأعمش، وذكره غير واحد في رجال الشيعة، ومن ثقات محدثيهم، وعده أبو العباس الحسني فيمن بايع الإمام الحسن بن الحسن الرضا (معجم رجال الاعتبار صـ ١٦٣-١٦٤).

(٤) المغني ٩١/٢/٢٠، وقول ابن عمر بلفظ: (ما آسى على شيء من أمر الدنيا إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب). أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٥٧٩/٢ برقم (١٠٨٨) بسنده عن نافع عن ابن عمر، وبلفظ الكوفي رواه في لوامع الأنوار ١٣٠/٣ وعزاه إلى ابن عبد البر من طرق.

وروى الزهري[1] أنه قال: لما بويع لمعاوية قال: من أحق بهذا الأمر مني؟ فقال ابن عمر: من ضربك وأباك عليه[2].

الصنف الثاني:

الذين استمرت بهم الشبهة، وهم من ذكرناه غيرابن عمر، فإن أمير المؤمنين تركهم على حالهم[3]، ولم يضيِّق عليهم في الخروج معه؛ لاستغنائه بغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وحكي عن أمير المؤمنين أن قال:

(والله ما لمن فارق الحق عندي إلا ضرب العنق)[4].

وحكي عنه أن قال لأصحاب النبي (عليه السلام): (أنشدكم بالله، هل ترونني عادلاً)؟ قالوا: لو غيرذلك رأيناك لقوَّمناك بأسيافنا.

فقال: (الحمد لله الذي جعلني بين قوم، إذا أردت الميل من الحق قوَّموني[5] بأسيافهم)[6].

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري أبو بكر [٥١-١٢٥هـ] تابعي من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بها، وكان صاحب شرطة بني أمية وأحد أنصارهم، دعاه الإمام زيد بن علي (عليه السلام) للخروج معه فأبى، وللعلامة الحجة بدر الدين الحوثي كتاب (الزهري أحاديثه وسيرته) طبع عن مؤسسة الإمام زيد بن علي عليهما السلام، (وانظر عن الزهري معجم رجال الاعتبار ص ٤٠٣-٤٠٤).

(٢) المغني ٩١/٢/٢٠.

(٣) كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن سلام، فإن هؤلاء لم يبعث إليهم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لاعطاء البيعة، كما بعث إلى عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وقيل له: ألا تبعث إلى حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن سلام، فقال: لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا (انظر شرح ابن أبي الحديد ٩/٤).

(٤) المغني ٧٥/٢/٢٠.

(٥) في (أ): قوماني، وما أثبته من (ب)

(٦) أورد الرواية هذه قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد رحمه الله في المغني ٧٥/٢/٢٠ باختلاف يسير.

ولله درُّهم جميعاً فما أقوى عزائمهم على الدين وأمضى شباهم فيه!، فانظر إلى إمامهم ما أكبر[1] تواضعه للحق وإنصافه، وانظر إلى هؤلاء الأتباع في تركهم المداهنة في الدين، والمصانعة فيه، ومن هذه حاله ينعش[2] الله به الدين، ويقوِّي به قواعده[3]، فإذا كان حالهم هذه مع أمير المؤمنين في الصلابة، والتشدد به[4] في ذات الله من إظهار النصيحة، والقوة على الأمر، والشدة فيه والعزم، وتوطين النفس على ألاَّ تأخذهم في الله من لائم ملامة، فكيف حالهم فيمن رأوا منه ما ينكرونه من مخالفة الدين وابتغاء الدنيا، هم لا محالة أشد في الإنكار!، وأبلغ في الإعراض عنه والازورار!.

---

(١) في (ب): أكثر.

(٢) في (ب): لينعش.

(٣) في (ب): وتقوى قواعده.

(٤) في (ب): والشدة في ذات الله.

(١٦٦) ومن كلام [له][١] عليه السلام في ذم أصحابه

(أحمد الله على ما قضى من أمر): أي فرغ من قضائه، من قولهم: قضيت حاجتي إذا فرغت منها، فإن الله تعالى قد فرغ من قضائه للأمور كلها.

(وقدّر من فعل): وأحكم[٢] الأفعال كلها من جميع مايصدر منه.

سؤال؛ أراه خصَّ القضاء بالأمر وخصَّ التقدير بالأفعال، وكل واحد منهما يمكن اختصاصه بالقضاء والقدر، ولم يقل: أحمد على ما قضى وقدَّر من أمر وفعل، فما وجهه؟

وجوابه؛ هو أن القضاء لما كان عبارة عن الفراغ وليس مختصاً بالأفعال، بل كما يكون في الأفعال يكون في غيرها، فإنه كما يقضي الخلق ويفرغ منه، فهو يقضي الأمر من هذا ويعلمه، فلأجل هذا خصَّ القضاء بالأمر لما كان عاماً في الأفعال و في غيرها، وأما القدر فهو التقديروالإحكام، وهو إنما يختص بالأفعال[٣] لا غير؛ لأن الإحكام إنما يكون إما بتأليف

---

(١) سقط من (أ).

(٢) في (أ): وإحكام، وما أثبته من (ب).

(٣) في (أ): الأفعال.

وانتظام عجيب، وإما أن يكون بمطابقة المنافع وهذا كله مختص بالأفعال، فلا جرم خص التقدير بالأفعال والقضاء بالأمرعلى الإطلاق لما ذكرناه.

(وعلى ابتلائي بكم): أي أحمده على ما قدّر لي من البلوى بعلاجكم، وامتحاني بتدبيركم والولاية عليكم.

(أيتها[١] الفرقة): يعني بذلك أهل العراق من البصرة والكوفة.

(التي إذا أُمِرَتْ لم تُطِعْ): بلغ من حالها أنها إذا أُمِرَتْ بشيء من الأوامر الدينية لم تفعل ما يريده الآمر لها، والمتولي عليها، وهذا على رواية بناء الفعل لما لم يسم فاعله والتاء للتأنيث، فإن كان[٢] التاء فاعله فهو يعنى بها نفسه.

(وإذا دعوت): ناديتها إلى ما ينجيها من الأمور.

(لم تجب): دعائي ولا سمعت ندائي.

(إن أمهلتم): الإمهال: التؤدة والإنظار، أي إذا أخرتم وأجلتم.

(خضتم): فيما لا يلزمكم الخوض فيه، وفي الحديث: «من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه».

(وإن حوربتم): شنّت عليكم الغارات من جهات شتى، وتلظت[٣] عليكم نيار الحرب من كل جانب.

---

(١) في (أ): أيها.

(٢) في (ب): كانت.

(٣) في (أ): وتطلب، وهو غامض، وما أثبته من (ب).

(خُرتم): إما جبنتم من الخورة[1] وهي: الجبن، وإما صرختم من قولهم: خارالعجل فله خوار أي صياح.

(وإن اجتمع الناس على الإمام[2]): بإعطائه البيعة وبذلهم له السمع والطاعة من جهة أنفسهم، بالانقياد لأمره، والا حتكام لحكمه.

(طعنتم): في أمره[3] وقلتم: ليس صالحاً لها.

(وإن أجئتم إلى مشاقة): اضطررتم إلى المحاربة من قولهم: أجأته المجاعة إلى الميتة[4]، وفي المثل: شرما يجئك إلى مخة[5] عرقوب.

قال زهير:

وجارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إِلَيْكُم   أَجَاءَتهُ الْمخافةُ والرجاءُ[6]

(نكصتم): تأخرتم على أعقابكم جبناًوذلة وهواناً.

(لا أبا لغيركم!): قد قدمنا من قبل أن هذه اللفظة، قد يراد بها المدح ويراد بها الذم، وغرضه بها ها هنا المدح، ولهذا قال: (لاأبا لغيركم) يمدح بها غيرهم.

---

(١) في (ب): من الخور وهو الجبن.

(٢) في (ب) وشرح النهج: إمام.

(٣) في (ب): إمرته.

(٤) في (ب): المنية.

(٥) في (ب): مجيئة وهو تحريف، والمثل في لسان العرب ٧٥٤/٢، ولفظ أوله فيه: شرما أجاءك...إلخ. وقال: يضرب هذا عند طلبك اللئيم أعطاك أو منعك، وهو فيه أيضاً ٥٤٠/١ باللفظ الذي أورده المؤلف هنا، وقال: قال الأصمعي: وذلك أن العرقوب لا مخ فيه، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء.

(٦) لسان العرب ٥٤٠/١.

(ما تنتظرون بنصركم): لمن تنصرونه.

(والجهاد على حقكم!): مع من تجاهدون معه، وأضاف النصر والحق إليهم؛ لما لهم فيه من الاختصاص أي النصر المتوجه عليكم، والحق الذي يجب عليكم القيام فيه[1].

(الموت): هو[2] حائل بينكم وبين النصرة والجهاد.

(أو الذل!): فمع الذل لا يمكن النصرة والجهاد.

(فوالله لئن جاء يومي): دنا أجلي.

(وليأتيني): أي وهو آتٍ إليَّ لامحالة.

(ليفرقنّ بيني وبينكم): يقطع هذه الوصلة مني ومنكم.

(وإني لصُحْبَتِكُم قالٍ): باغض كاره، ومنه قوله تعالى: **﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾**[الضحى:٣].

(وبكم غير كثير): أي وأنا غير متكثر بكم، ولا أعدكم نصرة لي في وقت من الأوقات.

(لله أنتم!): مدحاً لهم، مثل قولهم: لله درُّه، ولله عملك، وأورده على جهة التهكم بهم والاستهجان لأحوالهم وهممهم، كقولك لمن يصدر منه اللؤم وأنواع البخل: لله أمرك فما أكرمك وأكثر جودك.

---

(١) في (ب): به.

(٢) في (ب): فهو.

(أما دين يجمعكم): أي أن الدين هو يجمع المختلفات، فما بالكم لا تجتمعون على مراده، ويكون هو الجامع لشملكم في كل أمر.

(ولا حمية تشحذكم): الحميّة، والحمية هي: الحميّة تخفف وتشدد، فأما الحميّة فلا تكون [إلا][1] مشدداً، قال الله تعالى: ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[الفتح:٢٦] والغرض هو: الأنفة، والشحذ هو: تحديد النصل للفري، يقال: شحذت السكين أشحذها.

(أوليس عجباً[2]): أوليس العجب يقضي من حالي وحالكم.

(أن معاوية يدعو الجفاة): الأجلاف.

(الطغام): الجهال والأرذال من الناس.

(فيتبعونه): ينقادون لأمره ويحتكمون لمراده.

(على غير معونة): منه لهم على أمورهم.

(ولا إعطاء): من الأموال لهم.

(وأنا أدعوكم): وفيه تعريض بمعاوية، أي أنه على ما هو عليه من قلة الدين والبغي والمكر والخديعة، وأنا على ما أنا فيه[3] من قرابتي من رسول الله، ومكاني من[4] الفضل والعلم والدين.

(وأنتم تريكة الإسلام): إما أن يريد التريكة[5] التي هي روضة يغفلها

---

(١) سقط من (أ).
(٢) في (ب): عجيباً.
(٣) في (ب): عليه.
(٤) في (ب): في.
(٥) في (أ): التركية، وهو تحريف.

الناس فلا ترعى، وإما أن يريد بيضة النعام لأنها تسمى تريكة، والغرض من هذا كله أنكم الأماثل من الطبقة.

(وبقيّة الناس): البقية: خيار الشيء ونفيسه، وقوله: وأنتم تريكة الإسلام، جملة في موضع النصب على الحال من الضمير في أدعوكم.

(إلى المعونة): بنفسي ورأيي.

(وطائفة من العطاء): من الأموال.

(فتتفرقون عني): تذهبون يميناً وشمالاً.

(وتختلفون عليّ): إما في الآراء بأن يقول بعضكم: الجهاد والخروج حق، ويقول آخرون: لا وجه لذلك، وإما بأن يكون بعضكم موالياً لي، وبعضكم مباين بالخروج عن[1] طاعتي.

(إنه لا يخرج إليكم من أمري رضاً): ما يكون لكم فيه رضا، ولكم فيه محبة وهوى.

(فترضونه[2]): فتحبونه وتريدونه.

(ولا سخط): ولا أمر يكون فيه سخط لكم، وشيء تكرهونه.

(فتجتمعون عليه): فيكون رأيكم مجمعاً[3] على رده وكراهته، وهذا منه وصف لهم بكثرة الاختلاف فيما يحبونه ويكرهونه، ويشتهونه وينفرون عنه، أي أنهم لا يجتمعون على رأي أصلاً.

---

(١) في (ب): من.
(٢) في (ب): فترتضونه.
(٣) في (ب): مجتمعاً.

(فإن أحبَّ ما أنا لاقٍ إليَّ الموت): إما لصعوبة ما ألاقيه من ممارستكم، وإما لتعجيل رضوان الله وكرامته، فأستريح بالموت خلاصاً عن علاجكم أو بما ألاقيه من ثواب الله وخيره.

(قد دارستكم الكتاب): كررته على آذانكم، من قولهم: درس الكتاب ودارسه إذا قرأه مرات[1] كثيرة.

(وفاتحتكم الحجاج): أي فتحته عليكم وخاطبتكم به، من قولهم: فاتحته بالحديث إذا شرعت[2] فيه.

(وعرَّفتكم ما أنكرتم): من الآداب الحسنة، والمواعظ الشافية، وفيه تعريض بحالهم وجهلهم، حيث أنكروا ما هو حسن وأعرضوا عمَّا هو معجب.

(وسوغتكم ما مججتم): مجَّ الماء إذا وضعه[3] في فِيْهِ ثم رمى به، وساغ الطعام إذا كان مشتهى، وأراد أني عرفتكم ما كنتم تجهلونه لولاي فقد أدَّبتكم وأحسنت رعايتكم، واجتهدت في صلاحكم.

(لو كان الأعمى يلحظ): يريد لو كان الأعمى له لحظ يلحظ.

(والنائم يستيقظ): لكان مستيقظاً عند تبصيري له، وإيقاظي إياه من نومه.

(وأقرب بقوم إلى الجهل بالله): تعجب من حالهم، أي ما أقربهم

---

(١) في (ب): مراراً.
(٢) في (ب): أشرعت.
(٣) في (ب): إذا أدخله فيه.

إلى الجهل، وهي صيغة تستعمل في التعجب، قال الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[مريم:٣٨] وهي مثل قولهم: ما أقربهم في الإفادة[1] لما يفيده.

(قائدهم معاوية): رئيسهم وإمامهم هذا الرجل المعروف بصفاته، وفيه تعريض بحاله وأنه موصوف بالصفات الذميمة.

(ومؤدبهم ابن النابغة!): يريد عمرو بن العاص، وفيه تعريض بحاله أيضاً، وقد قررنا وجه تلقيب أمه بالنابغة، فلا وجه لتكريره في كلام قد سبق.

سؤال؛ من أين يظهر جهلهم بالله بسبب أن معاوية قائد وابن النابغة مؤدب، وما وجه المناسبة بينهما في ذلك حتى جعل هذا لازماً لهذا؟

وجوابه؛ هو أن رئاسة الفاسق المنهمك وتأديبه[2] كمعاوية وابن النابغة، وتحكيم أمرهما في الأمور الدينية وإنفاذ الأحكام الشرعية، مع ما هما عليه من الفسوق والركة في الدين فيه لامحالة استهانة بحق الله، وجهل به، وإعظام لما صغَّرالله من قدرهما، وتبجيل لما هوَّن الله من حالهما، حيث لم يجعلهما عضداً، حيث قال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف:٥١] عوناً على شيء من أمورالدين، فضلاً عن أن يكون الحل والعقد معقوداً برأيهما[3]، والقبول والرد منوطاً بحالهما[4]، فهذا يكون أعظم في الجهل بالله، وأدخل في عدم الاعتراف بحقه.

---

(١) في (ب): في الإقادة لما يقيده.
(٢) في (أ): وديانته.
(٣) في (ب): بذاتهما.
(٤) في (ب): بحالها.

(١٦٧) ومن كلام له عليه السلام لرجل أرسله[1] إلى قوم ليعلمه علمهم من جند الكوفة هموا باللحاق بالخوارج

وكانوا على خوف منه، فلما عاد [إليه الرجل][2] قال له أمير المؤمنين رضي الله عنه:

(أأمنوا): استقرت قلوبهم واطمأنت أنفسهم، عمَّا كانوا يحذرونه من جهتي ويتوقعون من سطوتي.

(فقطنوا): فلبثوا في مساكنهم.

(أم جبنوا): خوفاً من الوعيد.

(فظعنوا): رحلوا إلى معاوية، ولحقوا به.

(فقال الرجل: بل[3] ظعنوا يا أمير المؤمنين، فقال: بُعداً لهم): أبعدهم الله عن الخير، وَبُعْداً من المصادر التي تضمر أفعالها فلا ينطق بها في حال أبداً، مثل: سحقاً وعجباً، وكأنهم وضعوها مع[4] أفعالها، والتقدير فيها بَعِدُوا بُعداً.

---

(١) في نسخة و في شرح النهج: ومن كلام له (عليه السلام)، وقد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة.

(٢) سقط من (أ).

(٣) قوله: بل، سقط من (أ).

(٤) في (ب): وضعوها موضع أفعالها.

(كما بعدت ثمود!): فانظر ما أرقَّ هذه الكلمة وما ألطفها، وما أعظم مباينتها لما قبلها من الكلام، وإن كان في غاية البلاغة، و ما ذاك إلا لكونها آية من كتاب الله تعالى وقعت موقعاً ملائماً لما جيء بها في القرآن، وإبعادهم بما أهلكهم الله به من العذاب من أجل عقر الناقة وغيرهم.

(أما لو أشرعت الأسنة إليهم): أشرع الرمح إذا وجَّهه نحوه ليطعنه.

(وصُبَّت السيوف على هاماتهم): وضعت على رءوسهم وجعل الصبّ تجوزاً واستعارة؛ لأنها بمنزلة إفراغ الماء على رءوسهم، والهامات: أعالي الرءوس، وأما هذه للتنبيه.

(لقد ندموا على ما كان منهم): يريد أنه لو قد أوقع بهم وقعة عظيمة لقد تأسفوا على ما فعلوه من اللحاق بمعاوية، والانتصاب لمحاربته والبغي عليه.

(إن الشيطان اليوم): في زمانهم هذا.

(قد استفلّهم): استفلَّ القوم إذا رحلوا، وأراد أنه استفلَّ بهم أي مضى وانفرد بهم، وتمكّن من إغوائهم، والتحكم فيهم.

(وهو غداً متبرئ منهم): يريد إما يوم القيامة؛ فإن الشيطان ينقطع تعلقه بهم في ذلك اليوم، وإما أن يريد عند تحققهم الوقائع العظيمة من جهته يعرفون حالهم، وانقطاع معذرتهم بتبصرهم للحق وعيانه.

(ومخلٍّ عنهم): مسلّمهم إلى النار، من قولهم: خلّي عنه وذهب إذا سلّمه[1] لما هو فيه من الأمر، وانقطع عنه فلا ينفعه أبداً.

---

(١) في (ب): أسلمه.

(فحسبهم): فيكفيهم جزاء ونكالاً وويلاً ووبالاً.

(بخروجهم من الهدى): الباء هذه زائدة، وخروجهم في موضع الخبر للمبتدأ وهو حسبهم، كزيادتها في قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[الرعد:٤٣] أي كفى الله.

(وارتكاسهم في الضلال والعمى): الركس: ردُّ الشيء مقلوباً، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾[النساء:٨٨] أي ردَّهم إلى كفرهم، وأراد ها هنا ردّهم إلى العمى والضلالة بعد الهداية، و هو عبارة عن إصرارهم على الضلال.

(وجماحهم في التيه): رجوعهم إلى الحيرة.

(١٦٨) ومن كلام له عليه السلام للبُرج بن مُسهِر الطائي[1]

وقد قال حيث[2] يسمعه: لا حكم إلا لله، وكان من الخوارج، فقال له أمير المؤمنين:

(اسكت قبحك الله): أي نحّاك عن الخير، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[القصص:٤٢].

(يا أثرم!): الثرم: سقوط الثنية من أسنانه، ويقال: ثرمه الله أي أسقط ثنيته، وكان الرجل ساقط الثنية، فلهذا قال له ذلك.

(فوالله لقد ظهر الحق): بان واستقرت قواعده.

(فكنت منه[3] ضئيلاً شخصك): رجل ضئيل الجسم، إذا كان نحيفاً.

---

(١) البرج بن مُسْهِر -بضم الميم وكسر الهاء- بن الجلاس بن وهب بن قيس الطائي، ينتهي نسبه إلى يشجب بن يعرب بن قحطان، شاعر مشهور من شعراء الخوارج. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٠/١٣٠).

(٢) في (ب): و في شرح النهج: بحيث يسمعه: لا حكم إلا لله.

(٣) في نسخة أخرى و في شرح النهج: فيه.

قال السلولي[1]:

فما[2] قُدَّ قِدُّ السَّيفِ لا مُتَضَائلٌ ولا رَهِلٌ لَبَاتُه وبَآدِلُه[3]

وأراد أنه ضعيف في الحق.

(خفياً صوتك): لا يعلم بحسه، وهذا كله كناية لهوانه[4] في الدين، وركة حاله فيه.

(حتى إذا نعر الباطل): نهض بقوته يقال: ما كانت فتنة إلا نعر فلان فيها أي نهض، وإن فلاناً لنعّار في الفتن، إذا كان ساعياً، أو يريد حتى إذا نعر الباطل أي فار وغلى مِرْجَلهُ، ومن قولهم: نعر العِرْقُ ينعر إذا فار بالدم فهو نَعار.

(نجمت): ظهر أمرك واستبان[5] حالك.

(نجوم قرن الماعز): لأنه يسرع في ظهوره إذا ظهر، يقال: نجم السن والقرن إذا طلعا، وغرض البرج بما تكلّم به من هذا الكلام، يشير به

(١) السلولي هو العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب، من بني سلول، المتوفى نحو سنة ٩٠هـ، من شعراء الدولة الأموية، كنيته أبو الفرزدق، وأبو الفيل، وقيل: هو مولى لبني هلال، واسمه عمير، وعجير لقبه (الأعلام ٤/٢١٧).

(٢) في (ب): فما فرقد، وفي نسخة أخرى ولسان العرب ٢/٥٠٤: فتى قُدَّقدُ...إلخ.

(٣) لسان العرب ٢/٥٠٤ ونسبه للعجير السلولي وقيل: زينب أخت يزيد بن الطثرية. والقد: القطع، ويقال: رهل لحمه بالكسر إذا اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم من غير داء (القاموس المحيط ص١٣٠٣) ولباته: جمع لبة وهي المنحر، والبآدل جمع بآدلة قال في القاموس المحيط ص١٢٤٥-١٢٤٦: اللحمة التي بين الإبط والثندوة أو لحم الثدي.

(٤) في (ب): لهونه.

(٥) في (ب): واستتار.

إلى ما وقعت فيه الفتنة بسبب التحكيم لهم، ويقررون الخطأ على أمير المؤمنين في ذلك فيما فعل من ذلك، وأن الحكم ليس يكون إلى واحد[1] من الخلق، وإنما الحكم هو لله وهي كما قيل: كلمة حق يراد بها باطل، وقد مرَّ الكلام عليهم في التحكيم غيرمرة من الكتاب.

ونذكر الآن نكتة شافية في بطلان الطعن بالتحكيم على إمامة أمير المؤمنين، كما تزعمه الخوارج:

اعلم[2]: أن التحكيم كان سبباً للطعن للخوارج في إمامة أمير المؤمنين، وإبطال ولايته وسبباً لإكفاره من جهتهم، وخطأهم في هذا، وضلالهم يظهر من أوجه:

أما أولاً: فلما قد[3] تقرر من ثبوت إمامته باتفاق منهم، وإذا كان الأمر في إمامته مقطوعاً به فلا وجه لإبطالها بعد تقررها وثبوتها، بالأمور[4] التي لا يقدح في بطلانها وثبوتها، وما ذكروه[5] من [أمر][6]التحكيم، لايسلّم قبحه فضلاً عن أن يكون موجباً لكفره، أو فسقه أو بطلان ولايته.

(١) في (ب): أحد.

(٢) في (ب): واعلم.

(٣) قد، سقط من (أ).

(٤) في (أ): فالأمور.

(٥) في (أ): وما ذكره.

(٦) زيادة في نسخة أخرى.

وأما ثانياً: فلما ورد في خبر عمار: «تقتلك ياعمار[1] الفئة الباغية» وهو مقتول في صفه[2] لا محالة.

وأما ثالثاً: فقوله: «تقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين» وما قاتلهم أحد سواه.

وأما رابعاً: فقوله: في ذي الثُّدَيَّة[3]: «يقتله خير الناس»[4].

وأما خامساً: فالأخبار الدّالّة على فضائله، فإنها دالّة على سلامة العاقبة[5] في حاله في كل حالة، وعلى كونه من أهل الجنة بلا مرية،

(١) قوله: يا عمار، سقط من (أ).

(٢) في (ب): صفته.

(٣) ذو الثُّديَّة هو رجل من الخوارج، وسمي ذا الثدية لأنه كان مخدج اليد أي ناقصها كأنها ثدي في صدره، وكان رجلاً أسود منتن الريح، له يد كثدي المرأة إذا مدت كانت بطول اليد الأخرى وإن تركت اجتمعت وتقطعت وصارت كثدي المرأة، عليها شعرات مثل شعرات الهرة، وذو الثُّدية قتل يوم حروراء مع الخوارج ولما انتهت المعركة بحث عنه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حتى وجده، فلما وجدوه قطعوا يده ونصبوها على رمح، ثم جعل الإمام علي (عليه السلام) ينادي: (صدق الله ورسوله) لم يزل يقول ذلك هو وأصحابه إلى أن غربت الشمس أو كادت (انظر الروضة الندية ص ٨٠).

(٤) الحديث بلفظ: «يقتله خير أمتي من بعدي» رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج٢/٢٦٨ عن كتاب صفين للمدائني، والحديث عن أبي سعيد الرقاشي قال: دخلت على عائشة فقالت: (ما بال أبي حسن يقتل أصحابه القراء)، قال: قلت: يا أم المؤمنين، إنّا وجدنا في القتلى ذا الثُّديّة، فشهقت أو تنفّست ثم قالت: إن كاتم الشهادة مثل شاهد بزور، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «يقتل هذه العصابة خير أمتي» أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/٢١٠، وابن أبي عاصم في السنة ٢/٥٩٩، والحديث في المغني لقاضي القضاة ٢٠/٢/٦٢ بلفظ: «يقتله خير هذه الأمة»، قال: وفي بعض الأخبار: «يقتله خير الخلق والخليقة».

(٥) في (ب): العافية.

فإذا[1] كان الأمر كما قلناه بطل قولهم: إن أمرالتحكيم يكون كبيرة يوجب قطع الموالاة في حقه؛ لأن ما هذا حاله من الأفعال فهو محتمل لأن يكون حسناً، وأن يكون قبيحاً، ثم إذا كان قبيحاً فحاله محتمل لأن يكون صغيراً، وما هذا حاله من الأفعال فإنه لا يزيل الولاية، ولايقطع الموالاة الثابتة بالقطع، ولا الولاية المتقررة، ثم نقول: ليس يخلو ما ذكروه[2] من الخطأ إما أن يكون واقعاً في نفس التحكيم من أصله، أو يقع في الحكمين أنفسهما، حيث حكمَّ من ليس أهلاً لذلك، أو يكون واقعاً في نفس الفعل الذي وقع من أجله التحكيم، وأنه لا يحل وقوع الحكم فيه، أو غير ذلك من الوجوه المحتملة[3] فيه، وهذا كله فاسد، فإن الإمام إذا كانت إمامته ثابتة صحيحة، فأمور الأمة كلها منوطة[4] إلى رأيه وموكولة إلى استصوابه، فإذا غلب على ظنه صلاح لهم في أمر من الأمور جاز فعله، ولا يعترض عليه في شيء من ذلك، ولا يكون ما فعله خطأ، وفيما ذكرناه دلالة كافية على حسن ما فعله أمير المؤمنين من التحكيم، وأن إعراض الخوارج خطأ وضلال، ومجانبة لطريق الحق وخروج وانسلال.

سؤال؛ إن كل[5] من حاربه أمير المؤمنين من أهل القبلة كأصحاب الجمل، ومعاوية وأصحابه، وجميع فرق الخوارج كانوا مقرِّين بالتوحيدوالنبوة والقرآن، وجميع أحكام الإسلام والدين، ملتزمون لها

(١) في (ب): وإذا.

(٢) في (أ): ما ذكر.

(٣) في (ب): المختلفة.

(٤) في (ب): مفوضة.

(٥) في (ب): إن قيل: إن كل من حارب.

فكيف لم يتركهم عن المحاربة، ويخلّيهم وهذه الآراء وفي ذلك تسكين الدهماء وحقن الدماء؟

وجوابه: هو أن هذه هي[1] شبهة من توقف في متابعته لما حارب أهل القبلة، وهذا خطأ، فإنه (عليه السلام) إنما التزم قتالهم دفعاً للمضارّ الدينية والدنيوية؛ لأنه علم من حالهم أنه إن تركهم على ما هم عليه أدّى ذلك إلى بطلان الإمامة، وبها يتعلق نظام الدين وبطلان ما يتعلق من أحكام السنة[2]، وفيه انتظام المصالح الدنيوية، ولهذا قال: (ما رأيت إلا حربهم أوالكفر بما أنزل الله على محمد (صلى الله عليه وآله)[3]) ولهذا كان يبدأهم بالنصيحة قبل القتال، ويدعوهم إلى السداد والصلاح، وطريق الاستقامة على الدين ويلاطفهم غاية الملاطفة، وكان لا يبدأهم بقتال، ولما كان يوم صفين أنظرهم وتأنّى في أحوالهم، فلما يئس من ذلك نادى بأعلى صوته:

(يا أهل الشام، قد توقفت لترجعوا إلى الحق[4] وترجعوا[5] إلى الله تعالى

---

(١) هي، زيادة في (ب).

(٢) في (ب): السياسة.

(٣) قوله: وسلم، زيادة في (ب). وأخرج الرواية الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٣٤٢/٢ تحت الرقم (٨١٩) بسنده عن مازن العائذي قال: سمعت علياً يقول: (ما وجدت بداً من القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد)، وأخرج مثل ذلك الحافظ ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق ٢٢٠/٣ تحت الرقم (١٢٢٢) و(١٢٢٣) بسنده من طريقين الأولى عن مارق العابدي، والثانية عن الأصْبغ بن نباته، وانظر المغني ٧٥/٢/٢٠.

(٤) في (ب): لتراجعوا الحق.

(٥) في (أ): وترجعون.

وتنيبوا واحتججت بكتاب الله تعالى، فلم تتناهوا، ألا وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) [1] ثم تقدم للاستعداد والمحاربة، وقال لأصحابه:

(اتقوا الله، وغضوا الأبصار[2]) ثم قال:

(اللّهُمَّ، ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وعظِّم لهم الأجر)[3]. فهذه الطريقة معروفة من سياسته تدل على ما قلناه من أن حربه لهم إنما كان على جهة دفع الضرر عن الدين والدنيا، وأن تركها يكون خطأً ومعصية فبطل ما قالوه[4].

---

(١) أورد الرواية ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٥/٤ عن نصر بن مزاحم في كتاب صفين قال ما لفظه: قال نصر: فأما رواية عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي الزبير: أن نداء مرثد بن الحارث الجشمي كانت صورته: يا أهل الشام، ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: (إني قد استدمتكم واستأنيت بكم، لتراجعوا الحق، وتتوبوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه، فلم تتناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى الحق، وإني قد نبذت إليكم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين).

(٢) في (ب): أبصاركم.

(٣) الرواية في شرح ابن أبي الحديد ٢٦/٤ عن نصر بن مزاحم بسنده عن أبي صادق أن علياً (عليه السلام) حرض الناس في حروبه فقال:
(عباد الله، اتقوا الله وغضوا أبصاركم، واحفظوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارزة والمعانقة واثبتوا ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾.
اللهم، ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر). وانظر المغني ٩٨/٢/٢٠

(٤) في (أ): ما قاله.

(١٦٩) ومن خطبة له عليه السلام في ذم أصحابه

(أيها الغافلون): عن إتيان ما يصلحهم في الآخرة من الأعمال الصالحة.

(غير المغفول عنهم): أي وليس مغفولاً عنهم بالتحفظ على الأعمال، والمراقبة للأحوال كلها.

(والتاركون): لأخذ الأهبة من زاد[١] الآخرة، والتأهب لها.

(والمأخوذ منهم): أي وقد أخذ عليهم شكر النعم، والاهتمام بالطاعات لله تعالى.

(ما لي أراكم عن الله ذاهبين): عن طاعة الله تعالى، والقيام بواجباته، والكفِّ عن محارمه، والمحافظة على حدوده كلها.

(وإلى غيره راغبين!): ولا ترغبون إليه كرغبتكم إلى غيره في منفعة[٢] يسيرة، ونيل حطام قليل، وغرضه من ذلك هو أن الواحد إذا طمع في نيل منفعة من غيره فإنه يتهالك في رغبته إلى ذلك الشخص، ويتواضع له تواضعاً كبيراً، وهي في الحقيقة من جهة الله تعالى، لأنه لولا الله ما كان ذلك النفع من جهة ذلك الشخص، ولا يرغب إلى الله تعالى في أمر عظيم،

---

(١) في (أ): أراد وهو تصحيف، وما أثبته من (ب).

(٢) في (ب): صفقة.

وهو الجنة كرغبته هنالك، فلهذا قال: (وإلى غير الله راغبين) يشير به إلى ما قلناه.

(كأنكم نعمٌ): النعم اسم جمع، ويجمع على أنعام، قال الله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾[النحل:٥] ويجمع على أناعيم، وهي: السوائم المرعية، وأكثر ما تقع على الإبل، قال الفراء: هو مذكر لا يؤنث يعني النعم، يقال[١]: هذا نعم، وأراد وأما الأنعام فتذكر وتؤنث.

(أراح بها سائم إلى مرعى وبي): أراح الإبل إذا ردَّها إلى المُراح، والمُراح بضم الميم: مأوى الإبل، وبفتحها هو المصدر ويكون للموضع أيضاً، والسائم هو: الذي يسيمها أي يرعاها، والوباء هو: الوخم.

(ومشرب دويّ): أي ممرض، والدوى مقصور هو: المرض، وغرضه من هذا كله أنه حصل لهذه الأنعام في مآكلها ومشاربها الوباء، ومع ذلك لا بقاء لها.

سؤال؛ ما وجه هذا التشبيه بالأنعام، ومشربها ومرعاها؟

وجوابه؛ هو أنه شبَّه الخلق في كثرتهم وإسراع الموت فيهم بمنزلة إبل كثيرةوقعت في مراعي وخيمة، ومشارب متلفة فأسرع إليهم المرض والهلاك، فهم على هذه الحالة في إسراع الموت فيهم، ومن بديع التشبيه قول بعضهم:

الشمسُ من مشرقِها قدبدت   مشرقةً ليس لها حاجبُ

كأنها بوتقةٌ أحميت   يجولُ فيها ذهبٌ[٢] ذائبُ

---

(١) في (أ): فقال: وما أثبته من (ب)، وفي نسخة أخرى: هذا نعم واردة.

(٢) في (أ): ذاهب، والصواب كما أثبته من (ب).

فشبَّه الشمس في حركتها وصقالتها وتحركها وصفائها بالبوتقة ؛ لما في الذهب من النعومة.

(إنما هي كا لمعلوفة للمدى): الضمير للنعم، والمدى جمع مدية وهي: الشفرة، والمعلوف من البهائم: ما كان حاصلاً في البيت لا يفارقه.

(لا تعرف[1] ما يراد بها!): أي وقت يكون ذبحها ونحرها[2]، فهكذا حالنا بالإضافة إلى الموت لا يدري واحد منّا متى يقدم عليه، وفي أي وقت يكون هلاكه.

(إذا أحسِنَ إليها): بالإطعام والشرب، والتعهد لأحوالها.

(تحسب يومها دهرها): إما في الرخاء والدعة، وإمافي الدوام والبقاء والاستمرار، وأراد أنها إذا نعِّمت[3] يومها هذا التي هي فيه تظن جهلاً أن دهرها يكون كذلك.

(وشبعها أمرها): واكتفاؤها من الطعام، وهو الشبع هو نهاية أمرها وقصارى حالها في ذلك.

(والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم): أعلمه وأقرره في نفسه.

(بمخرجه ومولجه): المخرج والمولج يراد بهما الزمان والمكان جميعاً، وأراد مكان خروجه وولوجه أوزمانهما.

(وجميع شأنه): أحواله كلها.

(١) في نسخة أخرى: لاتدري (هامش في ب).
(٢) في (ب): نحرها وذبحها.
(٣) في (أ): أنعمت.

(لفعلت): لكنت متمكناً من ذلك، إشارة إلى المذكور أولاً من المخرج والمولج.

(ولكن أخاف أن تكفروا برسول الله[ﷺ][1]): فيه وجهان:

أحدهما: أنه إذا أخبرهم بها[2] لحقهم غم شديد، و أسف عظيم علىذلك فلايمتنع أن يكون ذلك[3] سبباً في الردة وإنكار النبوة للرسول، وجحدها لفرط ما يصيب من ألم ذلك الأمر وشدته.

وثانيهما: أنه لو أخبرهم بأمور لا يمتنع أن يلحقهم فيها تكليف عظيم من جهة الله تعالى، وأثقال وآصار[4] بتحملها فيؤدي ذلك إلى ردِّها والإعراض عنها، فيكون في ذلك إنكار لما أمر به الرسول، وردُّ لمقالته فيكون ذلك كفراً، ومما[5] يقرب من إفادة كلامه هذا، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[المائدة:١٠١] تغمُّكم وتحزنكم أويصعب عليكم فعلها وأداؤها ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾[المائدة:١٠١] يأتي الوحي[6] من جهة الله تعالى ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ يظهرها الله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾[المائدة:١٠١] عن مسألتكم [هذه][7] وصفح، وذلك ما روي

(١) زيادة في شرح النهج.
(٢) بها، زيادة في (ب).
(٣) ذلك زيادة في (ب).
(٤) الآصار جمع إصْر، وهو: الذنب والثقل.
(٥) في (أ): وما.
(٦) في (ب): بالوحي.
(٧) زيادة في نسخة أخرى.

أن سراقة بن مالك[1] قال: يارسول الله، الحج علينا كل عام، فأعرض عنه رسول الله حتى أعاد[2] ذلك ثلاث مرات، فقال رسول الله: «ويحك! وما يؤمِّنك أن أقول: نعم، والله لو قلت: نعم لوجب[3]، ولو وجب ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمرفأتوا به[4] ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»[5].

(ألا وإني مفضيه إلى الخاصة): ذوي العقول والأديان، والعلوم الراسخة.

(ممن يؤمن ذلك منه): الإشارة إلى الكفر، يريد أني أُعلم به من لا يكفر ولا يرتدّ، بل يكون ثابتاً في الدين راسخاً فيه قدمه.

(والذي بعثه بالحق): بالتوحيد، والعلوم الدينية.

(واصطفاه على الخلق): اختاره منهم.

(ما أنطق): بكل ما قلته مما ذكرته لكم.

---

(١) هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك المدلجي، أبو سفيان، صحابي وهو الذي لحق النبي ﷺ حين خرج مهاجراً إلى المدينة وقصته مشهورة. توفي في صدر أيام عثمان سنة٢٤هـ، وقيل: إنه مات بعد عثمان (انظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٠/٢١٤).

(٢) في (ب): حتى إذا أعاد.

(٣) في (ب): لوجبت.

(٤) في (ب): منه.

(٥) رواه العلامة المفسر الزمخشري في الكشاف ١/٧١٦، وذكر أن السائل لرسول الله ﷺ هو سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن.

(إلا صادقاً): فيه لاأكذب أبداً.

(ولقد عهد إليّ بذلك كله): أخبرني به، وأقرّه في قلبي.

(وبمهلك من يهلك): أراد بقتل من يقتل، وبموت من يموت، وإما بهلاك[1] من يهلك في النار.

(وبمنجى من ينجو): أراد إما من الفتن والمحن كلها، وإما من الناربدخول الجنة.

(ومآل هذا[2] الأمر): المآل: المرجع أي وما يرجع إليه في عاقبته، وكيف يكون مصيره.

(وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي): من أحوال هذه الفتن، وجري هذه الحوادث من مبدأها إلى منتهاها.

(إلا وفرغه[3] في أذني): أقرّه[4] في سمعي فسمعته ووعيته.

(وأفضى به إليّ): أظهره إليَّ، والفضاء هو: الظهور.

(أيها الناس): خطاب[5] عام.

(إني[6] والله ما أحثكم على طاعة): مما يراد به وجه الله تعالى، وابتغاء مرضاته، والتقرب إليه.

---

(١) في (أ): وأن يهلك من هلك ...إلخ، وما أثبته من (ب).

(٢) في (أ): لهذا، وما أثبته من(ب) والنهج.

(٣) في (ب) والنهج: إلا أفرغه.

(٤) في (ب): أقر.

(٥) في (أ): حطام، وهو تحريف.

(٦) قوله: إني، زيادة في النهج.

(إلا وأسبقكم إليها): بالفعل والتحصيل لها.

(ولا أنهاكم عن معصية): عمَّا ينكره[1] الله، وينهى عنه.

(إلا وأتناهى قبلكم عنها): أنهي نفسي عنها قبل نهيكم عنها، واتصال قوله: ما آمركم بطاعة... إلى آخره بما قبله فيه وجهان:

أما أولاً: فبأن يكون من باب الاستطراد، وهو الإتيان بكلام بعد كلام لا تعلق له بالأول، وقد ذكرناه غير مرة في كلامه ونبَّهنا عليه.

وأما ثانياً: فلأنه لما ذكر ما عرَّفه به رسول الله من العلوم الغيبية عقَّب[2] بالحث على الطاعة والفرار من المعصية، وعطفه عليه؛ لأنه نوع منه من حيث كان (عليه السلام) لا يُعَلِّم إلا بما يكون طاعة لله تعالى، ويكون سبباً للفرار من معصيته، فلهذا عطفه عليه.

وقد نجز غرضنا من شرح كلامه هذا على ما اشتمل عليه من الأسراروالمعاني، والحمدلله.

ولله دَرُّ نصائح أمير المؤمنين فيما بذله للخلق، وأعلاها وأحقها برضوان الله ومطابقة مراده وأولاها، فلقد نال من الله عظيم الزلفة، وعلو الدرجات، وفاز[3] بما بذله في ذاته من عظيم الأجر، ومضاعف[4] الحسنات.

(١) في (ب): يكره.
(٢) في (ب): عقبه.
(٣) في نسخة أخرى: وفاز، كما أثبته، وفي (أ) و(ب): قام.
(٤) في (ب): ومضاعفة.

وقال بعده في النسخة الأخرى: تم السفر الأول من كتاب (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) في العشر الأواخر من جمادى الأولى من سنة تسع وأربعين وتسعمائة، =

والحمد لله أولاً، وآخراً، وظاهراً وباطناً، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وقال في نهاية(ب): تم السفر الأو ل من كتاب (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً على تمامه وكتبه والله المسؤل أن ينفع به المؤمنين وأن يأجر من أنشأه وفجر ينابيعه للناهلين، وأن يجعله يوم القيامة له نوراً وأن يغفر لنا وله ولجميع المسلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله الميامين وصحابته أجمعين.

فرغ من رقم هذه النسخة الضنينة الجليلة الثمينة الجديرة بأن تشرى بالمهج فضلاً عن القرض الأجج، وأن يضن بها عن الحبيب ولا حرج، ظهر يوم الجمعة الأغر ثاني وعشرين خلت من الشهر الأشهر ذي الفضل الأجزل الأكبر شهر رمضان المعظم من عام إحدى وسبعين وألف سنة١٠٧١ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى السلام: ما رقم حرف بالأقلام بخزانة سيدنا القاضي الأعلم الأوحد الأمجد الأكرم عَلِيُّ الهمة، وفخر الآل ذي السؤدد الذي لا يضاهى، والفخر الذي لا يتناهى، والعناية التامة والهمة السامية، بتشييد أركان الوراثة النبوية وتأييد بناها من لا يضبط محامده القلم ولا بعضها، ولا يسامي سماها، ضياء الدين صلاح بن عبد الله الحبي أحيا الله ذاته وحياها، وبلغه من الآمال منتهاها، وحرس بهمته وأطال بقاها، وعمر ببركته وعلومه وسناها على مر الدهور ومداها بيد العبد الفقير المعترف بالتقصير عبد الحفيظ بن عبد الواحد بن عبد المنعم ا لتزيلي.

ثم قال بعد ذلك ما لفظه: بلغ مقابلة وتصحيحاً على الأم المنسوخ عليها بحسب الطاقة والإمكان والاعتناء التام وإن كان في الأم بعض سقم، والأغلب الصحة، وقل من ينجو من الخطأ والزلل إلا كتاب الله عز وجل، بتاريخ نهار الإثنين سادس عشر شهر شوال سنة ١٠٧١هـ بخط مالكه الفقير الحقير صلاح بن عبد الله الحبي. انتهى.

فهرس الموضوعات


مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم
٤٤٥١
التاريخ
٢٠٠٥/١/٢٧


مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف



